صفحات مطوية

عن

فلسطين

أحمد فراج طايع

صفحات مطوية
عن
فلسطين

بقلم
أحمد فراج طايع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تربطنى بفلسطين روابط خاصة ، فقد بدأت فيها حياتى الدبلوماسية سنة ١٩٢٧ ، ثم عدت اليها قنصلا عاما لمصر فى يولية سنة ١٩٤٧ ، ومكثت بها حتى أكتوبر سنة ١٩٤٨

وفى سنتى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ وقعت الأحداث التى غيرت وجه هذا البلد العزيز ، فصدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، ثم بدأت الحرب بين العرب واليهود فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، وانتهت الى الوضع المحزن المعروف ، اذ استولى اليهود فى هذه الحرب على معظم أراضى فلسطين حتى لم يبق منها فى يد العرب الا بضع مدن ، وتشرد من أهلها مليون نسمة .

ولقد عشت انا وزملائى قناصل الدول العربية فى فلسطين فى أيام محنتها ، وتعرضنا لما تعرض له اخواننا الفلسطينيون من أخطار ، اذ وجه اليهود نيران مدافعهم الى بعض القنصليات العربية قبل أن تنسحب انجلترا من فلسطين . وكانت انجلترا ملزمة ، طبقا لنصوص صك الانتداب ، بان تحفظ الأمن وتحمى أرواح السكان وممتلكاتهم ، ولكنها امتنعت عن القيام بالتزاماتها ابتداء من يناير سنة ١٩٤٨ ، فاغمضت اعينها عما يفعله اليهود من أعمال الارهاب ، وأصمت آذانها عن سماع طلقات بنادقهم ومدافعهم ، واضطر القناصل العرب ، ازاء نكوص انجلترا عن تنفيذ صك الانتداب ، الى أن يطلبوا من حكوماتهم مدهم بقوات صغيرة لحمايتهم من الاعتداء عليهم ، وحماية دورهم من النسف . فأرسلت كل حكومة عربية بعض الجنود لحماية دور القنصليات ولمرافقة القناصل فى ذهابهم الى دار الحكومة اذا اضطرتهم اعمالهم الى زيارة تلك الدار . وارسلت الحكومة المصرية الى قنصليتها قوة مكونة من عشرين جنديا يرأسهم

اليوزباشى عصام حلمى المصرى . (المرحوم اللواء عصام حلمى المصرى مدير مكتب مقاطعة اسرائيل) .

وشاهدت كما شاهد قناصل الدول العربية الأخرى حالة الذعر التى أصابت العرب من نسف ديارهم بالمفرقعات التى كان يضعها اليهود خلسة فى المنـازل أثناء الليل ، فاضطر العـرب الذين كانوا يقطنون القدس الجديدة الى هجر منازلهم ، نازحين الى مناطق بعيدة عن الخطر ، او الى بلاد عربية أخرى .

ولم يحل شهر مايو سنة ١٩٤٨ حتى كانت الأحياء العربية فى القدس الجديدة خالية تماما من اصحابها العرب ، ولم يبق بها الا موظفو القنصليات العربية . وقد احتل اليهود مساكن العرب تحت بصر الانجليز وسمعهم ، ووقع مثل ذلك فى حيفا فقد احتلهـا اليهود ايضا قبل ان يغادر الانجليز فلسطين .

وكان قناصل الدول العربية الذين يقيمون فى حى القطمون بالقدس آخر من غادر الحى من العـرب . فتركت القدس أنا وموظفو القنصـلية والقوة الصغيرة التى كانت تحمينا فى يوم ١٣ مايو سنة ١٩٤٨ .

وكان الأمل أن يعود الفلسطينيون الى بيوتهم عنـد دخول جيوش الدول العـربية فلسطين ولكن ذلك لم يحدث ، وانما الذى حدث هو ضياع فلسطين .

وقد حاولت أنا وزمـلائى قناصل الدول العربية ان يبصر كل منـا حكومته بما يجرى هنـاك فى تلك الحقبة العصيبة ، لعل حكوماتنا تتخذ للأمر عدته فتحفظ لفلسطين عروبتها ، ولكن حكومات ذلك العهد أصمت آذانهـا عما كنا نقول ، وأخذت تستمع الى آخرين ــ فى مقدمتهم عبد الرحمـن عزام الأمين العام السابق للجامعة العربية والحاج محمد أمين الحسينى ــ وكانوا يقيمون بعيدا عن فلسطين ، غير ملمين بما يقع فيها من أحداث ، جانحين فى تقديراتهم الى تفاؤل لا أساس له ، من ذلك ماكانوا

يعلنونه فى كل آونة انهم يستطيعون بثلاثة آلاف مقاتل أو أربعة أن يلقوا باليهود فى البحر . فكان هذا التفاؤل ، أو الجهل بقوة العدو ، أو الاستهانة به ، أحد أسباب الكارثة التى حلت بفلسطين .

ولو استمعت الحكومات العربية فى ذلك الوقت الى ممثليها الدبلوماسيين فى فلسطين ، وهم عيونها وآذانها لتجنبت فلسطين كثيرا من الويلات .

لقد هزت الكارثة البلاد العربية هزا عنيفا ، فقام الكتاب العرب يكتبون عنها ، محللين أسبابها ، مؤرخين أحداثها ، ناقدين أو محبذين لتصرفات حكومات ذلك العهد فى البلاد العربية ، والهيئات الأخرى التى تصدت لتوجيه السياسة الفلسطينية كالجامعة العربية وعلى رأسها امينها العام السابق السيد / عبد الرحمن عزام ، والهيئة العربية العليا وعلى رأسها الحاج محمد أمين الحسينى .

وفكرت فى أن أكتب عن الكارثة ، ثم أحجمت .

فكرت فى الكتابة لأنى أولا — كنت من القلائل ، من غير الفلسطينيين، الذين حضروا الكارثة ، واكتووا بنارها ، ووقفوا على دقائقها ودسائسها بحكم المنصب الذى كنت أشغله . وثانيا — لأنى كتبت كثيرا عنها للحكومة،ولو أن كثيرا مما كتبت كان يوضع على الرف ، لسيطرة السيد/ عبد الرحمن عزام الأمين العام السابق للجامعة العربية ، والحاج محمد أمين الحسينى رئيس الهيئة العربية العليا ، والمرحوم رياض الصلح رئيس الوزارة اللبنانية ، على توجيه سياسة الدول العربية فى موضوع فلسطين . وثالثا — لأنى من القلائل الذين اذا كتبوا فعلوا ذلك دون أن يكونوا متأثرين بأى مصلحة خاصة لهم فى مناصرة هذا أو ذلك عند تدوين تاريخ هذه القضية ، فما انتميت الى حزب من أحزاب فلسطين ، أو أسرة من أسرها . ورابعا — لأنى كنت اتحرى الصدق فيما أكتب وانقل ، وقد حدث انى ابلغت الحكومة خبرا ثم ظهر خبر آخر يناقض الأول فأبلغت

الحكومة الخبر الثانى وأشرت الى مصدر الخبرين حتى تكون الحكومة على بينة من كل شيء .

أقول فكرت فى الكتابة مدفوعا بكل هذا ، ثم أحجمت لأن الكتابة ستتناول بعض من اختارهم الله الى جواره ممن كان لهم نصيب فى توجيه السياسة التى فشلت .

ولكنى تركت الاحجام الى الاقدام متذكرا أن ما قد يكتب فى هـذا الكتاب عمن سبقونا الى الرفيق الأعلى انما سبق ان كتبته وهم أحياء ، وفشل سياستهم لا ينفى عنهم حسن القصد وسلامة النية . أما الأحياء الذين سيتناولهم هذا الكتاب فانهم يستطيعون أن يردونا الى الحقيقـة اذا وجدوا اننا ضللناها ، ولن يفعلوا لأننا لن تقول الا الحق ، ولان ما قلناه وكتبناه حققته الاحداث .

لقد اردت من الكتابة عن فلسطين أمرا واحدا ، هو صالح فلسطين ، لا صالح فرد أو حزب أو هيئة فيها .

ولما حلت الكارثة ولجأ كثير من سكان فلسطين الى الأماكن الآمنة قامت مشكلة ايوائهم وعلاجهم ، فعملت بكل ما استطعت من جهد مع من عمل لمواجهة هذه المشكلة ، فجبت مع مندوب الامم المتحدة الجزء الباقى من فلسطين فى يد العرب لاختيار اصلح الأماكن لضرب الخيام . وعاونت بعثة الهلال الأحمر المصرية فى القيام بمهمتها .

وانى اذ اكتب هـذا الكتاب ، ومن بين ما يتضمنه بعض صفحـات مطوية ، كانت تعتبر سرية وقت كتابتها قبل خمسة عشر عاما ، وفقـدت سريتها الآن ، فانى انما ابغى من ذلك امرين .

الأول — ان ابين أخطاء الماضى فتتجنب الوقوع فى مثلها فى المستقبل.

الثانى — ان أضع أمام المهتمين بفلسطين الحقائق التى شـاهدتها مجردة من الغرض خالية من أى زيف .

وتتلخص خطة البحث التى سلكتها فى هـذا الكتاب فى أنى بدأت بفصل تناولت فيه بايجاز تاريخ قضية فلسطين • ولم أر داعيا للتوسع فى كتابة هذا التاريخ ، لأن كثيرا من الكتاب سـبقونى الى الكتابة فيـه باسـهاب .

أما جوهر الكتاب فهو فى الفصول الثلاثة الآتية :

أولا — تحديد المسئولية عن كارثة فلسطين .

ثانيا — أثر الثورة المصرية على مطامع اسرائيل .

ثالثا — تحرير فلسطين .

واختتمت الكتاب بفصل عن بعض ما أدته مصر للاجئين الفلسطينيين عقب سقوط اللد والرملة .

وسيجد القارىء فى هذا الكتاب حقائق لم تنشر .

وقد عرضت فيه لنواحى القضية الفلسطينية كما رأيتها قبيل النكبة وأثناءها ، وبينت رأيى فى كيفية تحرير فلسطين على ضوء ما رأيته .

الفصـــل الأول
اهداف اليهود وخططهم
فى تحقيقها وحججهم فى تبريرها

اهداف اليهود

يخطىء العرب اذا هم اعتقدوا ان اسرائيل ستقف عند الحد الذى حققته فى فلسطين . ان فلسطين ليست هدفهم الوحيد . انها نقطة ارتكاز يثبون منها الى غيرها من البلاد العربية . لقد ظهرت مطامعهم فى مؤتمراتهم التى عقدوها عندما عرضت عليهم انجلترا فى سنة ١٩٠٣ عرضا يتضمن انشاء وطن قومى لهم فى أوغندا فرفضوا هذا العرض . وقرروا انهم لا يرغبون الا فى فلسطين والبلاد المجاورة لها . وقـد جاء فى كتاب « بريطانيا العظمى والبلاد العربية » لمؤلفه ستون وليامز عن هذا العرض ما يأتى :

« لقد رفض المؤتمر السابع الصهيونى هذا العرض بحجة انالصهيونية لا تهتم الا باستعمار فلسطين والبلاد المجاورة لها (١) » .

نجح الصهيونيون فى تحقيق أول مرحلة من برنامجهم الواسع فاستولوا على الجزء الأكبر من فلسطين . وسيجدون فى تحقيق باقى البرنامج . انهم يعملون الآن بهمة لا تعرف الكلل على اقناع روسيا ورومانيا وهنجاريا ان تسمح لليهود المقيمين بتلك الدول بالهجرة الى اسرائيل . فاذا نجحوا فى ذلك زاد عدد سكان اسرائيل الى ستة ملايين نسمة أو سبعة فى خلال بضع سنوات ، وامكنهم عندئذ أن يعدوا جيشا من مليون جندى مجهزا بأحدث الأسلحة ، يؤملون منه أن يحقق لهم أحلامهم ولو كانت بعيـــدة المنال .

---

(١) صفحة ١٢٣ من كتاب **Britain and Arab States by M.V. Seton - Williams**

ان الصهيونيين يحلمون بتحقيق ما ورد فى الاصــحاح الخامس عشر من سفر التكوين الذى جاء فيه « فى ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير الفرات . » وابرام هو سيدنا ابراهيم .

ومع ان العرب هم أيضا من نسل ابراهيم اذ هم سلالة ابنه اسماعيل والميثاق الذى قطعه الله مع ابراهيم وجاء ذكره فى التوراة ينطبق عليهم أيضا ، ويعطيهم الأرض المذكورة فيــه ، فان اليهود يفسرون ما جاء فى التوراه من اعطاء نسل ابراهيم الأرض من نهر النيل الى نهر الفرات انه قصد به نسل يعقوب ، وليس لنسل اسماعيل نصيب فيه . وهــذا تفسير لا سند له .

لذلك يجب على العرب ان يتوقعوا من اسرائيل اعتداءات أخرى اذا ما واتتها الفرصة لتستولى على الأرض التى جاء ذكرها فى التوراه . وتأييدا لقولنا هذا نذكر أن الرئيس جمال عبد الناصر قال فى خطابه الذى القاه فى عيد الثورة فى ليلة ٢٣ يولية سنة ١٩٦٥ « انه تلقى خريطة طبعتها اسرائيل فى لندن مبينة لحدودها فى المستقبل . وهذه الحدود تشمل : فلسطين . الاردن . السعودية . اليمن . الخليج العربى كله . سوريا . لبنان . جزءا من العراق حتى نهر الفرات . صحراء سينا كلها حتى قناة الســويس » .

ويجب ان يعلم العرب ان اكتشاف البترول فى البلاد العربية سيزيد اليهود تصميما فى العمل على تحقيق أحلامهم . ولا يجوز لبعض الدول العربية المنتجة للبترول ، غير المتاخمة لاسرائيل ، ان تظن انها ستكون بمنجاة من عدوان اسرائيل لبعدها عنها . فاذا قويت اسرائيل ، وظلت تلك الدول فى حالة الضعف التى تلم بها الآن فسيلحقها العدوان كما لحق غيرها .

خطط اليهود فى تحقيق اهدافهم :

كان تيودور هرتســل الصحفى المجرى أول من دعا بنى دينــه الى انشاء دولة يهودية . وفى سنة ١٨٩٧ اجتمع زعماء الصهيونيين فى الدول المختلفة فى مؤتمر عقدوه فى مدينة بال برياسته وقرروا فيه انشاء دولة يهودية . وكان هرتسل يرى انشاءها فى أى بقعة فى العالم ولكن غالبية المجتمعين قرروا انشاءها فى فلسطين . ومات هرتسل فى سنة ١٩٠٤ قبل أن يرى تحقيق شيء من الأهداف ولكن رسالته أثمرت . وقد خلفه فى رئاسة المؤتمرات الصهيونية الدكتور وايزمان . وأطلق اليهود على أنفسهم اسم « الصهيونيين » .

وفى هذا المؤتمر وضع الصهيونيون الخطط التى يحققون بها أهدافهم مهتــدين فى ذلك بقرارات حكمائهم التى أصبحت دستورا عنــدهم لا يحيدون عنه .

وقد تسربت أخبار هذا المؤتمر وقرارات حكماء اسرائيل الى الخارج فترجم الكاتب الروسى سرج نيلوس Serge Nilus قرارات حكمــاء اسرائيل ثم ترجمت هذه القرارات الى كثير من اللغات الأخرى فاغضبت كثيرا من الكتاب غير اليهود فاخذ اليهود يتنصلون من تبعاتها ثم عملوا على جمع كل النشرات التى تضمنتها واحرقوها .

ولم تقتصر قرارات حكماء اسرائيل على انشاء دولة فى فلســطين والاستيلاء على الأرض من النيل الى الفرات بل نصت قراراتهم على حث اليهود على السيطرة على العالم .

وجاء فى هذه القرارات (١) ما يأتى :

ان سياسة اليهود ازاء الجويم Goym (أى غير اليهود) يجب أن تقوم على العنف والارهاب . وان الحق للقوة . وتحض القرارات اليهود

---

(١) ص ٨٦ وما بعدها من كتاب
Le Peril Juif - Le Règne D'Israel Chez Les Anglo - Saxons, Roger Lembelin.

على نشر الفساد بين غير اليهود . وتطالب المربيات اليهوديات اللاتي يعملن لدى الأغنياء غير اليهود ، وبنات الهوى اليهوديات فى نوادى اللهو والمجون الليلية ان يعملن على افساد غير اليهود بكافة الطرق سواء بنشر المشروبات الروحية أو بغير ذلك . كما تحض هذه القرارات على ضرورة السيطرة على الصحف والاذاعة ودور التمثيل والبنوك واستخدام الرشوة والمال لتحقيق أهداف اليهود ، وعلى ان يشغل اليهود المناصب الكبرى فى الدول حتى يستطيع شاغلوها استخدام نفوذهم لتحقيق الأهداف الصهيونية .

ولقد نفذ اليهود هذه القرارات بدقة . فأكثر نوادى اللهو والمجون الليلية ملك لليهود يفسدون فيها غير اليهود ويدبرون فيها الجرائم . وامامنا مثل قريب لذلك هو ذلك اليهودى الذى قتل المتهم بقتل الرئيس كنيدى وهو صاحب ناد ليلى فى مدينة تكساس التى وقع فيها الاعتداء على الرئيس الأمريكى . وقيل ان اليهود هم الذين دبروا هذه الجريمة لتذمرهم من سياسة كنيدى .

وقد نجح اليهود فى شغل مناصب هامة فى كل من انجلترا والولايات المتحدة . ففى انجلترا كان أعضاء البرلمان يحلفون يمينا قبل مباشرة عملهم تتضمن العبارة الآتية : « أقسم بعقيدتى المسيحية الحقة » وهذه العبارة لا يستطيع اليهودى المتدين أن ينطق بها عند حلف اليمين ، فلما انتخب لينول روتشيلد عضوا فى البرلمان فى سنة ١٨٤٧ ورفض أداء اليمين بهذه الصيغة طلب منه أن ينسحب فانسحب . وفى سنة ١٨٥١ انتخب يهودى آخر فى البرلمان هو دافيد سالمونز . وقد رفض أن يحلف اليمين بالصيغة السابقة ــ كما رفض ان ينسحب فاخرج من البرلمان بالقوة . ولكن اليهود عملوا على حذف هذه العبارة فصدر فى سة ١٨٥٨ قانون يسمح لهم بعدم النطق بها أثناء حلف اليمين .

وأدى بنيامين دزرائيلى خدمات جليلة لبنى جنسه أثناء توليه الوزارة. وفى مؤتمر برلين فرض على رومانيا اتخاذ اجراءات خاصة لحماية اليهود .

وكان صاحب الدور الأول فى هذا المؤتمر بالرغم من وجود بسمارك ، مما دعا كثيرا من يهود المانيا والنمسا الى الهجرة الى انجلترا،فوجدوا استقبالا طيبا ومساعدة ثمينة مكنتهم من الحصول على مراكز عالية فى البنوك والصناعة والتجارة . وكان لليهود علاقة وثيقة بولى العهد الذى أصبح الملك ادوارد السابع . وكانوا يقدمون له القروض بدون فوائد وبدون ايصالات . وفى مقابل هذه الخدمات أنعم الملك على كثير منهم بالألقاب المختلفة من سير وبارون ولورد . وبالاختصار وصل اليهود فى انجلترا الى مراكز حساسة فدخل بعضهم فى هيئة أركان حرب الجيش البريطانى فاتخذ الفيلد مارشال سير دوجلاس هيج السير فيليب ساسون اليهودى سكرتيرا خاصا له . وكان ساسون وعائلته ، ورتشيلد ، والسير رفوس ايزاكس Rufus Isaacs الذى أصبح فيما بعد لورد ريدنج Lord Reading من أصدقاء المستر لويد جورج . وفى ابان حكم المستر اسكويث تغلغل نفوذ اليهود فى الحكومة والبورصة والصحافة وزاد عدد اللوردات منهم وبلغ عدد النواب اليهود أكثر من اثنى عشر وعين اثنان فى الوزارة وأصبح اللورد ريدنج نائبا للملك فى الهند . وكان اليهـود يديرون الصحف الآتية : الديلى اكسبريس والديلى نيوز والجرافيك والديلى جرافيـك وكان كثير من الصحف المملوكة للورد نورثكليف تضم عـددا كبيرا من اليهود . وقد زاد نفوذهم مع الوقت حتى استطاعوا ان يحملوا الحكومة البريطانية على اصدار تصريح بلفور وعلى مساعدتهم فى انشاء دولتهم .

أما نفوذ اليهود فى الولايات المتحدة فحدث عنه ولا حرج . ويكفى القول أن جميع من يرشحون أنفسهم لمنصب رياسة الجمهورية يخطبون ود اليهود حتى يفوزوا بتأييدهم بعد أن أصبحوا يسيطرون سيطرة تامة على كبريات الصحف والاذاعة والتليفزيون والسينما والبنوك والبورصة ونوادى اللهو الليلية . كما انهم شغلوا مناصب هامة فى الحكومة . وكان رؤساء جمهورية الولايات المتحدة وما زالوا يختارون كثيرا من مستشاريهم من اليهود ويسندون اليهم مناصب حساسة ذات أثر كبير فى توجيـه

السياسة الأمريكية . ولسنا فى حاجة الى اعطاء أمثلة لذلك فهذا معروف للقاصى والدانى . على اننا نكتفى بذكر مثل واحد حديث هو قرار المستر جونســون رئيس جمهورية الولايات المتحدة بتعيين المستر جولدبرج اليهودى رئيسا لوفد الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة . وقد بلغت الجرأة به ان يعلن على العالم انه يفخر بان يكون صهيونيا بالرغم من انه بحكم منصبه سيكون على صلة بوفود الدول المختلفة لدى الأمم المتحدة ومن بينها وفود الدول العربية .

وضــع اليهــود خطتهــم لتحقيق الهــدف الأول من أهدافهــم وهو انشــاء دولة مســتقلة لهــم فى فلســطين ، فألفوا فى مؤتمــرهم الذى عقدوه فى بال فى سنة ١٨٩٧ لجنتين احداهما للعمل والأخرى لجمع المال وأخذوا يعملون فى صمت وسرية فعرضوا على سلطان تركيا السماح لليهود بالهجرة الى فلسطين وتملك الأراضى فيها مقابل دفع مبلغ كبير من المال له فرفض السلطان عبد الحميد هذا العرض . فعرضت عليهم انجلترا فى سنة ١٩٠٣ أن يستثمروا شبه جزيرة سينا دون استئذان مصر صاحبة شبه الجزيرة ، وسافر من انجلترا خبراء يهود لمعاينة أراضيها ولكنهم رفضوا استعمارها لصعوبة ريها واستثمارها . وقال الاستاذ محمد على علوبة فى كتابه « فلسطين والضمير الانسانى » (ص ٩٦) بمناسبة رفض استعمار سينا ما يأتى « وهنا يقول الدكتور « حاييم وايزمان » فى مذكراته ـــ وهو خليفة هرتســل فى زعامة اليهود وأول رئيس لجمهورية اسرائيل ـــ انه يأسف لرفض اليهود استعمار سيناء وكان من رأيه قبول استعمارها وتوطنها لتكون نقطة يرتكز عليها اليهود فى الوثوب مستقبلا الى جارتها فلسطين . » وعرضت عليهم انجلترا أيضا أوغندا فرفضوها لأنهم لا يبغون بفلسطين بديلا .

حجج اليهود فى تبرير اهدافهم والرد عليها :

يبنى اليهود دعواهم فى انشاء دولة يهودية فى فلسطين على الحجج الآتية :

١ – اسطورة حقهم التاريخى فى فلسطين .

٢ – علاقتهم الدينية بها .

٣ – حقهم فى احياء القومية اليهودية .

٤ – اضطهاد اليهود فى أوربا .

٥ – الوعود التى أعطتها بريطانيا اياهم فى تصريح بلفور وادماجه فى صك الانتداب .

وجميع هذه الأسانيد لا أساس لها فى التاريخ أو القانون الدولى كما يتضح مما يلى :

ففيما يتعلق بأسطورة حقهم التاريخى فى فلسطين فان الثابت فى التاريخ أن يهود العالم ليسوا جميعا من جنس واحد بل هم من أجناس مختلفة . ومعظمهم لا تربطهم بفلسطين أى رابطة الا أن القدس كانت مهبط ديانتهم اليهودية وكان بها هيكلهم ، ذلك أن اليهود الغربيين المعروفين بالاشكناز – وهم يمثلون أكثر من خمسة وسبعين فى المائة من يهود العالم أجمع – لم ينشأوا فى فلسطين ولم تطأ أقدامهم أرضها الا لزيارة الأماكن المقدسة عندهم . وهم من سلالة قبائل الخزر التى اعتنقت الديانة اليهودية فى القرن الثامن أو القرن التاسع بعد الميلاد . وهذه القبائل تنحدر من أصل مغولى ، وكانت تسكن أواسط آسيا ثم نزحت غربا الى روسيا عن طريق الممر الواقع بين جبال الأورال وبحر قزوين ، وانشأت لها فى روسيا مملكة تحت ملك يلقب بـ « الخاقان [1] » .

وجاء فى دائرة المعارف اليهودية العالمية ان « خاقان » الخزر – وكان اسمه بولان – دعا ممثلين للأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام ليشرحوا له دياناتهم ، فقرر بعد ان سمعهم أن يعتنق هو وشعبه الديانة اليهودية .

---

(١) صفحة ١٥ وما بعدها من كتاب
The Iron Curtain Over America by John Beaty.

وقيل ان « بولان » فضل الديانة اليهودية حتى لا يقع تحت سيطرة القيصر الرومانى ان هو اعتنق المسيحية ، أو تحت سيطرة خليفة المسلمين ان هو اعتنق الاسلام .

وكتب الاستاذ هـ . جريتز H. Graetz عن تاريخ اليهود ان خليفة بولان سمى نفسه أوباديا Obadia وهو اسم يهودى وقد بذل جهودا جدية لنشر الديانة اليهودية فدعا حكماء اليهود الى الاستيطان فى مملكته وأجزل لهم العطاء وبنى الهياكل والمدارس وتعلم هو ورعيته التـــوراة والتلمود .

ولم ينشأ من اليهود فى فلسطين الا سلالة سيدنا ابراهيم . وهم اليهود الشرقيون المعروفون بالسفراويم وهؤلاء عاشوا فى العالم العربى فى وفاق وأمان مع بقية السكان . وكانوا يتمتعون بجميع الحقوق لا فرق بينهم وبين المسلمين والمسيحيين . وحتى هؤلاء اليهود الشرقيون لم يكونوا من أصل فلسطينى بل هم كلدانيون هاجروا مع ابراهيم وابيه الى فلسطين وكانت تسمى فى ذلك الوقت « أرض كنعان » فقد جاء فى الاصحاح الحادى عشر من سفر التكوين ما يأتى « وأخذ تارح ابرام ابنه ولوطا بن هاران بن ابنه وساراى كنته امرأة ابرام ابنـــه فخرجوا معـــا من أور الكلدانيين ليذهبوا الى أرض كنعان فاتوا الى حاران واقاموا هناك . »

ولم يذكر التاريخ أن اليهود سيطروا على فلسطين جميعها أو حتى على الجزء الأكبر منها مدة طويلة بل كانت سيطرتهم على اجزاء صغيرة لمدة لا تزيد على أربعمائة سنة بدأت بحكم داوود الذى حارب الفلسطينيين وانتصر عليهم وخلفه على العرش ولده سليمان عام ١٠٤٩ ق.م. وبعد وفاته انقسم اليهود الى قسمين مملكة فى الشمال هاجمها ملوك الاشوريين فى سنة ٧٢١ ق.م. ودكوا عرشها ونقلوا أهلها الى المنفى . ومملكة فى الجنوب كانت بدورها طعمة للفاتح البابلى الذى دخل القدس واحرق الهيكل واسر سكانها وحولها الى مقاطعة بابلية فى سنة ٥٨٦ ق.م.

ولما فتح الرومان فلسطين رجع اليها اليهود واعادوا بناء الهيكل . وفى سنة ١٣٢ م قاموا بثورة ضد الرومان سحقها الامبراطور هدريان وهـدم الهيكل وحرم على اليهود السكن فى القدس . ومنذ فتح الرومان لفلسطين حتى نهاية الحرب العالمية الأولى لم يكن لليهود شأن يذكر فى فلسطين

وقد زعم اليهود أن تفكيرهم فى العودة الى فلسطين لم ينقطع منذ ان أخرجهم منها الرومان فى سنة ١٣٢ م . وهذا زعم باطل ، فلم يسجل التاريخ لهم أى عمل ايجابى يدل على وجود هذا التفكير عندهم قبل أول مؤتمر عقدوه فى مدينة بال فى سنة ١٨٩٥ برياسة الدكتور تيودور هرتسل . والثابت فى ذلك المؤتمر ان هرتسل نفسه — وهو صاحب فكرة انشاء دولة يهودية لم يفكر فى انشائها فى فلسطين بالذات ، وانما فكر فى انشاء وطن قومى لليهود فى أى بقعة فى العالم سواء فى ذلك أواسط أفريقيا أو فى أمريكا اللاتينية أو فى غيرها . الا أن غالبية المجتمعين لم يوافقوه على رأيه .

أما عن علاقة اليهود الدينية بفلسطين فمن المقرر فى القانون الدولى ان الحقوق الدينية لا يمكن ان يترتب عليها حقوق سياسية . فلم تزعم مثلا أية دولة مسيحية ان من حقها ان تستعمر فلسطين لأن السيد المسيح عليه السلام ولد بها . وقام بنشر تعاليمه فيها ، ومنها انتشر رسله وحواريوه فى مشارق الأرض ومغاربها . ولم تزعم دولة من الدول الاسلامية ان من حقها أن تتدخل فى شئون المملكة العربية السعودية لأن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم قام بالدعوة للأسلام فى أراضيها وبها توجد مكة المكرمة والمدينة المنورة .

وفيما يتعلق بزعم اليهود ان من حقهم احياء القومية اليهودية فالرد على ذلك انه ليس لليهود قومية ، لعدم توافر العوامل التى تلزم لقيـام القومية . فهم لاينتمون الى جنس واحد ولايشتركون فى العادات والتقاليد وليست لهم لغة واحدة . ولا أدل على أن هذه القومية لم توجد ولن توجد

من ان التمييز العنصرى يوجد اليوم فى اسرائيل بين الأجناس اليهودية المختلفة بشكل يقرب من التمييز العنصرى القائم فى جنوب افريقيا بين البيض والافريقيين . فمن المعروف ان اليهود الاوروبيين فى اسرائيل لايعاملون اليهود اليمنيين واليهود الهنود على قدم المساواة ولايسمحون لهم الا بمزاولة الأعمال الحقيرة ككنس الشوارع وما أشبه . ونشرت صحيفة الأخبار فى عددها الصادر يوم ١٨/٨/١٩٦٤ برقية لرويتر أرسلها مراسله من اسرائيل جاء فيها ما يأتى :

« نشبت أزمة حادة فى البرلمان الاسرائيلى بين الحكومة ورجال الدين بشأن طائفة (بنى اسرائيل) المهاجرة من الهند وتعدادها نحو ٨٫٠٠٠ شخص . طالب ليفى أشكول رئيس الوزراء خلال الجلسة من الحاخام الأكبر الافتاء برفع قيود الزواج الخاصة بهذه الطائفة . ودعا اشكول الى مساواة هذه الطائفة بجميع الطوائف اليهودية الأخرى وحذر من ان موقف الدين من هذه القيود سيضر بالقانون الاسرائيلى الذى وضع الحكم فى قضايا الزواج والطلاق فى يد رجال الدين كما سيضر بخطط اسرائيل المقبلة لاستقبال المهاجرين على نطاق واسع من بلاد حرمت اليهود من شعائرهم الدينية . والمعتقد انه يقصد يهود الاتحاد السوفيتى .

« ولكن الحاخام رفض كل محاولات من السلطة التنفيذية لفرض رغباتها فى المسائل الدينية . وقد صدر قرار البرلمان بتأييد موقف الحكومة » .

أما عن اضطهاد اليهود فى أوربا فليس العرب بمسئولين عنه ، وانما المسئول عنه هم اليهود انفسهم ، ذلك انهم عرفوا بعدم الولاء للبلد الذى يؤويهم ، يتعالون على أهله اعتقادا منهم بأنهم شعب الله المختار ، يعيشون فى عزلة عن باقى السكان فى أحياء مستقلة تسمى فى المدن الأوربية الجيتو Ghetto ، يجمعون الأموال الطائلة باسهل السبل ، واذا جمعوا المال حبسوه فلا ينفقون منه شيئا فى خير ينال غيرهم ، يضنون بأرواحهم عن

الذود عن البلد الذى اطعمهم وآمنهم فلا يذهبون الى الحرب اذا استطاعوا الى ذلك سبيلا ، واذا ذهبوا يحاولون ان يبقوا وراء الخطوط . كل هذا معروف عنهم لاتباعهم تعاليم التلمود التى تدعوهم الى هذا السلوك ونذكر مثلين من هذه التعاليم :

(ا) « اذا كان لابد من أن تذهب الى الحرب فاجتهد أن تكون آخر من يذهب وأن تكون أول من يعود » .

(ب) « ان اليهودى الذى يتسبب فى أن يجعل نقود يهودى تذهب الى غير يهودى يستحق ان يعاقب بالموت (١) » .

فلا عجب أن يكون اليهود المتمسكون بهذه التعاليم موضعا للاضطهاد فى جميع أنحاء العالم .

وقد أوصت جميع اللجان الدولية التى ألفت لبحث حالة اليهـود المشردين فى أوربا بعدم تهجير أى عدد منهم الى فلسطين . واقترحت توزيعهم على بلاد العالم الأخرى التى تستطيع استيعابهم كاستراليا وكندا وأمريكا اللاتينية والولايات المتحدة . ولكن جميع هذه البلاد بما فيها الولايات المتحدة رفضت قبولهم .

تصريح بلفور
وأثره على العرب واليهود

وأما عن تصريح بلفور فهو تصريح باطل لمخالفته للقانون الدولى العام . ذلك ان فلسطين لم تكن ملكا لبريطانيا ولا مستعمرة لها فى يوم من الأيام حتى تستطيع التصرف فيها،وانما احتلتها باسم الحلفاء الذين كان العرب شركاء لهم ، فقد ساهموا بجيش كان له أثر كبير فى هزيمة الاتراك

---

(١) صفحة ١٩٩ من كتاب

Le Peril Juif - Le Regne D'Israel Chez les Anglo Saxons
Lambelin Roger.

وتحرير فلسطين وسوريا . والتصريح باطل لأنه يتعارض مع الوعود التى قطعتها بريطانيا للعرب بشأن المحافظة على حقوقهم فى المكاتبات التى تبادلتها مع شريف مكة .

ولكن بريطانيا كانت تقدر أهمية الشرق التاريخيـــة الذى يعتبر فى الواقع قنطرة أرضية بين آسيا وأوربا وافريقيا ، كمـا تكون البحار التى تخترقه طريقا بين أوربا وآسيا واستراليا . وقد اتبعت شركات طيران نصف الكرة الشرقى هذا الطريق الطبيعى . كما أن اكتشاف البترول فى هـــذه المنطقة الذى يمثل أكثر من ثلث بترول العالم جعلها ذات أهمية استراتيجية فقررت انجلترا أن تخلق دولة يهودية تعقد معها معاهدة تضمن لها البقاء فى هذه المنطقة ان هى اضطرت الى الجلاء عن البلاد العربية . ومهدت لذلك باصدار ذلك التصريح لتنفيذ هذه السياسة ، ولتكسب به الى جانب ذلك مساعدة اليهود لها فى الحرب وقوتهم المـالية معروفة . ونفـــوذهم فى الولايات المتحدة كبير . ولكن هذه السياسة باءت بالفشل وفقدت بريطانيا نفوذها فى هذه المنطقة بعد طردها من مصر والعراق والأردن . وقد أصبحت اليوم دولة من الدرجة الثانية وكانت دولة عظمى من الدرجة الأولى . ولن يمضى وقت طويل حتى تطرد من باقى القواعد التى تحتلها فى هذه المنطقة .

وادماج ذلك التصريح فى صك الانتداب لا يضفى عليه شرعيـــة لأن ادماجه فى ذلك الصك مخالف لنص المـادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم التى تنص على « أن الأقاليم التى كانت خاضعة لتركيا وقد وصلت الى حالة من الرقى تسمح بالاعتراف مؤقتا بوجودها كأمم مستقلة توضع تحت انتداب دولة ترشدها فى ادارة شئونها بالنصائح والمساعدات الى أن يأتى اليـوم الذى تصبح فيه قادرة على أن تقوم بادارة شئونها بنفسها ، وأن الغرض من هذا الانتداب هو أن سعادة الشعوب الموضوعة تحت الانتداب ورقيها يعتبران أمانة مقدسة فى عنق المدنية وانه من المتفق عليه أن يتضمن هـذا العهد الضمانات اللازمة لأداء هذه الأمانة » . وطبقا لهذه المادة فان واجب الدولة التى تنتدب على فلسطين هو أن ترشدها بالنصائح والمساعدات الى

أن يأتى اليوم الذى تصبح فيه قادرة على أن تقوم بادارة شئونها بنفسها . ولم تنص المادة على أن من حق الدولة المنتدبة أن تسمح بادخال مهاجرين لأى سبب من الأسباب فى الاقليم الموضوع تحت الانتداب ولا أن تتصرف فيه بأى وجه من الوجوه . فادماج تصريح بلفور فى صك الانتداب لا يصحح وضعه لمخالفته لأحكام عهد عصبة الأمم .

وقد صدر هذا التصريح فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ وأبلغه المستر بلفور الى اللورد روتشيلد ليقوم الأخير بابلاغه الى المنظمة الصهيونية . فهو تصريح صادر من حكومة الى فرد من رعاياها . ولم يعرف فى القانون الدولى العام أن تصريحا يصدر من حكومة ويبلغ الى شخص عادى من رعايا تلك الحكومة يعتبر وثيقة دولية تدمج فى المعاهدات الدولية . ولكن القوة تخلق من الباطل حقا وتنشىء قواعد فى القانون الدولى تخدم مصالح الأقوياء وأغراضهم وهكذا أدمج ذلك التصريح فى صك الانتداب . وفيما يلى نصه :

« يسرنى جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك التصريح الآتى الذى ينطوى على العطف على الأمانى الصهيونية . وقد عرض على الوزارة وأقرته .

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى انشاء وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل أقصى جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية .

« على أن يفهم جليا أنه لن يعمل أى شىء يغير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلاد الأخرى .

« وأكون شاكرا لو أنكم أبلغتم هذا التصريح الى المنظمة اليهودية » .

وتنفيذا لهذا التصريح تضمن صك الانتداب قواعد خاصة ، أهمها أن بريطانيا تعهدت بأن تراعى فى التنظيم السياسى والادارى والاقتصادى

لفلسطين ايجاد الظروف التى تضمن انشاء وطن قومى لليهود وترقية مؤسسات الحكم الذاتى ، وأنها تعترف رسميا بوجود المنظمة اليهودية الخاصة التى يحق لها أن تشترك مع ادارة فلسطين فى جميع المسائل التى تمس انشاء هذا الوطن القومى أو مصالح الشعب اليهودى فى فلسطين . وكان يطلق على هذه المنظمة حتى سنة ١٩٢٩ « المنظمة الصهيونية » . وحل محلها « الوكالة اليهودية » وتشمل الأخيرة ممثلين للمنظمة الصهيونية والمجمعيات اليهودية فى الدول المختلفة . كذلك من القواعد التى أضيفت الى صك الانتداب أن تقوم الدولة المنتدبة بتسهيل الهجرة اليهودية الى فلسطين . وبأن ينص فى قانون الجنسية الذى تسنه على السماح للمهاجرين اليهود الذين يقيمون فى هذه الديار اقامة دائمة بالتجنس بالجنسية الفلسطينية مراعى فى ذلك كله عدم المساس بحقوق ومصالح باقى سكان فلسطين .

وقد أثار هذا التصريح ثائرة العرب الذين حاربوا الى جانب بريطانيا ضد الأتراك ووعدوا بالحصول على استقلالهم . فأرسلت بريطانيا الى شريف مكة الكولونيل هوجارث ليطمئنه على فلسطين . وقد تضمنت الرسالة التى أبلغها هوجارث لشريف مكة شفويا وسجلها الشريف ما يأتى :

« فيما يتعلق بفلسطين فان الحكومة البريطانية مصممة على أنها لن تسمح باخضاع طائفة لأخرى . ولكن نظرا لوجود أماكن مقدسة لدى المسلمين والمسيحيين واليهود تهم العالم خارج فلسطين لا بد من وضع نظام خاص لهذه الأماكن يوافق عليه العالم . وسيعتبر المسجد الأقصى خاصا بالمسلمين ولن يخضع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة الى أى سلطة غير مسلمة .

« وبما أن اليهود فى العالم يريدون العودة الى فلسطين ، ونظرا لأن الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف الى تحقيق هذه الأمنية فانها ترى أنه لا يجوز وضع أى عائق ضد تحقيق هذه الأمنية طالما أنها لا تتعارض مع حرية السكان الموجودين من الناحية الاقتصادية والسياسية » .

وهذه الرسالة لا تمحو شيئا من تصريح بلفور ولا يختلف مضمونها عن مضمونه . الا فى أنها ذكرت حقوق العرب السياسية التى أغفلها التصريح .

وتدعى بريطانيا أن فلسطين لم تكن ضمن الأقاليم العربية التى وعدت باستقلالها . وكتب السير هنرى مكمهون خطابا نشرته لندن تيمس فى ٢٣-٧-١٩٣٧ يزعم فيه أن الوعد الذى قطعته بريطانيا على نفسها باستقلال الأقاليم العربية لا يشمل فلسطين . ولكن من الثابت أن خطابات مكمهون للشريف حسين لم تستثن فلسطين اطلاقا فى أى واحد منها .

وقد نشب خلاف كبير حول تفسير هذا التصريح لغموض عباراته فعبارة « وطن قومى » جديدة على القانون الدولى ، وليس هناك سوابق يمكن أن يستند اليها فى تحديد معناها ، ولم تقدم الحكومة البريطانية أى تعريف لها ، فذهب البعض الى أنها تعنى كلمة « دولة » أو «كمنولث» (الممتلكات الحرة) وذهب آخرون الى أنها تعنى « مركزا ثقافيا » أو « مكانا لاقامة اليهود » . كذلك لم يحدد التصريح ماذا يعنى بعبارة « ان الحكومة ستبذل كل جهدها لتسهل تحقيق هذا الغرض » فهل يقصد من كلمة تسهل التأييد العملى أو عدم اقامة عراقيل فقط . كذلك أغفل التصريح عمدا الحقوق السياسية للعرب فى حين أنه ذكرها بالنسبة لليهود فى الدول الأخرى اذ قال « لن يحدث شىء يغير الحقوق والحالة السياسية التى يتمتع بها اليهود فى البلاد الأخرى » . وأخيرا فان صياغة التصريح تضع العرب وهم غالبية سكان البلاد فى وضع الأقلية فى حين أن عددهم كان يبلغ وقت صدور التصريح خمسماية وثمانية وستين ألفا مقابل ثمانية وخمسين ألفا من اليهود .

وكانت الحكومة البريطانية تفسر تصريح بلفور حسب مقتضيات الأحوال . فاذا زاد ضغط العرب عليها فسرته فى صالحهم . واذا كان ضغط اليهود عليها أقوى فسرته فى صالحهم . وهذا الموقف المذبذب يظهر بجلاء

من دراسة الكتب التى أصدرتها الحكومة البريطانية والبيانات والخطابات الرسمية التى نشرتها بشأن سياستها فى فلسطين .

فعندما ازداد استياء العرب من موقف الحكومة البريطانية ورأوا بداية تدفق اليهود الى بلادهم ثاروا فى سنة ١٩٢١ وهاجموا اليهــــود فى يافا وغيرها . وقد رأت الحكومة البريطانية أن تفسر تصريح بلفور بما يهدىء روعهم ولا يتعارض مع ما قطعته من وعود لليهود فأصـــدرت كتابا أبيض ـ أصدره تشرشل ـ فى ١٩٢٢/٧/١ جاء فيه « ان حالة التوتر التى تسود فلسطين بين وقت وآخر مردها الى المخاوف التى تنتاب العرب واليهود . ومخاوف العرب ناجمة من التفسيرات المبـالغ فيها التى فسر بها تصريح بلفور . من ذلك أن بيانات غير رسمية صدرت مؤداها أن الغرض من هذا التصريح هو جعل فلسطين كلها يهودية . وأن الحكومة البريطانية تعتبـر هذه البيانات غير عملية وليس لديها مثل هـــذا الهدف ولم يكن فى نية الحكومة البريطانية مطلقا أن يختفى العرب من فلسطين أو يخضعوا هم أو لغتهم أو ثقافتهم لليهود . ان الحكومة البريطانية توجه النظر الى أن عبارات التصريح لا تدعو الى تحويل فلسطين كلها الى وطن قومى لليهود ولــكن يجب انشاء مثل هذا الوطن فى فلسطين .

« وفيما يختص بمخاوف اليهود فانها آتيــة من ظنهم أن الحــكومة البريطانية ستترك السياسة التى تضـمنها تصريح ســـنة ١٩١٧ . وترى الحكومة البريطانية أنه من الضرورى أن تؤكد مرة أخرى أن هذه المخاوف لا أساس لها وأن هذا التصريح غير قابل لأى تغيير » .

وفسر الكتاب الأبيض المقصود بالوطن القومى لليهود فقــال « انه لا يعنى فرض الجنسية اليهودية على سكان فلسطين اجمالا بل يعنى زيادة نمو الطائفــة اليهودية بمساعدة اليهود الموجودين فى أنحاء العالم حتى تصبح مركزا يكون فيه للشعب اليهودى برمته اهتمام وفخر من الوجهتين الدينية والقومية . ولكى تستطيع هذه الطائفة أن تحصل على النمو الحر

وأن تقدم فرصة كاملة لأفرادها لاظهار مقدرتهم ــ من الضرورى أن تعرف أن وجودها فى فلسطين انما هو حق لها لا تسامح من غيرها . وهــذا هو السبب الذى من أجله يجب اعطاء ضمان دولى للوطن القومى اليهــودى وانه من الواجب أن يعترف به على أساس التاريخ القديم » .

ولم يعلم العرب شيئا عن نوايا اليهود وأهدافهم قبل صــدور تصريح بلفور فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ . وبعد صدور هـــذا التصريح بدأ العرب يستيقظون من سباتهم ، ولكن الصحوة كانت بطيئة وفى دائرة ضــيقة لم تتعد فلسطين ، اذ بقيت البلاد العربية الأخرى تغط فى نومها، بدليل أن شخصيات عربية كبيرة حضرت حفل افتتاح الجامعة العبرية فى القـــدس ممثلة لبلادها فى ذلك الحفل فى سنة ١٩٢١ .

وظل العرب على جهلهم بأخبار المؤتمرات الصهيونية وما يدور فيها ، وبالأعمال التى قام بها الصهيونيون لتحقيق أهدافهم من تكوين لجــان وبنوك ، واتصال بالسلطان عبد الحميد بقصد الحصول على موافقتـــه لاستعمار فلسطين مقابل مبالغ عرضوها عليه ، وبالعروض التى عرضــتها عليهم انجلترا لاستعمار جزء من أوغندا أو شبه جزيرة سينا . وبلغ جهل العرب أنهم لم يعرفوا ما تقوم به المنظمة الصهيونية فى بلادهم فقد أنشأت هذه المنظمة مركزا لها فى القاهرة فى سنة ١٩٢٠ وآخر فى القدس .

وكان من المفروض فى العرب — وقد صدموا بتصريح بلفور — أن يتنبهوا للخطر الذى كان محدقا بهم ثم صار حقيقــة بين ظهرانيهم ، وأن يوحدوا صفوفهم ، ولكنهم ظلوا شيعا متفرقة وأحزابا متنافرة لا فرق فى ذلك بين فلسطين وسوريا ، وقد كانت فلسطين جزءا من سوريا تحت الحكم العثمانى .

ففى فلسطين تألفت أحزاب متعددة قامت على نظام اقطاعى ، ذلك أن الأحزاب كانت تمثل الأسر الكبيرة ، وقد بلغ عددها فى سنة ١٩٣٥ أكثــر من خمسة ، علما بأن فلسطين بلد صغير لا يحتمل تكوين مثل هذا العدد

من الأحزاب . فالحزب العربى كان يمثل أسرة الحسينى ، وحزب الدفاع كان يمثل أسرتى النشاشيبى وطوقان ، وحزب الاصلاح يمثل أسرة الخالدى وحزب الاستقلال يمثل أسرة عبدالهادى . وهذا بخلاف أحزاب أخرى صغيرة .

أما فى سوريا فقد كان هناك حزب الاتحاد السورى وقد ألفه السوريون المقيمون فى مصر وأرسل الحزب بعض أعضائه الى فلسطين وسوريا ولبنان للدعاية له ، وحزب الاستقلال العربى ، وحزب العهد السورى والحزب السورى المعتدل ،والحزب السورى اللبنانى .والى جانب ذلك كانت هناك جمعيات كثيرة لم تكن مرتبطة بحزب من الأحزاب . ولم تفعل الأحزاب السورية شيئا يذكر ضد تصريح بلفور . وقد تكونت هذه الأحزاب بعد صدور ذلك التصريح فكان التصريح أمامها وقت وضع برامجها ، وكان من واجبها أن تتعرض له ، وأن يكون من بين برامجها خطة لمناهضته . ولكن الأحزاب السورية لم تكن تهتم الا بسوريا ولبنان فخلت برامج أحزابها من شىء ذى أثر بالنسبة لفلسطين .

تلك كانت حال العرب بعد صدور تصريح بلفور . ونتيجة لهذه الحال كان جهد العرب فى العمل لدفع الخطر الصهيونى ضعيفا ، فلم تكن لهم زعامة قوية ماهرة ينضوون تحت لوائها متحدين متكاتفين ، وكان كفاحهم فى بداية الأمر قاصرا على الاحتجاج ، ثم انتقل من الاحتجاج الى القيام بالمظاهرات ، ثم الى الاضراب ، وأخيرا الى السلاح ولكن سلاحهم كان قليلا ، وفنهم فى استعماله كان هزيلا .

بدأ عرب فلسطين جهادهم ضد اليهود عندما رأوا حشودهم ترفع العلم الصهيونى على حائط المبكى فى يوم ١٥ أغسطس سنة ١٩٢٩ (وكان اليوم المذكور عيد الصيام عند اليهود) فهجم العرب على اليهود فى القدس ثم امتدت الاضطرابات الى مدن عديدة . وقامت فى البلاد العربية مظاهرات لتأييد عرب فلسطين . هذا اليوم هو تاريخ بداية الجهاد الفلسطينى .

واستمرت الاضطرابات بين وقت وآخر . وكانت الحكومة البريطانية ترسل لجان تحقيق الى فلسطين لتستقصى أسباب الاضطرابات ، ولم تكن الحكومة البريطانية فى الواقع فى حاجة الى تقصى أسباب الاضطرابات ، فهذه الأسباب معروفة لها ، ولكن تلك كانت سياسة هذه الحكومة الماكرة. انها ترسل هذه اللجان لتهدئة شعور العرب الثائرين ، ولتكسب الوقت فى تنفيذ خطتها المقررة .

ونستعرض فيما يلى بايجاز تقارير أهم اللجان :

لجنة شـــو :

أرسلت الحكومة البريطانية لجنة لتحقيق أسباب الاضطرابات التى وقعت فى أغسطس سنة ١٩٢٩ برئاسة المستر شو ، وتقديم الاقتراحات التى تؤدى الى عدم العودة للاضطرابات . فباشرت مهمتها فى أكتوبر سنة ١٩٢٩ واستمعت الى العرب واليهود ووضعت تقريرها فى ١٢ــ٣ــ١٩٣٠ متضمنا أن الاضطرابات لم تكن جديدة وأن سببها عداء العرب لليهود نتيجة لعدم تحقيق مطالبهم السياسية والقومية وخوفا على مستقبلهم الاقتصادى اذ يخشون أن يؤدى شراء اليهود للأراضى الى حرمانهم من أرزاقهم ووضعهم تحت سيطرة اليهود . واقترحت اللجنة ما يأتى :

١ — ان أول شىء يجب على الحكومة البريطانية أن تفعله هو أن تصدر بيانا واضحا عن السياسة التى تعتزم اتباعها فى فلسطين . وأيا كانت هذه السياسة فان البيان يكون ذا فائدة كبيرة اذا اشتمل على تعريف واضح ايجابى عن المعنى الذى تعطيه الحكومة البريطانية لما جاء فى صك الانتداب عن حقوق غير اليهود فى فلسطين ، اذ أن بيان المستر تشرشل الذى نشر فى سنة ١٩٢٢ لم ينجح فى ازالة الغموض الذى ساد البلاد بشأن سياسة الحكومة . واشتمل أيضا على تعليمات لادارة فلسطين أكثر وضوحا من أى تعليمات سابقة بشأن موضوعى الأراضى والهجرة .

٢ — تعتقد اللجنة أنه اذا لم تزد الهجرة عن مقدرة البلاد للاستيعاب فانها تكون مفيدة ، وأن الأزمة الاقتصـــادية فى سنتى ١٩٢٧ و ١٩٢٨ كانت ناتجة من أن عدد المهاجرين الذين وصلوا الى البلاد كان أكبر مما تستطيع البلاد استيعابه . وأن اللجنة تقترح انشاء جهاز يشترك فيه غير اليهود ويؤخذ رأيه فى الهجرة .

٣ — ترى اللجنة أنه فى المدة بين ١٩٢١ و ١٩٢٩ طرد كثير من العرب من الأراضى التى كانوا يستأجرونها نتيجة لبيعها لليهود ولم يكن هناك أرض أخرى يستطيع هؤلاء أن ينتقلوا اليها ، ولم تشتمل القوانين المعمول بها على ما يمنع حركة البيع . واقترحت اللجنة تطـــوير الزراعة ووضع حد لطرد المزارعين من الأراضى .

٤ — ان خيبة الأمل التى أصابت العرب بسبب عـــدم تمتعهم بالحكم الذاتى أثارت الصعوبات بالنسبة لحكومة فلسطين .

٥ — استاء العرب من المـــادة الرابعة من صك الانتـــداب التى منحت المنظمة الصهيونية سلطات خاصة لم يمنح العرب مثلها .

٦ — ضرورة رقابة المقـــالات التى تنشرها الصحف وتؤدى الى تعكير السـلام .

لجنة الانتداب الدولية :

وقد اجتمعت فى جنيف لجنة الانتداب الدولية المنوط بها رقابة تنفيذ صك الانتداب فى المدة من ٣ الى ٢١ يونيه سنة ١٩٣٠ وحضر الاجتماع ممثل الحكومة البريطانية الذى أدلى ببيان واف عن موقف حكومته وقد رفعت اللجنة المذكورة تقريرها الى مجلس عصبة الأمم جاء فيه ما يأتى :

« ان اللجنة تشك فى براءة الزعماء العرب من اثارة الاضطرابات التى وقعت فى أغسطس سنة ١٩٢٩ . ومن الخطأ القول بأن الاضطرابات لم تكن موجهة ضد بريطانيا لأنها كانت موجهة ضد اليهود فقط . أو أن الاضطرابات لم توجه ضد تنفيذ بريطانيا لصك الانتداب . واتهمت اللجنة بريطانيا بعدم بعد النظر لأنها لم تر الخطر من تسلسل الحـــوادث التى أدت الى ثورة

العرب . ولم تستعمل الحكومة سلطتها فى منع نشر المقالات المثيرة، كما أن قواتها لم تكن كافية لمنع الاضطرابات . وتعتقد اللجنة أن بريطانيا لم تعمل كل ما فى وسعها منذ بداية الانتداب لمنع انفجار العداء .

« ولو أن بريطانيا اهتمت بتهيئة حالة العرب الاجتماعية والاقتصادية لقبول الهجرة اليهودية لكان ذلك فى مصلحة الطائفتين . وفضلا عن ذلك لو أن بريطانيا حاولت عند تنظيم البلاد اقتصاديا أن تجمع بين الطائفتين لاختلطت المصالح . واختلاط المصالح هو أحسن وسيلة لتنمية روح التضامن والقضاء على روح العداوة .

« واتجهت اللجنة الى تأكيد :

١ — ان الالتزامات التى تضمنها صك الانتداب بالنسبة للفريقين متساوية .

٣ — ان الالتزامات المفروضة على الدولة المنتدبة ليست متعارضة اطلاقا

وترى اللجنة أن تفسير صك الانتداب بالنسبة لفلسطين كثيرا ما خلط بين أمرين مختلفين وهما :

١ — أهداف الانتداب .

٢ — الالتزامات المباشرة الملقاة على الدولة المنتدبة .

فأما فيما يتعلق بأهداف الانتداب فهى :

١ — انشاء وطن قومى لليهود .

٢ — انشاء الحكم الذاتى .

وفيما يتعلق بالالتزامات المباشرة على الدولة المنتدبة فهى :

١ — وضع البلاد فى حالة تضمن انشاء الوطن القومى لليهود .

٢ — وضع البلاد فى حالة تضمن انشاء الحكم الذاتى .

وهذان الالتزامان متساويان ليس لأحدهما أسبقية على الآخر فى التنفيذ

ومما تجدر ملاحظته بشأن قرار لجنة الانتداب الدولية أنه يتفق الى حد بعيد مع آمال اليهود . ولا شك أن هذا راجع الى سعى اليهود لدى أعضاء اللجنة لاستمالتهم وحملهم على تأييد وجهة النظر اليهودية .

وقد سافر وفد فلسطينى الى لندن فوصلها فى ٣٠ مارس سنة ١٩٣٠ وقدم مذكرة للحكومة البريطانية بمطالب العرب وهى وقف الهجرة وسن تشريع لمنع انتقال الأراضى التى فى يد العرب الى اليهود وتأليف حكومة وطنية مسئولة أمام مجلس نيابى يشترك فيه أهل البلاد بنسبهم العددية. ولكن الحكومة البريطانية رفضت تلك الطلبــات لأنها تتطلب تغيــيرات دستورية تعرقل عملها فى التزاماتها بمقتضى الانتداب . وقررت ايفاد خبير لدراسة مسألتى الأراضى والهجرة . وقد وصل هذا الخبير ــ السيرجون هوب سمسون ــ فى مايو سنة ١٩٣٠ وعلى أثر وضع تقريره أصــدرت الحكومة البريطانية ــ وكانت حكومة العمال ــ كتابا أبيض سنة ١٩٣٠ أكدت فيه أنها لن تتخلى عن التزاماتها الناجمة من صك الانتداب الذى يعتبر وثيقة دولية لا يمكن العدول عما تضمنتها . ثم أشار الى بيــــان الحكومة فى سنة ١٩٢٢ ــ وكانت اذ ذاك حكومة المحافظين ــ فقــــال الكتاب ان البيان الذى تضمنه كتاب سنة ١٩٢٢ هو الأساس الذى تبنى عليه السياسة البريطانية المقبلة فى فلسطين ، وان الالتزامين المفروضين فى صك الانتداب بشأن فريقى السكان هما من درجة متساوية . وقال ان اليهود يخطئون اذ يعتبرون من أهم أغراض الانتداب هو اقامة وطن قومى لليهود ، وان حقوق الطوائف الأخرى تعتبر ثانوية كما أنهم يخطئون فيما يزعمونه من أن لهم حقا فى الادارة .

ومما يسترعى النظر أن سياسة بريطانيــا تجاه فلســطين لا تختلف باختلاف وزارتها فقد أعلنت وزارة العمال فى هذا الكتاب أن ســياستها فى صدد فلسطين هى نفس الســـياسة التى وضعها المســـتر تشرشل الاستعمارى الكبير فى كتابه الأبيض الذى أصدره فى سنة ١٩٢٢ .

هاج اليهود ضد هذا الكتاب وعبأوا قواهم للحملة عليه ، ونجحت خطتهم فدعت الحكومة البريطانية أعضاء الوكالة اليهودية الى الاجتماع بها وأسفرت المناقشات بينها وبينهم عن كتاب وجهه رئيس الوزراء المستر مكدونالد الى الدكتــور وايزمن فى ١٣ فبراير سنة ١٩٣١ نسخ فيه أكثر

ما جاء فى الكتاب الأبيض ، وقال المستر ماكدونالد ان كتابه هو المستند الوحيد الذى يفسر الكتاب الأبيض .

ويثور التساؤل هنا لماذا ثار اليهود ضد الكتاب الأبيض الذى صدر فى سنة ١٩٣٠ ولم يثوروا ضد الكتاب الأبيض الذى صدر فى سنة ١٩٢٢ مع أن الكتابين لا يختلفان فيما تضمناه من سياسة ؟

والرد على هذا التساؤل هو أن اليهود فى سنة ١٩٢٢ لم يصلوا الى القوة التى وصلوا اليها فى سنة ١٩٣٠ . ومع مرور الزمن ازدادت قوتهم نتيجة لنشاطهم وتنظيماتهم المحكمة التى لا تقتصر على اليهود المقيمين فى فلسطين وانما تشمل اليهود فى كافة أنحاء العالم ، وهؤلاء يضمون كبار الماليين والمسيطرين على الصحافة ووسائل الاعلام المختلفة . وفى سنة ١٩٣٠ استطاع الصهيونيون أن يعبئوا قوى اليهود فى العالم فأخذت الحكومة البريطانية تنظر الى قوة اليهود فى سنة ١٩٣٠ نظرة تختلف عن نظرتها لهم فى سنة ١٩٢٢ .

وقد سبق أن قلنا ان بريطانيا كانت تفسر هذا التصريح حسب مقتضيات الأحوال ، فاذا ضغط العرب عليها فسرته فى صالحهم ، واذا ضغط اليهود عليها فسرته فى صالحهم . وقد كان ضغط اليهود عليها فى سنة ١٩٣٠ شديدا فتراجعت عما جاء فى الكتاب الأبيض الأخير ، واضطر المستر مكدونالد أن يبعث بخطاب الى الدكتور وايزمن ناسخا معظم ما جاء فى الكتاب الأبيض المذكور .

وقد جاء فى ص ٧٨ و ٧٩ من البحث الذى وضعته مكتبة الكونجرس الأمريكية عن قضية فلسطين ما يأتى :

« لقد تضمن هذا الخطاب تغييرا واضحا فى سياسة الحكومة البريطانية وقال المستر مكدونالد ان هذا الخطاب هو التفسير الرسمى للكتاب الأبيض . وأكد عزمه أنه سينفذ أحكام صك الانتداب ، وأنه لا يوافق على أى ادعاءات ضد الشعب اليهودى . وأوضح المستر مكدونالد أنه فيما يتعلق بالأراضى المملوكة للحكومة فلن يعطى العرب منها شيئا الا

للذين تم الاستيلاء على أراضيهم . كما ذكر أن الهجرة لن توقف ، ولكن ستنظم طبقا لقدرة البلاد على الاستيعاب . واعترف للوكالة اليهودية بحقها فى استخدام العمال اليهود فقط » .

وقد اضطر عرب فلسطين ازاء ما رأوه من ازدياد قوة اليهود الى أن يتحدوا ، وكانوا أحزابا متنافرة ، فأنشأوا اللجنة العربية العليا ، وقاموا بثورتهم الكبرى فى سنة ١٩٣٦ وتقرر الاضراب العام فأرسلت بريطانيا قوات اضافية لاخماد الثورة . وتدخل ساسة الدول العربية فى الأمر . ولم تعدل اللجنة العربية العليا عن قرار الاضراب الا بعد أن أشارت عليها بذلك حكومات العراق والعربية السعودية والأردن .

لجنة بيل :

وقررت بريطانيا ارسال لجنة لبحث أسباب الاضطرابات (لجنة بيل) وقد وضعت هذه اللجنة تقريرها الذى نشر فى ١٩٣٧/٧/٧ جاء فيه :

ان أسباب الاضطرابات التى وقعت فى السنوات المختلفة واحدة وهى رغبة العرب فى الاستقلال ، وخوفهم من الوطن القومى اليهودى ، وعدم معرفة مصير الانتداب واعترفت اللجنة بوجود تعارض بين الوعود التى بذلت لليهود وللعرب .

وأهم اقتراحات اللجنة هو انهاء الانتداب وتقسيم فلسطين ، فتنشأ دولة يهودية فى الشمال والغرب ، ودولة عربية فى الجنوب والشرق ، على أن تلحق بشرقى الأردن ، وقسم للأماكن المقدسة يشمل القدس وبيت لحم وممر الى يافا تحت وصاية بريطانيا على أن ترتبط الدولتان العربية واليهودية بمعاهدة مع بريطانيا .

وقد رفض العرب التقرير وطالبوا بالاستقلال التام . أما اليهود فقد انقسموا فالصهيونيون وافقوا على التقرير ،وغيرالصهيونييناعترضواعلى انشاء دولة يهودية وطالبوا بعقد مؤتمر عربى يهودى لانشاء دولة موحدة على أساس تصريح بلفور .

ورأت لجنة عصبة لأمم أن الاستقلال لا يمكن منحه للطرفين فورا . وقد حضر المستر ايدن وزير الخارجية وقتئذ أمام مجلس عصبة الأمم فى ١٩٣٧/٩/١٤ وطلب الموافقة على أن تؤلف بريطانيا لجنة ثانية تضع مشروعا مفصلا للتقسيم . ووافق مجلس العصبة بشرط بقاء الانتداب الى حين الوصول الى قرار نهائى . وأرسلت بريطانيا لجنة برئاسة السير جون وودهيد لوضع مشروع مفصل للتقسيم ، فقررت اللجنة المذكورة أنه لا يمكن عمل خطة ناجحة للتقسيم وان التقسيم الذى اقترحته لجنة بيل غير عملى لأنه سيؤدى الى أن يكون عدد العرب فى القسم اليهودى ٤٩٪ من سكانه ، وقالت اللجنة ان العرب واليهود ضد التقسيم وان التقسيم يضر بالعرب من الناحية الاقتصادية .

وأصدرت الحكومة البريطانية بلاغا مع هذا التقرير جاء فيه انالحكومة اقتنعت بأن البحث أظهر قيام صعوبات سياسية وادارية ومالية فى التقسيم وانه ازاء العدول عن فكرة التقسيم ترى الحكومة أن يجتمع العرب واليهود بها فى لندن للوصول الى حل بحيث اذا لم يتيسر ذلك فان الحكومة ستتخذ السياسة التى تراها مناسبة .

مؤتمر لندن فى سنة ١٩٣٩

دعت الحكومة البريطانية كلا من مصر والعراق والعربية السعودية والأردن واليمن وعرب فلسطين والوكالة اليهودية الى مؤتمر يعقد فى لندن . واجتمع المؤتمر فى ١٩٣٩/٢/٧ وانقسم فى الحال الى قسمين لأن العرب رفضوا أن يجلسوا مع اليهود فى مؤتمر واحد .

وقد طالت المناقشات ورفض الفريقان الاتفاق ثم قدمت بريطانيا مقترحات رفضها الطرفان وانتهى المؤتمر فى ١٩٣٩/٣/٢٧ بدون نتيجة .

الكتاب الابيض لسنة ١٩٣٩ :

وفى ١٧ مايو سنة ١٩٣٩ أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ موضحا سياسة بريطانيا فى ثلاث مسائل هى :

١ — الدستور .

٢ — الهجرة .
٣ — الأراضى .

ففيما يتعلق بالدستور جاء فى الكتاب الأبيض أن بريطانيا كانت تهدف الى انماء الحكم الذاتى حتى تصبح فلسطين مستقلة . وهى — أى بريطانيا — تنوى أن تنشىء فى خلال عشر سنين دولة فلسطينية مستقلة ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة يشترك فيها العرب واليهود . وسيزيد اشتراك العرب واليهود فى الادارة . ومع الوقت سينشأ مجلس وزراء . وفى نهاية خمس سنوات ينشأ مجلس نيابى تكون مهمته وضع التوصيات لدستور فلسطين المستقلة . واذا دعا الأمر الى تأجيل الاستقلال فى نهاية السنوات العشر فان بريطانيا ستستشير الأطراف المعنية .

وقال الكتاب الأبيض عن انشاء الوطن القومى لليهود ان واضعى صك الانتداب لم يقصدوا تحويل فلسطين الى دولة يهودية،وان بريطانيا تصرح بعبارة لا لبس فيها انه ليس من سياستها أن تصبح فلسطين دولة يهودية لأن ذلك يخالف التزاماتها نحو العرب بموجب صك الانتداب . كما أنها لا تستطيع أن توافق على أن مراسلات مكمهون تعتبر أساسا للادعاء بوجوب جعل فلسطين دولة عربية مستقلة .

وجاء فى الكتاب ان انشاء دولة فلسطينية مستقلة ، وزوال الانتداب زوالا كاملا يتطلب أن تكون العلاقة بين العرب واليهود بدرجة تجعل قيام حكومة حسنة أمرا ممكنا .

وفيما يتعلق بالهجرة فقد حددها بعدد قدره ٧٥ ألفا فى السنوات الخمس التالية .

وفيما يختص بالأراضى فقد منح المندوب السامى سلطة منع بيع الأراضى وتنظيم انتقالها .

وقد هاجم اليهود الكتاب الأبيض قائلين ان سياسة الخيانة التى تتبعها بريطانيا لايمكن احتمالها ، وان الشعب اليهودى سيشن عليها حربا لا هوادة فيها . وبدأ يهود فلسطين فى سياسة عدم التعاون .

وسعى اليهود فى أمريكا لدى حكومتهم لتضغط على بريطانيا . كما سعوا لدى أعضاء لجنة الانتداب الدولية لرفض الكتاب الأبيض . وقد رفضته اللجنة بأغلبية أربعة أصوات ضد ثلاثة بحجة أن ما تضمنه ذلك الكتاب يتعارض مع صك الانتداب .

ورفض العرب هذا الكتاب بالرغم من أن بريطانيا اعترفت مبدئيـا بحق فلسطين فى الاستقلال . وعدلت عن التقسيم وحددت الهجرة تحديدا نهائيا . وقيدت انتقال الأراضى .

واستند العرب فى رفضهم الكتاب الى أن فترة الانتقال تعطى اليهود سلاحا فى معارضة استقلال العرب . ويريد العرب حكومة وطنية فى بحر مدة معقولة ولا يقبلون مساعدة من بريطانيا فى تحرير الدستور ، وأضافوا ان عبارات الكتاب غامضة فضلا عن أنه جعل اعلان الاستقلال أو تأجيله بعد عشر سنوات منوطا بالظروف .

وفى الواقع لم يرفض كل عرب فلسطين الكتاب الأبيض ، فقـد قبله حزب الدفاع الذى كان يرأسه المرحوم راغب النشاشيبى وكانت سياسته « خذ وطالب » .

ثم قامت الحرب العالمية الثانية فأخذت بريطانيا تتظاهر بعـزمها على تنفيذ ما جاء فى الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ مدفوعة فى ذلك برغبتها فى أن تتقى غضب البلاد العربية ذات المركز الاستراتيجى الهام . ولم يرض اليهود عن هذا التظاهر فبدأوا حوادث الاغتيـال ضد الانجليز والسطو على مخازن الأسلحة والذخيرة .

وفى ١٩٤٦/٧/٨ أرسلت الدول العربية مذكرة الى بريطانيا تقترح فيها استئناف المفاوضات بأسرع ما يمكن وطلبت منها أن تمتنع من اتخاذ أى خطوة مضادة لما تضمنه الكتاب الأبيض لسنة ٩٣٩ ١الى أن تستأنف المفـــاوضات .

فلسطين أثناء الحرب العالمية الثانية

ولما قامت الحرب العالمية الثانية أعلنت الوكالة اليهودية أنه بالرغم من اعتراضها على الكتاب الأبيض ترى أن اليهود يجب أن يقفوا الى جانب بريطانيا ضد النازية . وحاولت الوكالة اليهودية انشاء فرقة يهودية للعمل فى فلسطين ولكن الحكومة البريطانية رفضت ذلك . فسعت الوكالة لتجنيد اليهود فى الجيش والبحرية والطيران البريطانى ووافقت بريطانيا على ذلك وبلغ عدد المجندين اليهود ٢٧٠٢٨ شخصا .

أما العرب فلم يشترك منهم أحد فى أى جيش من الجيوش المتحاربة فى الحرب العالمية الثانية ولذلك تفوق اليهود عليهم فى الفنون العسكرية عندما وقعت المعارك الدموية بين العرب واليهود قبل قرار التقسيم الذى أصدرته الأمم المتحدة .

وفى أثناء الحرب أعلنت بريطانيا أنها ستنفذ ما جاء فى الكتاب الأبيض فقاومها اليهود مقاومة شديدة بحوادث الاغتيال ووضع آلات التدمير فى المبانى الحكومية ومهاجمة مخازن الحكومة ثم اتجهوا الى أمريكا وظفروا من الرئيس روزفلت بتصريح أفضى به لأثنين من زعمائهم فى ٩ مارس سنة ١٩٤٢ جاء فيه ان الحكومة الأمريكية لم تؤيد مطلقا كتاب ١٩٣٩ الأبيض . وفى ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٤ أعلن وعده بأن يعمل على انشاء دولة يهودية حرة .

وقد تبادل المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود مع الرئيس روزفلت بعد عودته من مؤتمر يالتا الخطابين الآتى ترجمتهما .

تضمن خطاب الملك المؤرخ فى ١٠ مارس سنة ١٩٤٥ اتهاما للصهيونيين بأنهم يقيمون استعدادات عدائية ضد العرب ، وأنهم يعملون على خلق نازية تحت سمع الديمقراطيات وبصرها . وان لكل شعب الحق الطبيعى فى أن يعيش فى بلده وان عرب فلسطين هم أول من استوطنوها منذ ٣٥٠٠ سنة قبل المسيح بينما لم يحكم اليهود فلسطين الا مدة ٣٨٠ سنة ثم طردوا منها منذ ٢٠٠٠ سنة . وان حق العرب يستند على ما يأتى :

١ — حقهم فى الاقامة هناك اذ أنهم يقيمون فيها منذ ٣٥٠٠ قبل الميلاد .
٢ — الحق الطبيعى فى الحيـاة .
٣ — العرب ليسوا أجانب فى فلسطين وليس هناك أية نية فى تهجير عرب من الخارج للاقامة فيها .

وقال الملك ان مطالبة اليهود بفلسطين هى مغالطة وانه يجب التفريق بين الصهيونيين وبين اليهود المضطهدين . وقد ساهمت فلسطين بأكثر من نصيبها فى ذلك . وان اسكان اليهود فى فلسطين وطرد سكانها الأصليين عمل لا مثيل له فى التاريخ . واتهم الملك اليهود بنيتهم العدوانية ضـد الدول العربية المجاورة وانهم يعملون على التفريق بين العرب والحلفاء وأنهم يعدون تنظيمات عسكرية ارهابية .

وقد رد الرئيس روزفلت فى ٥ ابريل سنة ١٩٤٥ قائلا .

« تذكرون جلالتكم فى مناسبات سابقة أنى أحطتكم علما بموقف الحكومة الأمريكية تجاه فلسطين ووأضحت رغبتها فى أنه لا يجوز اتخاذ أى قرار عن الوضع الأساسى فى فلسطين بدون استشارة تامة مع كل من العـرب واليهود .

« تذكرون جلالتكم بدون شك انه أثناء حديثنا الأخير أكدت لكم بأنى بصفتى رئيسا لحكومة الولايات المتحـدة لن أتخذ أى عمل يعتبر عدائيا للعرب .

« ويسرنى أن أجدد لجلالتكم التأكيدات التى سـبق أن تلقيتموها عن موقف حكومتى وموقفى كرئيس للهيئة التنفيذية بالنسبة لموضـوع فلسطين وأن أبلغكم أن سياسة هذه الحكومة فى ذلك الصدد لم تتغير . »

اللجنة الانجليزية الامريكية :

وقد استمرت بريطانيا بعد هزيمة المانيا فى مايو سنة ١٩٤٥ فى السماح بالهجرة اليهودية طبقا للحصة المقررة فى الكتاب الأبيض ١٩٣٩ على أساس ٧٥٠٠٠ مهاجر . ولما استوفيت هذه الحصة منعت بريطانيا السماح بدخول

عدد آخر الا اذا وافق العرب . ولما كان العرب مصممين على وقف الهجرة أخذ اليهود يمارسون الهجرة غير الشرعية . ثم لجأوا كعادتهم الى أمريكا ورأت بريطانيا اهتماما من أمريكا بالأمر فدعتها الى أن تتعاون معها فى تشكيل لجنة انجليزية أمريكية ، فقبلت أمريكا وتألفت اللجنة فى ١٩٤٥/١١/١٣ وسافرت الى فلسطين ثم وضعت تقريرها فى ٢٠ أبريل سنة ١٩٤٦ جاء فيه :

١ — ان فلسطين لا تستطيع استيعاب يهود أوربا ويجب البحث عن جهات أخرى .
٢ — يجب السماح بهجرة مائة ألف يهودى الى فلسطين فورا .
٣ — لا يجوز أن تكون فلسطين دولة يهودية ولا دولة عربية ولكن دولة تحافظ على حقوق المسلمين واليهود والمسيحيين .
٤ — الى أن يقف الارهاب تستمر ادارتها تحت صك الانتداب لحين استبدال اتفاقية وصاية مع الأمم المتحدة بذلك الصك .
٥ — على الادارة أن تعمل على رفع مستوى العرب حتى يكون مساويا لمستوى اليهود .
٦ — السماح بالهجرة .
٧ — اعادة حرية التصرف فى الأراضى .
٨ — اجراء تحسينات فى الزراعة والصناعة بالتعاون مع الوكالة اليهودية والبلاد العربية المجاورة .
٩ — اصلاح تعليم اليهود والعرب حتى يحل الوفاق بين الفريقين .
١٠— القضاء على استعمال القوة .

ولم يعارض اليهود التقرير ولكن الجامعة العربية اجتمعت فى بلودان فى ١٩٤٦/٦/١٣ وقررت رفضه .

وكان هناك خلاف كبير فى الرأى بين وجهة نظر الرئيس ترومان الذى طلب من بريطانيا أن تسمح بدخول مائة ألف يهودى فورا فى فلسطين ووزارة الخارجية الأمريكية.وقد قال المستر دين اتشسون وزير الخارجية

الأمريكية فى ١٠ مايو سنة ١٩٤٦ لممثلى العراق ومصر والسعودية وسوريا ولبنان الذين أبلغوه انهم لا يعترفون بشرعية اللجنة الانجليزية الأمريكية ان أمريكا لن تتخذ أى قرار بشأن هجرة المائة الف يهودى . ثم أيد ذلك بمذكرة أرسلت اليهم .

ووعدت وزارة الخارجية البريطانية أن تستشير العرب واليهود قبل اتخاذ أى قرار بشأن تقرير هذه اللجنة . ولقد ثار أحد أعضاء اللجنة الانجليزية الأمريكية وهو المستر بارتلى كروم الأمريكى على وزارة الخارجية الأمريكية واتهمها بأنها تعمل على احباط السياسة التى أعلنها رؤساء الولايات المتحدة منذ الرئيس ولسون حتى الآن قائلا ان كل وعد كان يعطيه أى رئيس من رؤساء الولايات المتحدة لليهود كانت تعمل وزارة الخارجية الأمريكية على الوقوف حجر عثرة فى تنفيذه مؤكدة للانجليز والعرب انه لن يتم شىء من ذلك . وطالب باستقالة المستر لوى هندرسون مدير قسم الشرق الأدنى وافريقيا فى وزارة الخارجية .

وقد أرسل المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود خطابا الى الرئيس ترومان بتاريخ ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٦ أعرب فيه عن دهشته من اقتراح الرئيس ترومان فتح باب الهجرة على مصراعيه لليهود وأن هذا الاقتراح يتناقض مع وعود أمريكا السابقة . وقد رد الرئيس ترومان على الملك فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٤٦ موضحا حالة اليهود فى أوربا وأشار الى وعود أمريكا بتأييد اليهود فى انشاء وطن قومى لهم فى فلسطين ويرى أن ادخال مائة ألف يهودى فى فلسطين لا يعتبر عملا عدائيا للعرب وانه لن يتخذ أى قرار يؤثر فى الوضع الأساسى فى فلسطين دون أن يسبق ذلك اتصال بالعرب واليهود .

مؤتمر لندن فى سنة ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧

أجابت الحكومة البريطانية طلب الدول العربية ببدء المفاوضة لحل قضية فلسطين وحددت يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٩٤٦ موعدا لانعقاد المؤتمر وتأجل الى ١٩٤٦/١٠/٢ ثم استأنف اجتماعاته فى ١٩٤٧/١/٢٧ ولم

تشترك الوكالة اليهودية فيه لأن العرب رفضوا أن يجلسوا معها على مائدة واحدة . وقد انفض المؤتمر بدون الوصول الى أى اتفاق .

ولما تعذر الوصول الى اتفاق يقبله الطرفان قررت بريطانيا عرض الأمر على الأمم المتحدة .

عرض قضية فلسطين على الأمم المتحدة

لجنة التحقيق الدولية :

عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة دورة غير عادية فى ١٩٤٧/٤/٢٨ بناء على طلب بريطانيا وقد ألفت الجمعية العامة لجنة تحقيق تدرس المشكلة الفلسطينية وتجمع كافة عناصرها وتقترح الحل الذى تراه ملائما لها .

وقامت اللجنة بزيارة فلسطين ولبنان وشرقى الأردن ، وتعاون اليهود معها ، بينما امتنع عرب فلسطين عن التعاون ، وقررت الهيئة العربية العليا الاضراب يوم وصول اللجنة الى القدس .

وقد وضعت اللجنة تقريرها من ستة أبواب . وتضمن الباب الخامس توصياتها الآتى بيانها التى انتهت اليها لحل قضية فلسطين :

١ — انهاء الانتداب على فلسطين فى أقرب وقت ممكن عمليا .

٢ — منح فلسطين الاستقلال فى أقرب وقت ممكن عمليا .

٣ — تكون هناك فترة انتقال تسبق منح الاستقلال لفلسطين مدتها قصيرة ما أمكن ، تهيأ فيها البلاد للاستقلال .

٤ — تكون السلطة التى تتولى ادارة شئون فلسطين أثناء فترة الانتقال مسئولة أمام الأمم المتحدة .

٥ — ترى اللجنة أيا كان الحل الذى يتقرر :

(ا) المحافظة على الأماكن المقدسة ، وضمان حرية الوصول اليها للعبادة والحج طبقا للنظام المقرر فى الوقت الحاضر .

(ب) عدم المساس بالحقوق المعترف بها فى الوقت الحاضر لمختلف الطوائف الدينية .

(جـ) يوضع نظام للفصل فى المنازعات المنطوية على حقوق .

٦ — ترى اللجنة أن تقوم الجمعية العامة فورا بالمساعى اللازمة لعقد وتنفيذ اتفاق خاص تعالج به مشكلة يهود أوربا المشردين على وجه السرعة بقصد تحسين حالتهم والتخفيف من حدة مشكلة فلسطين .

٧ — نظرا لأن الاستقلال يمنح لفلسطين ، بناء على توصية الأمم المتحدة وتحت رعايتها ، فانه من الأمور التى تحرص عليها الأمم المتحدة أن يقوم دستور فلسطين وقوانينها الأساسية ونظامها السياسى على أساس ديمقراطى ، أى على أساس تمثيلى يكفل احترام حقوق الانسان والحريات الأساسية ، بما فيها حرية العبادة والعقيدة وحرية التعبير والصحافة والاجتماع وكذلك حماية حقوق الأقليات ومصالحها .

٨ — يجب أن يتضمن دستور فلسطين أهم مبادىء الأمم المتحدة الخاصة بتسوية المنازعات بالطرق السلمية .

٩ — توصى اللجنة بالاحتفاظ بوحدة فلسطين الاقتصادية فى ظل أى نظام يتقرر فى المستقبل لفلسطين .

١٠ — أن تتنازل الدول التى كانت تتمتع ببعض المزايا عن هذه المزايا .

١١ — توصى الجمعية العامة شعبى فلسطين بأن يتعاونا مع الأمم المتحدة فى الجهود المبذولة لاستنباط حل عادل وتنفيذه .

١٢ — توصى اللجنة بأنه عند النظر فى أى حل لقضية فلسطين يجب أن يعترف بأن حل هذه القضية لا يمكن حسابه حلا لمشكلة اليهود العامة .

وتناول الباب السادس من تقرير اللجنة الحلين اللذين وصلت اليهما اللجنة وهما :

الحل الأول — تقسيم فلسطين الى دولتين : دولة عربية ، وأخرى يهودية على أن توضع مدينة القدس تحت نظام الوصاية الدولية . وتشمل الدولة العربية منطقة الجليل الغربية ومنطقة سماريا الجبلية مع استثناء

القدس والمنطقة الساحلية من اسدود حتى حدود مصر . وتشمل الدولة اليهودية منطقة الجليل الشرقية والسهل الساحلى وجميع منطقة بير السبع التى يدخل فيها اقليم النقب المجاور لشبه جزيرة سينا مباشرة .

الحل الثانى — انشاء النظام التعاهدى (الفدرالى) فى فلسطين . ولم يوافق عليه الا ثلاثة من أعضاء اللجنة هم ممثلو الهند وايران ويوجوسلافيا.

ويقضى هذا المشروع بتقسيم فلسطين الى قسمين الأول عربى ، والآخر يهودى ، يجمعهما نظام تعاهدى يشمل الحكومة ، والسلطتين التشريعية والقضائية ، والجمارك ، والجيش . ويكون لكل قسم كامل السلطان فى شئون الحكم الذاتى ، وفى التعليم ، والضرائب المحلية ، وحق الاقامة ، وشراء الأراضى ، والمرعى ، والهجرة بين القسمين ، والبوليس ، والصحة ، والمرافق العامة ، وما الى ذلك .

أما مسألة الهجرة ، فيكون الفصل فيها من خصائص الحكومة المركزية . ويشترك عنصرا السكان فى ادارة الحكم المركزية ، ويكون هنالك نائب لرئيس الدولة من العنصر الآخر ، وتكون شئون الدفاع والعلاقات الخارجية ، والهجرة ، والنقد ، والضرائب العامة ، والمواصلات، من اختصاص الحكومة المركزية .

وبين المشروع المناطق التى تدخل فى كل قسم ، كما نص على احترام الأماكن المقدسة ، وحرية الوصول اليها .

وأوصى هذا المشروع بقبول يهود مهاجرين فى المنطقة المزمع تخصيصها للقسم اليهودى ، بمعدل لا يسمح بأن يزيد عدد المهاجرين على ما تستوعبه طاقة البلاد من الناحية الاقتصادية ، وذلك أثناء فترة الانتقال .

تاليف لجنة خاصة :

ثم عرضت مشكلة فلسطين على الجمعية العامة للأمم المتحدة فى مستهل دور اجتماعها العادى الذى بدأ فى ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٧ فقررت

انشاء لجنة خاصة مثلت فيها جميع الدول الأعضاء عهدت اليها بدراسة المسائل الآتية :

١ — طلب بريطانيا الحصول على توصيات الجمعية العامة بشأن مستقبل فلسطين .

٢ — تقرير لجنة التحقيق الدولية التى عينتها الجمعية العامة لدراسة المشكلة ووضع تقرير عنها .

٣ — اقتراح المملكة العربية السعودية والعراق وسوريا الخاص بانهاء الانتداب على فلسطين ، والاعتراف باستقلالها دولة واحدة .

وقد اجتمعت اللجنة الخاصة وقررت دعوة ممثلى الهيئة العربية العليا لفلسطين والوكالة اليهودية لحضور جلساتها والادلاء بالمعلومات التى قد تحتاج اليها اللجنة . وقد لبت الهيئتان الدعوة فلم تقاطع الهيئة العربية العليا اللجنة كما فعلت من قبل فى مقاطعة لجنة التحقيق الدولية .

وبعد أن تناول الكلام عدد من الخطباء قررت اللجنة انشاء ثلاث لجان فرعية ، الأولى يناط بها التوفيق بين الطرفين المتنازعين ، وتكلف الثانية بوضع مشروع مفصل على أساس توصيات أغلبية لجنة التحقيق ، والثالثة تضطلع باعداد مشروع مفصل على أساس اقتراح المملكة العربية السعودية والعراق وسوريا الخاص بانشاء دولة واحدة فى فلسطين .

وهنا يبرز لنا دليل ساطع على خطأ القرار المرتجل الذى أصدرته الهيئة العليا فى سنة ١٩٣٩ برفض ما عرضته بريطانيا فى كتابها الأبيض فى تلك السنة من انشاء دولة موحدة . فبعد ثمانى سنوات من الرفض عادت البلاد العربية تطلب تنفيذ مارفضته الهيئة العربية العليا ، ذلك أن ثلاث دول منها — وبموافقة باقيها بالطبع — تقدمت للجمعية العامة للأمم المتحدة باقتراح انشاء دولة واحدة فى فلسطين تمثل حكومتها جميع المواطنين على أساس نسبتهم العددية !! مع فارق هام هو ان عدد اليهود كان فى سنة ١٩٣٩ أقل بكثير من عددهم فى سنة ١٩٤٧ . وهكذا أضاعت

الهيئة العربيـــة العليا فرصة ثمينة برفضها الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ لأسباب لا تبرر هذا الرفض .

ومما تجدر الاشارة اليه أن ممثلى الدول العربية أثبتوا فى خطبهم أمام اللجنة الخاصة والجمعية العامة بحجج قانونية دامغة عدم شرعيـــة تصريح بلفور وخروج مجلس عصبة الأمم على عهــدها بادماج هــذا التصريح فى صك الانتداب ، كما أثبتوا أنه ليس من اختصاص الجمعية العامة للأمم المتحدة خلق دولة جديدة أو تقسيم أمة الى دولتين . ولكن الجمعية العامة وافقت على تقرير اللجنة الفرعية الأولى وأصدرت قرارها المعروف بتقسيم فلسطين فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ .

وقد لجأت الولايات المتحدة الى استخدام جميع الوسائل من ضغط وترغيب للحصول على الأصوات اللازمة للموافقة على التقسيم . وأذكر فى هــذا الصدد ما جاء فى صحيفة ٣٦ من كتاب الدكتور فاضل الجمــالى عن فلسطين « ذكريات وعبر » وقال : أتذكر انى جلست يوما مع المستر بيرسن وزير خارجية كندا آنذاك (رئيس وزرائها اليوم) فسألته هــل تعتقد يا مستر بيرسن بأن عملية تقسيم فلسطين هى عمليـــة وجــدانية وقانونية . أجابنى بصراحة يادكتور جمالى السياسة لا تعرف الوجدان أو القانون الا متى اقترنا بالقوة . أما نحن اليوم فمضــطرون أن نجــارى الولايات المتحدة الأمريكية فيما تقرر فى سياستها » .

والواقع ان ما قاله بيرسن لم يكن جديدا ، فعبارات العدالة الدولية ، والضمير الانسانى وما اليها لا وجود لها فى قاموس السياسة .

مشروع الوصاية :

رأت حكومة الولايات المتحدة أن العرب مصممون على عدم تنفيذ قرار التقسيم ، فأعلن ممثلها فى ١٩ مارس سنة ١٩٤٨ أن حكومته تعدل عن تأييد هذا القرار واقترح وضع فلسطين تحت الوصاية .

وقد رفضت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربيـــة فى ابريل ســـنة ١٩٤٨ الوصاية بحجة ان الوصاية نظام مؤقت سيكسب اليهود منه قوة

ووقتا وفيه اضاعة لفرصة تفوق العرب الحاضر فى القتـال . كما رفض اليهود مشروع الوصاية لعلمهم انهم يستطيعون أن ينفذوا التقسيم بالقوة .

وفى رأيى أن اللجنـة السياسية للجامعة العربيـة أخطأت فى رفض الوصاية ، ويظهر انها اتخذت هـذا القرار ارضاء للهيئة العربية العليا واعتقادا منها ان العرب أقوى من اليهود ، وهو اعتقاد خاطىء جدا .

وقد كتبت للحكومة المصرية فى ١٠ ابريل سنة ١٩٤٨ كتابا قلت فيه : ان الميزان فى ليك سكسس قد تحول فى مصلحة العرب ويجب أن يدعم العرب هذا التحول بتحسين فى الناحية العسكرية والا ضاعت الفرصـة واذا لم تظهر قوة العرب العسكرية فورا فخير للعرب أن لا يتشددوا فى مطالبتهم فى ليك سكسس وأن يقبلوا الهدنة والوصاية على أن ينظموا أنفسهم ويستعدوا للمستقبل .

ان الحجة التى استندت اليها اللجنة السياسية للجامعة العربية فى رفض الوصاية حجة واهية ، اذ لا نستطيع أن نفهم لماذا يستفيد اليهود قوة أثناء الوصاية ولا يستفيد العرب أيضا قوة . أما ان الوصاية تفقد تفوق العرب العسكرى فهو قول يكون صحيحا لو أن عرب فلسـطين كان لهم تفوق عسكرى على اليهود . ولكن الحقيقة المرة هى أن اليهود كانوا متفوقين عسـكريا على العرب . ولقـد بح صوت قناصل الدول العربية فى فلسطين فى اقناع حكومات ذلك العهد بضعف العرب وقوة اليهود دون فائدة . ولم تبـدأ الجامعة العربية فى فهم الحقيقة المرة الا متأخرة ، فحضر أمين عام الجامعـة العربية الى فلسطين لبحث موضوع الهدنة مع المندوب السامى بعد أن اقتنع بحقيقة الموقف ، وقبل أمين عام الجامعة العربية الهدنة فى ٧ مايو سنة ١٩٤٨ .

وهكذا أفلتت فرصة أخرى عندما رفض العرب الوصاية وبقى قرار التقسيم قائما .

وقد افصحت بريطانيا على لسان وزير مستعمراتها المستر كريتش جونس أثناء نظر قضية فلسطين فى الجمعية العامة للأمم المتحـدة عن

عزمهـا على التخلى عن الانتداب وسحب قواتها وادارتها من فلسطين فقال المستر كريتش جونس ما يأتى :

« وانى أكرر مرة أخرى أن حكومتى قررت أن تقوم سياستها على أساس تنحيتها عن الانتداب ، بعد أن ظلت طوال ربع قرن تعمل على الوفاء بالتزاماتها الخاصة بانشـاء الوطن القومى اليهودى وانمائه ، والمحافظة على مصالح السكان العرب .

« ولقد أصدرت لى حكومتى التعليمات بأن أعلن ، بكل وضوح ، أنها قررت ــ اذا لم يوضع حد للمشكلة ــ أن تسحب القوات البريطانية والادارة البريطانية من فلسطين فى أقرب وقت ، وذلك حتى لا يكون هناك مجال لسوء فهم سياسة بريطانيا » .

وفى اليوم التالى لخروج الانجليز من فلسـطين اعترفت امريكا باسرائيل ثم تبعتها فى الاعتراف دول أخرى ودخلت الجيوش العربية فلسطين لتطهيرها من العصابات اليهودية . وقررت الأمم المتحدة تعيين الكونت برنادوت وسيطا دوليا للتوفيق بين الفريقين .

وساطة الكونت برنادوت :

بدأ برنادوت بالعمل على وقف اطلاق النار وعقد هدنة بين الطرفين . ورأى أنه لا يستطيع السير على ما جاء فى قرار التقسيم الذى صدر فى ١٩٤٧/١١/٢٩ بل لا بد من اجراء تعـديلات فيـه . على أن اعتراف الولايات المتحدة وروسيا وغيرها باسرائيل دولة مستقلة جعله فى وضع لا يمكنـه من تغيير الحالة بالنسبة لاسرائيل . وقال فى كتابه انه يمكن أن تبقى اسرائيل دولة مستقلة على أن تدخل فى اتحاد مع الجزء الباقى من فلسطين مع العرب . وقد أوقف القتال شهرا ثم استؤنف ثم أوقف مرة ثانية .

ووضع برنادوت تقريرا تضمن الاقتراحات الآتية :

١ ــ يجب اعادة السلام الى فلسطين .

٢ — ان دولة يهودية سميت « اسرائيل » وجدت فى فلسطين وليس هناك أسباب معقولة تبرر القول بأن هذه الدولة لن تستمر فى الوجود .

٣ — ان حدود هـذه الدولة تحـدد بالاتفاق بين الأطراف المعنية أو بمعرفة الأمم المتحدة .

٤ — السـماح للاجئين العرب بالعودة الى بلادهم وتعويض من لم يرغب فى العودة عن أملاكه .

٥ — جعل مدينة القدس بحدودها المقررة فى قرار التقسيم تحت ادارة الأمم المتحدة .

٦ — اعطـاء ضمانة دولية لازالة المخاوف لاسيما فى صـدد الحدود وحقوق الانسان .

٧ — يجب أن يحل محل الهـدنة صلح دائم أو هدنة تتضمن سحب الجيوش وتسريحها أو بايجادمنطقة واسعة منزوعة السلاح بينها

٨ — اذا لم يتفق العرب واليهود على الحدود تقوم الأمم المتحدة بتعيين لجنة فنية لتحديدها مع التعديلات الآتية :

(أ) جعل النقب ابتداء من جنوب الخط الذى يجرى من البحر الى المجدل والفالوجة من حق العرب .

(ب) تبقى اللد والرملة فى يد العرب .

(جـ) يكون الجليل من نصيب اليهود .

(د) ضم الجزء العربى من فلسطين الى شرقى الأردن مع اجراء تعديلات فى الحدود مع الدول العربية الأخرى .

(هـ) اعتبار مينـاء حيفـا حرا بالرغم من ضمه الى اليهود مع التأكيد بأن الدول العربية تستطيع استخدامه .

(و) جعل مطار اللد حرا .

ولقد رفض العرب واليهود اقتراحات برنادوت وجازاه اليهود على هذه الاقتراحات بالقتل .

وأذكر فى هذا الصدد أن بعض ساسة العرب فى ذلك الوقت كانوا موافقين على اقتراحات برنادوت . ولكنهم لم تكن لديهم الشجاعة فى أن يعلنوا ذلك على الملأ . وقال كثير من الكتاب العرب ان اليهود استفادوا من الهدنة لأنها مكنتهم من استيراد سلاح وذخيرة . ومن استقدام عدد كبير من المهاجرين فى سن الجندية . وانى أخالف هؤلاء الكتاب فى هذا الرأى ، فاليهود كانوا مستعدين منذ سنوات طويلة . وقد قلنا ان عـــدد من اشترك منهم فى الحرب العالمية الثانية فى الجيش والبحرية والطيران البريطانى يزيد على سبعة وعشرين الفا . ولو كانوا غير واثقين من قوتهم فى الدفاع عن دولتهم الجـــديدة لقبلوا الوصـــاية أو لقبلـوا اقتراحات برنادوت . أما العرب فلم يكونوا مستعدين ، فعرب فلســـطين كانوا منهمكين فى خلافاتهم الحزبيـــة قبل تشكيل الهيئة العربية العليـــا . ولما تشكلت هذه الهيئة عاش معظم أعضائها فى القاهرة .

أما الجيوش العربية فقد كانت بريطانيا تسيطر على بعضها ، كما أن بريطانيا كانت تعرف تماما ما يوجد لدى كل جيش من أسلحة وذخيرة .

ودليلنا على صحة ما نقول ان قائد العمليـــات الحربية فى الجيش العربى فى فلسطين ضد اليهود كان انجليزيا هو الكولونيل لاش . ومن المحتمل أن يكون اسمه الحقيقى ليشع فقلبه الى لاش . وكان جلوب قائدا عاما لهـــذا الجيش ، ومن المعروف أن هؤلاء الانجليز يســـتمدون أوامرهم من انجلترا ، وان انجلترا كانت تريد تنفيـــذ التقسيم . ولقد أرادت انجلترا أن تعاقب العرب على استئناف القتال فأمر جلوب القائد الانجليزى الجيش العـــربى بعدم الدفاع عن اللد والرملة فنفذ الجيش الأمر واحتل اليهود هذين البلدين ، مع أنهما طبقا لقرار التقسيم يقعان فى القسم العربى . كما أنهما يقعان فى القسم العربى الذى تكفلت المملكة الهاشمية بالدفاع عنه .

الفصل الثـــانى

تحديد المسئولية عن كارثة فلسطين

ان تحديد المسئولية عن كارثة فلسطين يستدعى

أولا ـ تحديد المسئولين عن الكارثة .

ثانيا ـ أسباب الكارثة .

وقد تناول بعض الكتاب العـرب فى مؤلفاتهم عن فلسطين الشطر الأول أى المسئولين عن الكارثة دون أن يتعرضوا للشطر الثانى أى أسباب الكارثة ، ومع ذلك فانهم لم يبحثوا مسئولية جميع الســاسة الذين كانوا يوجهون السياسة فى القضية الفلسطينية ، بل اقتصروا على التعرض لبعض الساسة دون الباقين . وعلى هذا النحو ســار القــائد عبد الله التل فى كتابه « كارثة فلسطين » فقد اقتصر على مسئولية الملك عبد الله والسيد توفيق أبو الهدى والضباط الانجليز فى الجيش العربى والسيد نور السعيد . ولم يتناول غيرهم من الساسة العرب .

وتناول آخرون الكلام عن أســـباب الكارثة فقط فلم يتعرضوا للمسئولين عنهــا . كما فعل الأســتاذ أكرم زعيتر فى كتــابه « القضية الفلسطينية » والدكتور فاضل جمالى فى كتابه « ذكريات وعبر » .

ويظهر أن الكتاب الذين تعرضوا لأسباب الكارثة دون الســاسة المسئولين عنها فعلوا ذلك ليتفادوا الحرج اذا هم تعرضوا للساسة ، اذ أن بعض هؤلاء الساسة عزيز على هؤلاء الكتــاب فيصعب عليهم أن يجرحوا سياستهم ، وأن يسجلوا عليهم أنهم كانوا من المسئولين عن وقوع هذه الكارثة .

وتتلخص الأسباب التى ذكرها الأستاذ أكرم زعيتر وادت الى وقوع الكارثة فيما يأتى :

أولا — عدم القيام بتعبئة كاملة لجميع القوى العسكرية والاقتصادية والسياسية للأمة العربية داخلا وخارجا . فالبلاد العربية لم تستخدم فى الأغراض الحربية الا جزءا ضئيلا من مواردها ، ولم تتح فيها للشعوب أن تشارك فى المجهود الحربى المشاركة التى تقتضيها خطورة المعركة . والمفروض فى حرب فلسطين أن تكون حرب الشعوب العربية بكامل طاقاتها . أما اليهود فقد أخذوا المعركة مأخذ الجد واعتبروها معركة حياة أو موت لهم .

ثانيا — فقدان القيادة العسكرية الموحدة ، ومعنى هذا فقدان عنصر التنسيق بين الحركات العسكرية والأداة التى تضمن التعاون الوثيق بين الجيوش العربية ، فظل كل جيش مستقلا فى خططه وعملياته ، مما جر الى نتائج وخيمة .

ثالثا — عدم تقدير حقيقة قوة العدو وجهل التفاصيل عن شئونه العسكرية والاستهانة به وبقوته ، وذلك بسبب ضعف الأداة الاستعلامية ، ضعفا أدى الى عدم الاحاطة بالوضع العسكرى لفلسطين ، مع أن معرفة حقيقة الخصم وحسبان حسابها من العناصر الأساسية لكسب النضال .

رابعا — ارسال قوات عسكرية ضئيلة الى الميدان .

خامسا — عدم الاستعداد الكافى لهذه المعركة المنتظرة منذ آن بعيد . وقد كانت جميع الظروف تنذر بوقوعها لا محالة . وما كان من استعداد سابق انما سار ببطء وارتجال مما يدل على أن الاحساس بالخطر اليهودى لم يكن عميقا عمقا كافيا فى البلدان العربية .

سادسا — عدم الاستفادة الكافية من ممكنات الكفاح والفداء لدى الفلسطينيين بتجنيدهم وامدادهم بوسائل القتال .

سابعا — تأخر المشاركة العسكرية الفعالة للجيوش العربية فى فلسطين .

ثامنا — قبول الهدنة الأولى بتأثير الضغط الأجنبى ، وذلك حين كان الوضع العسكرى العربى جيدا .

أما الدكتور فاضل الجمالى فقد لخص أسباب الفشل فيما يأتى :

١ — عدم معرفة النفس . وتحت هذا السبب تكلم عن الأمراض النفسية والاجتماعية والخلقية التى ورثها العرب ومنها الاندفاع وراء العاطفة . تغذية الشعب بالوعود الكاذبة . الفردية . الأنانية . المبالغة والادعاء . الحرمان من الثقافة والمعرفة .

٢ — عدم معرفة قوة العدو .

وبحث المرحوم الأستاذ محمد على علوبة فى كتابه « فلسطين والضمير الانسانى » ص ١٤٣ وما بعدها أسباب النكبة . فقال « ان نكبة فلسطين كانت لأسباب وعوامل كثيرة لاكها الناس فى الأندية وسطرتها الصحف فى اخبارها أهمها :

١ — تواطؤ بعض الدول وعلى رأسها انجلترا وأمريكا على اعطاء فلسطين لليهود ، ومساعدتهم بالمال والسلاح والذخيرة .

٢ — ما قام فى الأذهان من أن الدول العربية كانت فى سبات عميق ولم تكن مستعدة لخوض غمار هذه الحرب والدفاع عن فلسطين .

٣ — ما عرف من خيانات فى شراء أسلحة فاسدة أوقعت البلاد العربية فى ورطة كبرى .

٤ — اختيار الملك عبد الله قائدا أعلى للجيوش العربية وان هذا الاختيار كان أكبر نكبة على فلسطين . وكان خطأ جسيما لا يغتفر وقعت فيه الحكومات العربية .. لا لأن الملك عبد الله أساء الى الوكالة التى أعطيت له ، وانما لأن الأردن كان محتلا بالانجليز ، وكان قائد الجيش فيه جلوب الانجليزى .. وما كان فى مكنة الملك

عبد الله أن يعارض تصرفات هذا القائد ، وانجلترا تحتل بلاده ، وتساعدها ماديا لتحتفظ بكيانها الاقتصادى .. وكل هذه الظروف كانت تحتم على الدول العربية الا تجعل القيادة العليا للانجليز باسم الأردن .. ان هذا هو أفظع ما يكون فى تصرفات السياسة العربية فى ذلك الحين .

وتكلم الأستاذ محمد على علوبة عن الحوادث التى وقعت فى حرب فلسطين فقال :

١ — سلم الانجليز حيفا لليهود ، وأراد عرب حيفا أن يدافعوا عنها واستنجدوا بقوة أردنية كانت تعسكر حولها ولكنها لم تحرك ساكنا .

٢ — ظل الجيش الأردنى أربعة أيام بعد ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ لا يحرك ساكنا بينما كان اليهود يهاجمون القدس حتى استولوا على أحيائها الجديدة ، وكادوا يستولون على أحيائها القديمة .

٣ — تسليم اللد والرملة .

٤ — تواترت الأنباء أن العراقيين رغبوا فى نجدة الجيش المصرى وطلبوا أن تمر قواتهم عبر الأردن لينجدوا قوات الفالوجا ولكن القائد جلوب عارض هذا .

٥ — هاجمت القوة الأردنية فى سنة ١٩٤٨ المجاهدين الفلسطينيين فى منطقة رام الله فلم تنجح واعادت الكرة فى يناير سنة ١٩٤٩ وأرسلت قوة مصفحة استولت على المكان وشردت المجاهدين .

٦ — موقف حكومة الأردن من تدويل القدس .

٧ — لم تعترف حكومة الأردن بحكومة فلسطين المؤيدة من الجمعية التأسيسية التى انعقدت فى غزة .

٨ — ضمت حكومة الأردن الجزء الشرقى من فلسطين اليها خلافا للتصريحات التى ألقاها الملك عبد الله من أنه لا يطمع فى شىء .

وكتب الأستاذ محمد التابعى مقالا نشره فى صحيفة الأخبار فى

عددها الذي صدر يوم ١٩٦٣/١٠/١٢ تحت عنوان « حديث عن الحاج أمين الحسيني مفتى فلسطين والأسلحة التى لم يرسلها سماحته الى المجاهدين وابقاها في الزيتون .. وقصص أخرى . » تكلم فيه عن المسئولين وبعض أسباب الكارثة . وجاء فى هذا المقال ما يأتى :

« وبعض ما ينبغي أن يقال ، وأن ينشر على أوسع نطاق فى العالم العربى هو ان الحاج محمد أمين الحسينى كان — بحسن نية أو بسوء نية — أحد الذين أضاعوا فلسطين .

وقال الأستاذ التابعى « انه يكتب عن الأحياء منهم لا الأموات .. عبد الله بن الحسين وعبد الاله ونورى السعيد .. وانه يكتب فقط عن الدور الذى قام به سماحة المفتى الذى لا يريد أن يستريح ويريح .

وتساءل الأستاذ التابعى فى مقاله قائلا « لماذا لا يريد سماحته أن يستريح ويريح . ورد على هذا التساؤل قائلا » هل لأن سماحته جعل من قضية فلسطين تجارة وشطارة ؟.. تجارة رابحة لا يزال حتى اليوم ينفق عن سعة مما تدره عليه من أموال وضرائب » .

واستطرد الأستاذ التابعى يذكر فى مقاله الوقائع المثبتة لمسئولية الحاج محمد أمين الحسينى ، وهى أولا انه رفض عرض الحكومة البريطانية تسوية فلسطين . وثانيا انه لم يرسل الأسلحة الى المجاهدين . وثالثا انه حبس المال الذى جمعه لقضية فلسطين ولم ينفقه فى الأغراض التى جمع من أجلها .

كذلك تكلم الأستاذ التابعى فى مقاله عن مسئولية الأستاذ عبدالرحمن عزام الأمين السابق لجامعة الدول العربية وقال عنه انه أحد الذين أساوءا الى قضية فلسطين أو أضاعوا فلسطين بحسن نية طبعا وانه — أى الأستاذ التابعى — يستعيذ بالله من أن يتهم الأستاذ عبد الرحمن عزام بسوء النية .

ولكن الأستاذ التابعى لم يذكر فى مقاله شيئا من الوقائع المثبتة لمسئولية الأستاذ عبد الرحمن عزام الا دفاعه بحرارة عن مفتى فلسطين .

وأرى أن بحث المسئولية عن كارثة فلسطين لا يمكن أن يكون مفيدا الا اذا حددنا المسئولين عنها وتكلمنا عن نصيب كل منهم فى السياسة الفاشلة التى أدت الى وقوع الكارثة . وبغير ذلك لن نصل الى تحقيق الأهداف من هذا البحث ، وأهمها أولا معرفة الأخطاء التى ارتكبت فى الماضى لتتجنب الوقوع فى مثلها فى المستقبل . وثانيا ـ تدوين تاريخ هذه الكارثة تدوينا صحيحا غير مشوب بأى زيف .

والآن تتساءل من هم المسئولون عن الكارثة ؟ ولماذا يعتبرون مسئولين عنها ؟

المسئولون عن الكارثة هم :

أولا — اللجنة العربية العليا وخليفتها الهيئة العربية العليا وكان يرأس الاثنتين الحاج محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين وكان يسيطر عليهما سيطرة تامة . فاليه ترجع فى الواقع المسئولية عن أعمال اللجنة والهيئة .

ثانيا — الأستاذ عبد الرحمن عزام الأمين العام السابق للجامعة العربية .

ثالثا — ساسة البلاد العربية الذين حكموا بلادهم فى الفترة ما بين ١٩٣٦ و ١٩٤٨ . فقد بدأ الساسة العرب يتدخلون فى توجيه قضية فلسطين فى سنة ١٩٣٦ ووقعت الكارثة فى سنة ١٩٤٨ .

رابعا — الاستعمار ، وعلى رأسه بريطانيا وأمريكا ، وهو فى الواقع المسئول الأول ولو أننا سنتكلم عنه فى نهاية الفصل .

ولنتكلم عن دور كل من هؤلاء وأولئك .

اولا ـ اللجنة العربية العليا وخليفتها الهيئة العربية العليا

١ ـ تكوينها :

تألفت اللجنة العربية العليا فى سنة ١٩٣٦ من أعضاء يمثلون الأحزاب السياسية وغيرهم من ذوى الرأى والمكانة فى فلسطين . وأسندت رياستها

الى الحاج محمد أمين الحسيني . وفى سنة ١٩٤٦ خلفت الهيئة العربية العليا اللجنة العربية العليا ، وظل الحاج محمد أمين الحسينى رئيسا للهيئة العربية العليا .

وكان الحاج محمد أمين الحسينى وقت اسناد رياسة اللجنة العربية العليا اليه رئيسا للمجلس الاسلامى الأعلى ومفتى القدس . وقد أنشىء المجلس الاسلامى الأعلى بموجب أمر أصدره المندوب السامى فى سنة ١٩٢١ ، وجعل من اختصاصه الرقابة على الوقف والمحاكم الشرعية . وكان ايراد المجلس الاسلامى الأعلى يبلغ فى السنة حوالى خمسين ألف جنيه .

وقد أصبح الحاج محمد أمين الحسينى — بعد أن اجتمعت فى شخصه الصفات الثلاث : رياسة اللجنة ، والهيئة العربية العليا ، ورياسة المجلس الاسلامى الأعلى ، والافتاء — أقوى شخصية فى فلسطين . وانتهت بذلك المنافسة القوية التى كانت دائرة بينه وبين المرحوم راغب النشاشيبى على الصدارة فى فلسطين بفوز الحاج محمد أمين الحسينى وأصبح سماحته صاحب القول الفصل بين عرب فلسطين ، وأصبحت الهيئة العربية العليا أداة طيعة فى يده . ولم تكن الهيئة العربية العليا تستطيع أن تبت فى شيء الا بأمره . ولذلك لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان أخطاء الهيئة العربية العليا ومن قبلها اللجنة العربية العليا وفشلها هى أخطاء المفتى وفشله .

ولما قام العرب بثورتهم فى سنة ١٩٣٧ قررت الحكومة البريطانية حل اللجنة العربية العليا ، وألقت القبض على بعض أعضائها ونفتهم الى جزيرة سيشيل . وقد استطاع الحاج محمد أمين الحسينى أن يتفادى القبض عليه بالهرب الى لبنان .

وفى سنة ١٩٣٨ أعلن مالكولم مكدونالد وزير المستعمرات البريطانى أن الحكومة البريطانية ستوجه دعوة الى مصر والعراق والسعودية والأردن وللعرب واليهود فى فلسطين لحضور مؤتمر يعقد فى لندن لايجاد

حل لقضية فلسطين وبشرط الا يحضر الحاج محمد أمين الحسينى المؤتمر . وقد تأخر تأليف الوفد الفلسطينى لأن الفلسطينيين طالبوا بعودة المنفيين قبل أن يشتركوا فى أى مؤتمر من هذا القبيل فأجابت الحكومة البريطانية طلبهم وعاد المنفيون ثم سافروا الى لبنان للتشاور مع المفتى . ثم الى لندن لحضور ذلك المؤتمر .

٢ ـ الهيئة العربية العليا والقنصلية المصرية العامة فى القدس :

عندما بدأت عملى فى القدس وجدت أن فتورا كان يشوب العلاقة بين القنصلية المصرية العامة والهيئة العربية العليا ، سببه أن القنصلية كانت ترفض أحيانا توصيات الهيئة العربية العليا التى كانت الهيئة ترسلها القنصلية طالبة فيها منح تأشيرات بدخول مصر لبعض الأفراد الراغبين فى السفر الى مصر . ولما بحثت الأمر مع زملائى فى القنصلية اتضح لى أن الهيئة العربية العليا كانت تعطى التوصيات لمن يستحقها ولمن لا يستحقها . فحدث كثيرا أن تقدم فلسطينيون الى القنصلية حاملين توصيات من الهيئة العربية العليا توصى فيها بمنحهم تأشيرات دخول لأشخاص أسماؤهم مدرجة فى قوائم غير المرغوب فيهم ، لما عرف عنهم من أنهم كبار تجار المخدرات ومهربيها . وحدث فعلا أن منحت القنصلية تأشيرات لبعض غير المرغوب فيهم بناء على توصية الهيئة العربية العليا فوجهت وزارة الداخلية المصرية نظر القنصلية الى ذلك ، وشددت عليها بعدم منح غير المرغوب فيهم تأشيرات بدخول مصر اطلاقا . واستمرت الهيئة العربية العليا تطلب تأشيرات لبعض هؤلاء الأشخاص وكانت طلباتها تقابل بالرفض من القنصلية ، الأمر الذى أدى الى غضب الهيئة العربية العليا .

وبعد زيارتى لسكرتير حكومة فلسطين ــ وهو ثانى شخصية فى حكومة الانتداب اذ يأتى بعد المندوب السامى ــ قمت بزيارة الهيئة العربية العليا حيث استقبلنى فيها السيد / جمال الحسينى ، وأعربت له

عن استعدادى للتعاون مع الهيئة الى أقصى حد ممكن لنجاح قضية فلسطين .

ولكن الزيارة تركت فى نفسى ألما وحسرة ، لأنى لم أجد حياة فى مكتب الهيئة العربية العليا الذى كان يشغل شقة متواضعة فى بناء من طابقين أو ثلاثة ، خال من موظفين الا ثلاثة أو أربعة يظهر أن عملهم قليل . ولعل أهم عمل لهم كان اصدار التوصيات للراغبين فى السفر الى البلاد العربية .

وأذكر أن قنصل سوريا أخبرنى أنه طلب من مكتب الهيئة العربية العليا نسخة من خطبة ممثلها فى الأمم المتحدة فلم يجد موظفو الهيئة أثرا للخطبة لديهم وأحالوه الى الصحف التى نشرت نصها !!

وبعد أن بدأت العمل بالقدس رأيت أن أسافر الى مصر لأتزود من الوزارة بالتعليمات ، اذ كان سفرى من فرنسا الى فلسطين مباشرة دون أن أتوقف فى مصر ، وبذلك لم تسنح لى الفرصة لزيارة الوزارة وتلقى تعليماتها . وفى القاهرة زرت الحاج محمد أمين الحسينى ، وتحدثنا فى قضية فلسطين ، وأعربت له كما أعربت لنائبه جمال الحسينى من قبل عن استعدادى التام للتعاون معه . ثم تناولنا موضوع التأشيرات التى يطلبها الفلسطينيون من القنصلية بالقدس لدخول مصر ، فرجوته أن يعهد الى سكرتيره بالاتصال بالقنصلية فى هذا الشأن لأن موظفى الهيئة العربية العليا بالقدس أساءوا التصرف فى اعطاء التوصيات ، وبذلك تزول أسباب الشكوى من الطرفين . فوافق على ذلك .

٣ ـ فشل الهيئة العربية العليا فى قيادة الشعب الفلسطينى :

فى يولية سنة ١٩٤٧ لم يكن فى القدس من أعضاء الهيئة العربية العليا الا السيد جمال الحسينى وأحمد حلمى باشا والدكتور حسين فخرى الخالدى ، أما الباقون فكان معظمهم فى القاهرة ، وكان بعضهم فى دمشق .

وكان الحاج محمد أمين الحسينى رئيس الهيئة العربية العليا مقيما

فى القاهرة ، ممنوعا من العودة الى القدس ، اذ لو عاد اليها لقبضت عليه السلطات البريطانية .

وسافر السيد جمال الحسينى الى نيويورك فى أغسطس سنة ١٩٤٧ ليمثل عرب فلسطين أمام الجمعية العامة للأمم المتحـــدة . وكان من المفروض أن يعود الى القدس بعد اتمام مهمته فى نيويورك . ولكنه لم يعد ، وبقى بعيدا عن فلسطين مدة طويلة تزيد على سنة متنقلا ما بين مصر وسوريا ولبنان والعراق والسعودية . فكان هذا الغياب الطويل الذى لم يكن له مبرر سببا فى أن يقابل مقابلة جافة من الشعب الفلسطينى عندما عاد الى القدس فى زيارة قصيرة رحل بعدها ولم يعد . وكان قبل رحيله أرسل عائلته الى خارج فلسطين .

وبقى من أعضاء الهيئة العربية العليا فى القدس اثنان شيخان هما أحمد حلمى باشا والدكتور حسين فخرى الخالدى . وهذان الشيخان كانا مجردين من كل سلطة . فلم يكن لديهما شىء من المـــال يواجهان به النفقات العاجلة الضرورية . ولم يكونا على علم بما يرسله المفتى من أسلحة الى المناضلين . وكانا يضطران الى الرجوع فى كل أمر الى الهيئة العربية العليا أو بعبارة أخرى الى المفتى بالقاهرة . ولكن تقرر للحقيقة والتاريخ أن هذين الشيخين كانا مثلا أعلى للوطنية الصادقة ، والأمانة المشرفة ، والكفاح الجبار ، فقد تحملا وحدهما الأعباء الثقيلة بينما كان ينعم باقى الأعضـــاء بالحياة الرغدة فى القاهرة ودمشق وبيروت . واذا كان غياب الحاج محمد أمين الحسينى له ما يبرره فان غيـــاب معظم أعضاء الهيئة العربية العليا عن فلسطين كان خطأ كبيرا .

لذلك لم يكن غريبا أن تفشل الهيئة العربية العليا فى قيادتها لشعب فلسطين ، وكان طبيعيا — والحال كما ذكر — أن تتزعزع ثقة الشعب الفلسطينى فيها .

وماذا ينتظر من قائد يدير المعركة وهو بعيد عن الميدان ؟ الفشل ولا شىء غيره . وقد كان . فشلت الهيئة العربية العليا فى ادارة كفـــاح

الشعب الفلسطيني فشلا ذريعا وكانت مسئوليتها عن الكارثة كبيرة .

وليست أسباب فشلها قاصرة على أعمالها وقراراتها فى سنتى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ وانما ترجع الى ما قبـل ذلك . انهـا ترجع الى اليوم الذى تكونت فيه .

ولقد قرأت تصريحات وأحاديث الحاج محمد أمين الحسينى رئيس الهيئة العربية العليا التى نشرها فى الصحف المصرية وطبعها فى كتاب فى سنة ١٩٥٧ فلم أجد فيها ما يدعونى الى أن أعدل عن رأيى فى مسئوليته ومسئولية الهيئة العربية العليا التى كان يرأسها ويحركها كما كان يريد .

٤ ـ سياسة اللجنة والهيئة العربية العليا سلبية :

اذا رجعنا الى الأعمال التى قامت بها اللجنة أو الهيئة العربية العليا نجد أنهـا لم تتعد اتخاذ قرارات بمقاطعة لجان التحقيق التى أرسلتهـا بريطانيا وعصبة الأمم والأمم المتحدة ، ورفض كل العروض التى عرضت لحل قضية فلسطين بحجة انها لم تحقق الاستقلال التام ، وكتابة برقيات الاحتجاج ، وتقرير الاضراب فى المناسبات المختلفة ، ومقاطعة اليهود ، وشراء بعض أسلحة وزعتها توزيعا سيئا على بعض المناضلين . ويرى من استعراض هذه الأعمال انه فيما عدا شراء بعض الأسلحة كانت سياسة اللجنة أو الهيئة العربية العليا سياسة سلبية محضة .

لقد كان من واجب الهيئة العربية العليا ، وقد رأت الخطر يحدق بفلسطين ، أن تتخذ خطوات ايجابية لدفعه ، كنشر التعليم بين الفلسطينيين العرب وبناء مستشفيات وتقديم خدمات اجتماعية لهم وتعميم التـدريب العسكرى بين شبابهم ورجالهم القادرين على حمل السلاح .

ولكن الهيئة العربية العليا لم تفعل شيئا من ذلك ، لأن هذا يستلزم صرف أموال كثيرة وليس لديها ما يكفى من الأموال لهذه المشروعات . وكان فى امكانها أن تفرض على أهل فلسطين ضرائب ، وهم ليسوا فقراء، كما فعلت الوكالة اليهودية بالنسبة لليهود اذ كانت تفرض عليهم ضرائب التعليم والخدمات الاجتماعية ولذلك يندر أن يوجد يهودى أمى فى

فلسطين . وكان فى امكان الهيئة العربية العليا أن تنجح فى جمع تبرعات كبيرة من الفلسطينيين أنفسهم ومن الدول العربية والاسلامية لو أنها أثبتت لهؤلاء وأولئك أن ما يجمع ينفق فى الوجوه الصحيحة . ولكن أهل فلسطين لمسوا أن كثيرا من أموال الهيئة العربية العليا ينفق فى غير ما خصص له ففترت عزائمهم فى التبرعات .

واكتفت اللجنة العربية العليا ومن بعدها الهيئة العربية العليا بالاعتمادات التى كانت حكومة الانتداب تخصصها للتعليم والخدمات الاجتماعية . ولم تكن حكومة الانتداب تهتم بتعليم الشعب ولا بصحته ورفاهيته ، وترتب على ذلك أن المدارس العربية لم تكن تسع فى نهاية مدة الانتداب الا ٤٠٪ من الأولاد الذين وصلوا الى سن الدخول فيها . ولم يكن فى القدس الا مستشفى واحد حكومى كبير يستقبل المرضى العرب واليهود ، ولكنه كان يرفض علاج المحاربين من الجانبين العرب واليهود . أما اليهود فكانوا يعالجون فى مستشفياتهم وكان العرب يعالجون فى المستشفى الفرنسى . وكان هناك مستشفى آخر صغير فى بيت صفافا وضع فى خدمة العرب بعد ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ولكنه كان خاليا من الأدوات الطبية التى لا يستغنى عنها أى مستشفى . ولهذا عندما قامت المعارك بين العرب واليهود كان المناضلون العرب يجدون صعوبة كبيرة فى علاجهم اذا ما أصيبوا برصاص اليهود ، لأن المستشفى الحكومى لم يكن يقبلهم ، ولأن المستشفى الفرنسى يطلب أجرا للعلاج والعمليات ، وكانت أموال الهيئة العربية العليا فى يد المفتى المقيم فى القاهرة ولم يكن من السهل الحصول عليها .

كذلك كان من واجب الهيئة العربية العليا أن تعمل على احلال الوفاق والمحبة بين الأسر الكبيرة الفلسطينية التى كانت ماتزال تعيش فى نظام اقطاعى لا من ناحية امتلاك الأراضى والمزارع الواسعة ، ولكن من ناحية السياسة ، فقد كان لكل أسرة كبيرة حزب سياسى وقد سبق أن تكلمنا عن ذلك .

نقول كان من واجب الهيئة العربية العليا ، بل كان فى الواقع من واجب المفتى نفســه ، أن يعمل على جمع كلمة كل الأمر حوله ، وأن يوحد الشعب الفلسطينى وراءه ، ولكنه لم يفعل ، وظلت الفرقة تعرقل جهود الفلسطينيين فى النضال والكفاح .

بدأت اللجنة والهيئة العربية العليا باتخاذ السياسة السلبية من أول سنة من انشائها ، ذلك أن الثورة والاضراب عم البلاد فى سنة ١٩٣٦ . ولم تنته الثورة والاضراب الا بعد أن وردت برقية من الملك عبد العزيز آل سعود الى اللجنة العربية العليا يقول فيها ان الحكومة البريطانية وافقت على أن يوجه ملوك العرب وأمراؤهم نداء يدعون فيه العرب الفلسطينيين الى وقف الاضراب والى السكون مبدية استعدادها للنظر فى مقترحاتهم فى مصـــلحة العرب بالنظر اللائق . وقــد اتفق الملك عبد العزيز آل سعود والملك غازى والامام يحيى ملك اليمن والأمير عبد الله أمير شرقى الأردن على توجيه نداء نصه :

« لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة فى فلسطين ، فنحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب والأمير عبد الله ندعوكم للاخلاد للسكينة حقنا للدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل . وثقوا بأننا سنواصل السعى فى سبيل مساعدتكم » . مساعدتكم » .

وقد استجابت اللجنة العربية العليا لهذا النداء وأصدرت بيانا به فى ١١/١٠/١٩٣٦ طلبت فيه العدول عن الاضراب ، فأرسلت الحكومة البريطانية لجنة وصلت الى فلسطين فى ١١/١١/١٩٣٦ .

فماذا كان موقف اللجنــة العربيــة العليــا من اللجنة البريطانية ؟ قاطعتها وأصدرت قرارا بذلك . وسبب اصدار قرار المقاطعة هو ان وزير المستعمرات أصــدر بيــانا قال فيه « ان وقف الهجرة فى أثنــاء تحقيق اللجنة الملكية لا تسوغه أسباب اقتصادية أو غيرها ، وانما يعرقل مهمة اللجنة وفيــه استباق لمــا ستقرره اللجنة التى ستهتم بمعــالجة

مشكلة الهجرة . وحدد جدول الهجرة للستة أشهر التى تبتدىء من أول أكتوبر بألف وثمانمائه تصريح وذلك غير أصناف الهجرة الأولى التى تستمر وفقا للقانون . »

ولكن حكومات العراق والسعودية وشرقى الأردن رأت أن يتصل عرب فلسطين باللجنة لئلا تضيع عليهم فرصة بسط قضيتهم أمامها ، فأوفدت اللجنة العربية العليا وفدا الى العراق والسعودية للتفاهم حول الأمر ثم عاد الوفد يحمل كتابين من الملكين جاء فيهما « رأينا أن المصلحة تقضى بالاتصال باللجنة الملكية والادلاء اليها بمطالبكم العادلة لأن ذلك أضمن لحقوقكم وادعى لمساعدة أصدقائكم فى حسن الدفاع عنكم (١) .

لقد كان قرار مقاطعة اللجنة البريطانية فى غير محله ، ثم عدلت عنه اللجنة العربية العليا لأن الملك عبد العزيز آل سعود والملك غازى والأمير عبد الله بينوا لها خطأ هذا القرار ونصحوا لها بالاتصال باللجنة وعرض قضيتهم عليها .

غير ان هذه النصيحة التى كان يجب ان تكون دائما امام بصر اللجنة العربية العليا ومن بعدها الهيئة العربية العليا ذهبت أدراج الرياح فيما بعد عند قدوم اللجان الأخرى سواء كانت لجانا بريطانية أو موفدة من عصبة الأمم أو من الأمم المتحدة .

ورفضت الهيئة العربية العليا جميع العروض التى عرضتها بريطانيا لحل القضية الفلسطينية . وهذه العروض وان كانت لا تحقق كل الآمال الا أن بعضها كان يحقق الى حد غير قليل مطالب العرب . ولنذكر مثلا العرض الذى تضمنه الكتاب الأبيض الذى أصدرته بريطانيا فى سنة ١٩٣٩ فقد بينت بريطانيا فى هذا الكتاب السياسة التى ستتبعها فى حل مشكلة فلسطين . وقالت فيه انها تنوى أن تنشىء فى خلال عشر سنين دولة فلسطينية مستقلة ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة يشترك فيها العرب

---

(١) كتاب قضية فلسطين للاستاذ أكرم زعيتر صفحة ١٠٣ وصفحة ١٠٦

واليهــود . وسيزيد اشتراك العرب واليهــود فى الادارة . ومع الوقت سينشأ مجلس وزراء . وفى نهــاية خمس ســنوات ينشــأ مجلس نيابى تكون مهمته وضع التوصيات لدستور فلسطين المستقلة . وقالت بريطانيا ان واضعى صك الانتداب لم يقصدوا تحويل فلسطين الى دولة يهودية . وحدد الهجرة فى السنوات الخمس التالية بعدد قدره ٧٥ الفا .

وقد رفض عرب فلسطين او بعبارة ادق المفتى هذا العرض لأن بريطانيا قالت فى الكتاب المذكور « واذا دعا الأمر الى تأجيل الاستقلال فى نهاية السنوات العشر فانها ستستشير الأطراف المعنية » .

انى أفهم ان يرفض المفتى هــذا العرض لو كان لدى عرب فلسطين قوة تمكنهم من فرض ارادتهم والحصول على مطالبهم كاملة . ولكن أن يرفضه وهم مجردون من القوة ، وغير ساعين فى التزود منها ، فان هذا خطــأ كبير . وهكذا اضــاع المفتى واللجنة العربية العليا فرصة ذهبية لم تعد .

ومما يدعو الى الأسف ان ســاسة الدول العربية فى ذلك الوقت لم يقفوا موقفا حازما من اللجنة العربية العليا ورئيسها اذ كان واجب هؤلاء الســاسة ان ينصحوها ، بل ان يلزموها ، بقبول ذلك العرض . ولكنهم هزوا اكتافهم وقالوا اذا كان أصحاب القضية لا يقبلون هــذا العرض فانهم ــ أى ساسة البلاد العربية ــ لا يجدون داعيا لارغام الفلسطينيين على قبوله .

وبعد سبع سنوات عجاف أحس هؤلاء الساسة العرب انهم أخطأوا فى تخاذلهم امام اللجنــة العربية العليــا فطلبوا فى يوليه سنة ١٩٤٦ من بريطانيــا ان لا تتخذ أى خطوة تتعارض مع ما تضمنه الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ . ومعنى هذا انهم قبلوا فى سنة ١٩٤٦ ما رفضته اللجنــة العربية العليا فى سنة ١٩٣٩ . ولكن الصيف ضيعت اللبن .

لم تتعظ الهيئة العربية العليا من أخطائها فاستمرت فى مواقفها السلبية تصــدر قرارات مرتجلة ثم نزعم أن هــذه القرارات صدرت بعد درس

وتمحيص . ولا ندرى أى درس وتمحيص قامت به ، ورئيسهــا وبعض أعضائها يقيمون فى مصر وبعضهم فى القدس ، وبعضهم فى دمشق وبيروت؟ ولقد كان قرارها بمقاطعة لجنـــة التحقيق الدوليـــة التى أوفدتها الأمم المتحدة الى فلسطين فى سنة ١٩٤٧ قرارا بعيدا عن الحكمة . واغلب ظنى أنه صـــدر من المفتى والأعضاء المقيمين معه فى مصر فلم يشترك معه فيه المرحومان أحمـــد حلمى والدكتور حســـين فخرى الخالدى اللذان كانا يقيمان فى القدس ، يتحملان وحدهما الأعباء الثقيلة وهما مجردان من كل سلطة ومال .

ان القرار الذى أصدرته الهيئة العربية العليا بمقاطعة لجنة التحقيق الدولية كان قرارا سيئا اذ كان يجب على عرب فلسطين أن يعرضوا على على اللجنة قضيتهم مدعمة بحججهم القوية . وكان واجبهم ان يرحبوا بها لا ان يقابلوها بالاضراب . ولقـــد فرح اليهـــود من قـــرار المقاطعة الذى اتخذه العرب وعملوا من جانبهم على كسب عطف أعضاء اللجنة ونجحوا فى استمالة بعض أعضائها بشتى الطرق . من ذلك أن أحد أعضاء اللجنة القى محاضرة فى تل ابيب ندد فيهـــا بموقف الحكومة البريطانية تجـــاه اليهود فى الوقت الذى كانت تحتفل فيه حكومة الانتداب بأعضاء اللجنة . ولكن العضـــو المذكور لم يحضر الحفـــل وذهب الى تل أبيب لالقـــاء محاضرته . كذلك استمال اليهود عضوا آخر وهـــذان العضوان يمثلان دولتين من دول أمريكا اللاتينية .

وقد عاب أحد أعضاء اللجنة فى حديث له مع أحد القناصل فى القدس على العـــرب قرار المقاطعة ، وضعف دعايتهم ، ووقوفهم موقفا سلبيا ، ولامهم على عدم تقدمهم بأى مشروع انشائى لتحقيق أغراضهم ، وقال ان العرب يتجاهلون حقيقة قائمة هى أنه يوجد بفلسطين أكثر من ستمائة ألف يهودى يقيمون فيها وان اخراج هؤلاء اليهود من فلسطين هو ضرب من المحال . وقد أصبح مركز العرب فى فلسطين اليوم أضعف من مركزهم قبل عشرين سنة . ففى الماضى لم تجر هجرة اليهود على النطاق الواسع

الذى تجرى عليه الآن ، ولم تكن الصهيونية بالقوة التى هى عليها الآن من حيث المـال والنظام والمقدرة الفنية ، ولم تناصر الولايات المتحدة فى الماضى اليهود وهى تناصرهم اليوم وذلك للأسباب الآتية :

١ — أنه يوجـد فى الولايات المتحدة جالية يهودية كبيرة بدأ الشعور يسوء ضدها واصبح الأمريكيون غير راغبين فى زيادة عدد هذه الجاليـة .

٢ — ان اليهود الأمريكان انفسهم لا يريدون هجرة يهود جـدد الى أمريكا حتى لا يزداد الشعور العدائى ضدهم .

وأضاف ذلك العضو أن دول أمريكا اللاتينية تتأثر بسياسة الولايات المتحدة واتجاهاتها ، كما أنها تنفر من هجرة اليهود اليها ، ولهـذا فهى تحبذ هجرة اليهود الى فلسطين لتتخلص مما قد يطلب منها من قبول بعض المهاجرين اليهـود فى بلادها . كمـا أن دول أوربا الوسطى ترغب فى التخلص من اليهود المقيمين فيهـا ، ولذا فهى تشـجع هجرتهـم الى فلسطين . وقال أيضا انه لمس لدى مندوبى كندا واستراليا وهولاندا فى اللجنة انهم سيقرون تقسيم فلسطين واستنتج من موقف هؤلاء الأعضاء ان انجلترا والولايات المتحـدة ترغبان فى التقسيم وانهما سيعملان من وراء الستار لتحقيقه .

ولقد بعثت بهذا الحديث فى حينه الى الحكومة . ولكن حكومة ذلك العهد صمت آذانها عما كان ينقله اليها ممثلها الدبلوماسى وكان واجبها فى نظرى أن تنصح الهيئة العربية العليا بعدم مقاطعة اللجنة الدولية .

ان قرار المقاطعـة يكون مفهوما لو ان عرب فلسـطين كانت لديهم القوة التى تمكنهم من مقاومة قرار الأمم المتحدة وفرض ارادتهم وتحقيق استقلالهم ، ولكن الأمر لم يكن كذلك . ولهذا كان قرار المقاطعة بعيدا عن الصواب . على أن الهيئة العربية العليا اتخذت بعد ذلك قرارا آخر يتناقض مع قرار المقاطعة ، ذلك القرار هو ايفاد ممثـل لها الى الجمعية

العامة للامم المتحدة للدفاع عن وجهة نظرها . ففيم اذن كان قرار المقاطعة ؟

ومن الغريب ان حكومات الدول العربية فى ذلك الوقت لم تنصح الهيئة العربية العليا بأن المصلحة تدعو الى عدم مقاطعة لجنة الأمم المتحدة بل تركتها تقرر ما تراه ، وكأن تلك الحكومات لا يعنيها الأمر فى شيء .

وبعد ضياع فلسطين أخذ العرب ، وفى مقدمتهم الفلسطينيون ، ينظرون فيما جلبته اليهم الهيئة العربية العليا من نكبات بقراراتها المرتجلة الفاشلة . فهب المفتى يدافع عن نفسه وعن الهيئة العربية العليا التى كان تصرف فيها كما يشاء بغير حساب

وقال المفتى دفاعا عن نفسه فى تصريحاته واحاديثه التى نشرها ما يأتى :

« هل كان صوابا أن تعالج هذه القضية الخطيرة بالحلول الواهية الخادعة التى عرضها الانجليز على عرب فلسطين فرفضوها بعد درس وتمحيص ولم يكن رفضهم لها اعتباطا وتعنتا ؟ » .

وان أحسن رد على تساؤله هو : لو لم ترفض تلك الحلول لما ضاعت فلسطين ، ولما تشرد من أهلها ما يقرب من مليون نسمة .

ولقد سبق أن قلنا ان الدول العربية رفضت مشروع الوصاية الذى تقدمت به الولايات المتحدة بعد أن رفض العرب قرار التقسيم . وكان هذا الرفض بايحاء الهيئة العربية العليا والأستاذ عبد الرحمن عزام .

وهكذا اضاعت الهيئة العربية العليا فرصا ثمينة لتسوية قضية فلسطين تسوية مرضية الى حد كبير .

ومن الغريب ان الهيئة العربية العليا نسيت ان استقلال معظم الدول العربية كان حتى سنة ١٩٤٨ مشوبا ببعض القيود . ولكن هذه القيود لم تمنع تلك الدول من أن تقبله ، ثم عملت بعد ذلك على التخلص من تلك القيود فاصبح استقلالها استقلالا تاما مائة فى المائة ولكن الهيئة العربية

العليا كانت تطلب من الدول العربية أن تساعدها فى الحصول على استقلال لفلسطين أكمل من استقلال الدول العربية نفسها !! انه طلب غير معقول وتحقيقه مستحيل .

وأمامنا مثل عظيم هو استقلال انجزائر التى ضحت فى ثورتها بمليون من أعز أبنائها وبناتها وانتهت مع فرنسا الى قبول تسوية كانت أيضا مشوبة ببعض القيود لم تلبث أن تخلصت منها .

٥ ــ الاسلحة التى اشترتها الهيئة العربية العليا :

والآن ننتقل الى العمل الايجابى الوحيد الذى قامت به الهيئة العربية العليا وهو شراء بعض أسلحة عتيقة وزعتها على بعض المناضلين توزيعا سيئا .

قال سماحة المفتى فى تصريحاته وأحاديثه « ص ٨٩ » ما يأتى :

« وقامت الهيئة بادارة دفة القضية انوطنية خلال ظروف صعبة قرابة عامين ... فخلال هذين العامين لم تدخر الهيئة جهودا فى جمع شمل أهل فلسطين وتنظيم صفوفهم واعداد البلاد للمعركة المقبلة بين العرب واليهود بتزويدها بالسلاح والعتاد وكل ما تحتاج اليه المعركة من وسائل حسب استطاعتها .. وكان الحصول على هذه الأسلحة وايصالها الى فلسطين عسيرا فى بادىء الأمر ، حتى أن بعض من عهدت اليهم الهيئة العربية العليا بهذه المهمة سجنوا فى عام ١٩٤٦ وفى النصف الأول من عام ١٩٤٧ ، ثم استطاعت الهيئة فيما بعد تذليل بعض العقبات القائمة فى هذا السبيل » .

وقال فى صحيفة ٩٠ « وكذلك أقامت الهيئة فى مصر عدة مصانع وورش ومخازن لاصلاح السلاح وصيانته وتخزينه لأن أكثره من مخلفات الجيوش أو كان مدفونا فى باطن الأرض أو ملقى فى الصحراء . وأنشأت أيضا مصنعا لتعبئة الذخيرة فى دمشق ومستودعات فى دمشق وبيروت وصيدا والسلوم ومرسى مطروح والحمام والعريش وكثيرا من أمثالها فى داخل فلسطين » ..

وقال فى صحيفة ٩٣ « ولما اشتد خطر الهجوم اليهودى على القدس وقضت الحالة بسرعة ايصال السلاح والعتاد الى المجاهدين الفلسطينيين عهدت الهيئة الى استئجار بعض الطائرات ، كما تفضلت الحكومة اليمنية المتوكلية فأعارتها ثلاث طائرات بدون مقابل ، نقلت السلاح بواسطتها من القاهرة ودمشق الى فلسطين ، وبذلك تمكن المجاهدون المدافعون عن القدس من صيانتها وحفظها من السقوط فى أيدى القـــوات اليهودية المهاجمة ، كما تمكنوا من دفع العدوان فى بعض الجهات الأخرى » .

هذا هو ما كتبه الحاج محمد أمين الحسينى دفاعا عن نفســه وعن الهيئة العربية العليا بعد وقوع الكارثة واعتباره فى نظر كثير من الناس أنه من أوائل المسئولين عن وقوعها . لا شك أن المسئولية خطيرة فقــد حمل سماحته أمانة كبيرة لم يؤدها . وقد يكون له عذره لأنه كان مبعدا عن فلسطين . ولكنه كان يجب عليه الا يصر على حمل الأمانة ، بل كان من واجبه أن يحملها غيره ، وليست فلسطين خالية من الرجال الأفذاذ الذين كانوا يستطيعون أن يديروا دفة القضية بمهارة الى أن تبلغ شــاطىء السلامة لذلك أجهد الحاج محمد أمين الحسينى نفسه فى الدفاع عن الهيئة العربية العليا ولكن دفاعه لا يستقيم مع ما حدث ومع ما سجلته الأيام كما يتضح مما يلى :

بدأت المعارك الدموية تقع بين العــرب واليهود بعد القــرار الذى أصدرته الهيئة العربية العليا باعتبار يوم ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ — وهو تاريخ صدور قرار التقسيم من الأمم المتحدة — يوم حداد ، وناشدت فى قرارها الشــعب أن يستمر فى المقاطعة وأن يضرب ثلاثة أيام هى ٢ و ٣ و ٤ ديسمبر سنة ١٩٤٧ .

وعلى أثر قيام المعارك بين العرب واليهود لاحظت كما لاحظ زملائى قناصل الدول العربيــة قلة السلاح لدى العــرب وكثرته لدى اليهود فكتبت للوزارة فى ٩ ديسمبر ١٩٤٧ أرجو أن تسرع الدول العربية بمد عرب فلسطين بالسلاح والذخيرة .

وبتاريخ ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٤٧ أبلغت الحكومة المصرية شـكوى الدكتور حسين فخرى الخالدى من تأخر وصول الأسلحة من البلاد العربية وقلت فى هذا الصدد حرفيا ما يأتى :

« شكا اليوم بمرارة الدكتور حسين فخرى الخالدى أمين سر الهيئة العربية العليا فى حديثه معى من تباطؤ البلاد العربية فى مد فلسطين بالأسلحة التى طالما وعد بها رؤساء الحكومات العربية . وبدأ عرب فلسطين يمجون التصريحات الرنانة المتوالية التى يفضى بها هؤلاء الرؤساء ورجال الأحزاب فى تلك البلاد عن تصميمهم على مساعدة فلسطين وأصبح كثير من أهل فلسطين يعتقدون أن رؤساء الحكومات العربية ورجال الأحزاب فى البلاد العربية اتخذوا من مأساة فلسطين وسيلة للدعاية الحزبية » .

فاذا كانت الهيئة العربية العليا أرسلت حقيقة أسلحة وذخيرة فلمن أرسلتها ؟ ان أمين سر هيئتها وهو رجل من زعماء فلسطين مفروض فيه أنه يعلم الى من أرسلت الهيئـة العربية العليا السلاح والذخيرة اسـتنجد بالحكومات العربية أن تمد عرب فلسطين بالسلاح والذخيرة .

فكيف يستقيم هذا مع ما يذكره المفتى من أنه كان يرسل أسلحة وذخيرة الى المجاهدين الفلسطينيين ؟

ولم يكن الدكتور حسين فخرى الخالدى هو الوحيد الذى استنجد بالحكومات العربية فى مد عرب فلسطين بالأسلحة والذخيرة . ولكن طلب النجدة كان عاما كما يتضح من البرقية التى أرسلتها اللجنة القومية فى نابلس بتاريخ أول يناير سنة ١٩٤٨ الى ملوك ورؤساء الوزارات ورؤساء مجالس الشيوخ والنواب والى ولى عهد المملكة العربية السعودية والى الهيئة العربية العليا بالقاهرة تطلب فيها اللجنة القوميـة السلاح . وقد نشرت جريدة فلسطين فى عددها الصادر فى أول يناير سـنة ١٩٤٨ تلك البرقية ونصها كما يأتى :

« ان ما تسمعونه كل يوم من الجرائم اليهودية الغادرة التى يحترق

بنيرانها مئات الأبرياء من العرب والتى يترفع عن اقترافها الجنود الشرفاء البواسل تجعل عرب فلسطين العزل من السلاح المؤمنين بحقهم والمجاهدين دودا عنه يسألونكم بمرارة وألم يا أصحاب الجلالة والفخامة والدولة الى متى ؟ .... انه لشرف لعرب فلسطين يتسابقون اليه أن يموتوا دفاعا عن بلادهم وصونا لشرف العروبة ولـكنه يؤلمهم أن يموت أبناؤهم موت الخراف فى الشوارع وأيديهم يكبلها الاستعمار بقيوده وحديده وجنوده . يؤلمهم تتابع هـذه المآسى وعيون الأهل ناظرة والسيوف مغمدة . يؤلمهم أن يفاجئهم الموت الغادر وماتزال فى نفوسهم حسرة وقلوبهم ألم من الأهل والعشيرة فالى متى ؟ ... يرى العالم قوافل النجدة والعتاد من اليهودية العالمية ويسمع مقررات الدول العربية فالى متى ؟ » .

وهذه البرقية التى أرسلتها اللجنة القومية بنابلس وهى أكبر لجنة قومية فى فلسطين تناقض تماما ادعاء الحاج محمد أمين الحسينى أنه أرسل أسلحة الى فلسطين للهجوم بها على اليهود أو للدفاع عن البلاد . اللهم الا اذا كان سماحته يقصد الأسلحة التى أرسلها الى بعض أنصاره .

على أننى أذكر فيما يلى بعض فقرات من كتابى سالف الذكر الذى أرسلته للوزارة متضمنا شكوى الدكتور حسين فخرى الخالدى وهـذه الفقرات تهدم أيضا ادعاء الهيئة العربية العليا أنها أرسلت أسلحة ذات أثر الى فلسطين . قلت فى ذلك الكتاب ما يأتى :

« يقع التصادم المسلح بين العرب واليهود يوميا فى بعض بلاد فلسطين التى تحتوى على سـكان من العنصرين وفى كثير من الطرق العموميـة خصوصا طريق القدس ـ يافا ـ تل أبيب ـ وقد دلت الحوادث على أن العرب بالرغم من قلة ما تجمع لديهم من أسلحة فى الأيام الأخيرة وبالرغم من رداءة نوعها برهنوا على شجاعة عظيمة وعلى أنه لو كان لديهم نصف ما لدى اليهود من أسلحة لنكلوا باليهود شر تنكيل .

« اشترك بعض أفراد الجيش العربى فى حوادث التصادم مع اليهود فقتل أحدهم فى اشتباك واحد خمسة عشر يهوديا وجرح تسعة . ويخشى

اليهود بأس هـذا الجيش وهم يطلبون باستمرار والحاح من الحكومة سحبه من فلسطين ولـكن الحكومة أجابتهم فى بلاغ رسمى بأنه ما دام اليهود مستمرين فى الاعتداء على الانجليز فان هذا الجيش سيبقى فى فلسطين .

« يقوم الجيش البريطانى بحركة تفتيش واسعة النطاق على الطرق العمومية باحثا عن الأسلحة فيفتش سيارات الأمنيبوس العربية واليهودية وقد صدر بيان رسمى عن كمية الأسلحة التى صودرت وجاء فى البيان أنه فى حين أن الأسلحة التى صودرت من العرب كانت أقل عددا من الأسلحة التى صودرت من اليهود فان عدد العرب الذين اعتقلوا بسبب حمل السلاح كان أكثر من عدد اليهود . وقد كذب البيان اشـاعات تحليق طائرات أجنبية على فلسطين . وحركة التفتيش التى يقوم بها الجيش البريطانى هى نتيجة لحملات اليهود فى بريطانيا على الحكومة البريطانية واتهامها بأنها تغضى عن تسلح العرب .

« يجب بحث مسألة التطوع لانقاذ فلسطين التى تقوم فى بعض البلاد العربية على أساس فنى فلا يصح قبول كل متطوع وانما يقبل من يكون صالحا لحرب العصابات فى بلاد ذات مناخ بارد كثير المطر فى فصل الشتاء .

« واذا تطوع بعض المصريين فاننا نرى تخصصهم للعمل فى منـاطق النقب وهى مناطق تشبه فى جوها وطبيعتها صحراء سيناء .

« سيزداد الاشتباك بين العرب واليهود بعد نهاية موسم البرتقال وهذا مع افتراض أن الأسلحة ستصل الى العرب أما اذا لم تصلهم أسلحة فسيقف العرب موقف المدافع أو يطلبون النجدة من شرق الأردن كما سنبينه فى البند التالى .

« اذا لم تبادر الدول العربية الى ارسال أسلحة الى فلسطين فان غالبية أهلها سيلتجئون الى شرق الأردن طلبا للنجدة ولا يهمهم بعـد ذلك أن يؤدى التجاؤهم الى تحقيق مشروع سوريا الكبرى أو لا مادامت الدول

العربية فى نظرهم قد غررت بهم اذ وعدتهم بالمساعدة السريعة الفعالة ولم ينلهم منها حتى الآن الا التصريحات الطويلة » .

وقد يكون من المناسب أن نذكر هنا ما جاء فى مقال الأستاذ محمد التابعى الذى أشرنا اليه سابقا عن الأسلحة التى زعمت الهيئة العربية العليا أنها كانت ترسلها الى المجاهدين فى فلسطين . قال الأستاذ التابعى ما يأتى :

« انتهت الحرب العالمية الثانية فى ربيع عام ١٩٤٥ ..

« وبدأت عصابات اليهود فى فلسطين حربا ضد الجنود البريطانيين .. وضد السكان العرب أى أصحاب البلاد .

« واستمر عدوان العصابات اليهودية طوال عامين ..

« وبدا واضحا ان هذه العصابات تملك السلاح والذخائر بكميات وافرة .

« وبدأت فى مصر حملة واسعة لشراء السلاح والذخيرة ..

« وعهد الى سماحة المفتى بأن يتولى هو ورجاله ارسال هذه الأسلحة الى المجاهدين المناضلين من عرب فلسطين لكى يدافعوا بها عن أنفسهم وذويهم ودورهم ضد عدوان عصابات اليهود ..

« وقال المفتى سامحه الله ان هـذه الأسلحة ترسـل أولا بأول الى المجاهدين فى فلسطين ..

« ولكن الله أراد أن يكشف السر ..

« فقد شبت النار ذات يوم فى ضاحية الزيتون وبالقرب من الدار المخصصة لسكنى الحاج أمين الحسينى ..

« وأثناء عملية اطفاء النيران . وكان منها هدم بعض جدران الأبنية المحيطة بدار المفتى حتى لا تتصل بها النار فتنقلها الى دور أخرى .

« أثناء هذه العملية والعمليات .. اكتشف رجال المطافىء مخزنا كبيرا قد تكدست فيه جميع الأسلحة والذخائر التى اشتريت بأموال التبرعات .

« أى ان المفتى لم يرسلها الى المجاهدين فى فلسطين .

« بل أبقاها هنا فى مصر ..

« ولمـاذا ؟

« لكى يستعملها هو وأنصاره ورجاله .. لا ضد اليهود ..

« كلا .. بل ضد السياسيين العرب فى فلسطين بعد أن تدخل الجيوش العربية فلسطين وتطرد منها عصابات اليهود » .

وما ذكره الأستاذ التابعى ينفى ما جاء فى حديث سماحة المفتى .

٦ ـ الهيئة العربية العليا تستبدل بالأسلحة المصرية الجديدة أسلحة قديمة غير صالحة ونرسلها الى دمشق :

اقترحت على الوزارة فى خطاب أرسلته اليها بتاريخ ٣ فبراير سـنة ١٩٤٨ أن تتولى اللجنة العسكرية التى ألفتها الجامعة العربية جمع الأسلحة وتوزيعها على سكان فلسطين حتى لا تعطى الأسلحة فريقا دون فريق . وقلت فى هذا الخطاب انى سمعت أن الحكومة المصرية أعطت الهيئة العربية العليـا حوالى ١٢٠٠ بندقية من جملة آلفى بندقية ستعطيهـا مصر فلسطين . وكان يحسن أن نعطى هذه الأسلحة اللجنة العسكرية لتوزيعها بمعرفتها على البلاد الأكثر احتياجا مثل يافا وحيفا والقدس .

وقد صح ما سمعته اذ قامت الحكومة المصرية بتسليم ١٢٠٠ بندقية جديدة للمفتى بالقاهرة . ليتولى تسليمها الى اللجنة العسكرية بدمشق . ولكن المفتى لم يرسل البنادق الجديدة وانما أرسل بنادق قديمة .

وفيما يلى أنقل حرفيا ما جاء بكتابى المؤرخ ١٦ مارس سـنة ١٩٤٨ عن تغيير الأسلحة المصرية الجديدة بأسلحة قديمة غير صالحة للاستعمال — قلت :

« لقد سافر اليوزباشى عصام حلمى المصرى (المرحوم اللواء عصام حلمى المصرى) الى سوريا وقابل طه باشا الهاشمى القائد العام لجيش التحرير لفلسطين وتناول حديث الاثنين هـذه البنادق كما يتضـح من الاطلاع على التقرير الذى وضعه اليوزباشى عصام المصرى .

« وما جاء بتقرير اليوزباشى عصام عن هذه البنادق أمر خطير جدا نرى من الواجب أن يجرى بشأنه تحقيق دقيق اذ لا معنى لأن تتبرع مصر ببنادق هى أحوج اليها ثم يكون جزاؤها غير مشكور .

« وفيما يلى ما جاء بتقرير اليوزباشى عصام عن هذه البنادق .

« وأثناء الحديث أثار سعادته موضوع اتفاق مصر مع الجامعة العربية بتعهدها بارسال ٢٠٠٠ بندقية و ٥٠ طلقة ذخيرة لكل بندقية .

« وروى لى سعادته بأنه للأسف وصل من هذه الأسلحة ١٢٠٠ بندقية فقط ووجد انها غير صالحة للاستعمال نظرا لاستهلاكها وكثرة استعمالها السابق قبل ارسالها .

« وقد اعترتنى الدهشة وأخبرت سعادته انه لا بد فى الأمر شىء وانه من المستبعد أن تقوم مصر بهذا العمل لا سيما وانها قامت من جانبها بقسط وافر نحو المساعدة الفعلية فى قضية فلسطين سواء بالمال أو العتاد . وأخبرت سعادته بأنى سأقوم بتبليغ رئاستى بهذا الوضع لتقوم من جانبها لاتخاذ الاجراءات التى تكفل اظهار الحقيقة .

« وقد توجهت شخصيا فى اليوم التالى للمقابلة الى المفوضية المصرية بدمشق وتحدثت مع المسئولين بخصوص تصريح طه باشا الهاشمى لى بشأن الأسلحة التى أرسلتها مصر لفلسطين وقد علمت من المصدر المذكور الآتى :

« ان مصر قد قامت فعلا بتسليم العدد المذكور بحالة جيدة الى فضيلة المفتى وتصادف أن قام أعوان فضيلته بفلسطين بجمع الأموال من أهالى فلسطين العرب لغرض شراء أسلحة لهم . ولما أحضر هؤلاء الأعوان الأسلحة للأهالى وجد الأخيرون أن الأسلحة المشتراة غير صالحة الاستعمال وطالب هؤلاء الأعوان اما بتغييرها أو باعادة المبالغ السابق جمعها . ولما وصل لعلم فضيلة المفتى ذلك سلمهم فضيلته الأسلحة السابق ارسالها من مصر واستعاد الأسلحة السابق مشتراها منهم واحتفظ بها . ولما طلبت

الهيئة العسكرية بسوريا نصيب ما تبرعت به مصر من الأسلحة لتسليمها الى القوات التى تم تدريبها ، قدم اليها الأسلحة غير الصالحة للاستعمال على انها هى التى أرسلتها مصر » .

٦ ـ الهيئة العربية تنشىء جيش الجهاد المقدس :

قال الحاج محمد أمين الحسينى فى صحيفة ١٢٦ من كتاب تصريحاته وأحاديثه ما يأتى :

« وكان مجلس الجامعة العربية فى اجتماعه المنعقد فى عالية فى أكتوبر سنة ١٩٤٧ قد وافق على تقرير الخبراء العسكريين بوضع عرب فلسطين فى وضع مماثل لليهود من حيث تسليحهم وتدريبهم وتحصين مدنهم وقراهم تحصينا عسكريا فنيا ، وجعلهم الأساس فى الدفاع عن بلادهم لأنهم أعرف بمواقعها وطرقها ومسالكها ولأنهم أشد تصميما واستماتة فى الذود عن أهليهم وأموالهم وديارهم بالاضافة الى انهم أقل نفقة من المتطوعين أو الجنود القادمين من خارج فلسطين ، كما قرر أن ترابط الجيوش النظامية للدول العربية على حدود فلسطين دون دخولها لتقوية الفلسطينيين ولمساعدة المجاهدين عند الضرورة بالعتاد والضباط وبعض الوحدات الفنية » .

ثم قال فى صحيفة ٩١ ما يأتى :

« وقامت الهيئة العربية بانشاء جيش الجهاد المقدس بقيادة الشهيد المرحوم السيد عبد القادر الحسينى يساعده عدد من المشهود لهم بالبسالة والخبرة من قواد المناطق فى فلسطين وأكثرهم من الذين تدربوا عسكريا فى العراق وبعضهم فى المانيا ويساعدهم عدد من الضباط سوريين وعراقيين » .

وهنا يثور السؤال الآتى : هل كان جيش الجهاد المقدس الذى أنشائه الهيئة العربية العليا جيشا حقيقة ؟ وهل كان المرحوم الشهيد عبد القادر الحسينى تغمده الله برحمته وأكرم مثواه ذا مؤهلات حربية

تؤهله الى أن يقود جيشا ؟؟ لقد كان رحمه الله شـجاعا وكان عظيما فى وطنيته واخلاصه لبلده ولكن هل كان هذا يكفى لجعـله قائدا لجيش الجهـاد المقدس اذا فرض ان كان هناك جيش جهاد مقدس ؟ . لم يقـل سماحة المفتى فى أحاديثه شيئا عن عدد جيش الجهـاد المقـدس ولا عن أسلحته وأين تدرب هـذا الجيش ؟ لعـله يخشى أن يفشى أسرار ذلك الجيش . ولكن سماحته نشر أحاديثه بعـد ضياع فلسـطين ، فليس فى النشر خطر على ذلك الجيش الذى أصـبح فى ذمة التـاريخ . ولكن قد يكون السـبب فى عدم نشره شيئا عن ذلك الجيش هـو أن ذلك الجيش لم يوجد . وانما كان هناك مناضلون أو مجـاهدون يقودهم أشخاص لا تربطهم بعضهم ببعض أية صلة . نعم هـذه هى الحقيقـة أقررها لأنى كنت أعيش فى القـدس فى سـنتى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ . أما سماحة المفتى فلم يكن يقيم فى القـدس ولم يكن يدرى ماذا يجـرى فى القدس وكان يستمد معلوماته من الملتفين حوله ، وكثيرا ما كانت تصله معلومات خاطئة أو مضللة . ومن المعلومات المضللة التى كانت تقدم اليه أخبار انتصـارات العرب على اليهود وكان هو بدوره ينقلها بحسن نية طبعا الى رجال حكومات الدول العربية سواء فى أحاديثه معهم أو فى بلاغات تنشر عن المعارك .

والواقع أن جيش الجهاد المقدس لم يكن جيشا بالمعنى المعروف عن جيش . وانمـا هم مجاهدون من أنصار المفتى عددهم قليل والى جانبهم كانت توجد قوة صغيرة تتكون من ١٣٠ شخصا يرأسها ضابط عـراقى هو الضابط فاضل عبد الله أرسلتها القيادة العـامة لجيش التحرير من دمشق . وفيما يلى نذكر بعض فقرات من كتابى الذى أرسلته للوزارة بتاريخ ٨ مارس سنة ١٩٤٨

« فى يوم ٦ مارس سنة ١٩٤٨ اجتمع عنـدى فى القنصلية المصرية قناصل العراق والمملكة العربية السعودية ولبنان وسوريا وشرق الاردن فأبلغتهم ما وصل الى علمى من أحد زملائى القناصل الأجانب عن عـزم

عصابة شترن الارهابية على الاعتداء على القناصل العرب حتى يتخـذوا الاحتياطات اللازمة فى التنقلات وقد استعرضنا الحالة فى فلسطين ، وفيما يلى المسائل التى كانت فيها وجهة نظرنا جميعا متفقة .

أولا — القيـادة العسكرية فى القـدس فى أيد عديدة ففيها ثلاثة قواد لا اتصال بينهم أصلا ، وهم صلاح الحاج مير فلسطينى معين من قبل المفتى لبلدة القدس .

ثانيا — فاضل عبد الله ضابط عراقى حضر أخيرا على رأس قوة تتكون من حوالى ١٣٠ شخصا وقد عينته القيادة العامة لجيش التحرير قائدا لمنطقـة القـدس .

ثالثا — عبد القادر الحسينى معين من قبل المفتى قائدا لمنطقـة القدس والقرى المجاورة لها .

ويعسكر صلاح الحاج فى حى الشيخ جراح . ويعسكر فاضل عبد الله فى حى القطمون خارج منطقة الأمان البريطانية . والى جانب هؤلاء القواد وقواتهم الصغيرة يوجد الحرس المحلى وهو لا صلة له بهم . والخلاصة أن الحالة كانت فى حاجة الى تنظيم سريع وانه اذا لم تسـارع القيـادة العربية العامة الى تنسيق القيادة والدفاع عن القدس ومدها بقـوات كافية فان اليهود يستطيعون قطع الاتصال بين الأحياء العربية فى القدس . وستعزل أحياء القطمون والبقعة وبيت صفافا . وفى بيت صفافا يوجـد المستشفى العربى الوحيد فى القدس . وفى نظرنا أن القدس يجب أن تنال الاهتمام الأول لأن كل حركة فيها تظهر آثارها على المسرح الدولى بسرعة .

وكان للعرب فى القدس ميزة كبرى فى صراعهم مع اليهود وهى انهم يستطيعون قطع الماء عن القدس واحكام الحصار عليها من جميع الجهات . وفى القدس مائة الف يهودى يمكن القضـاء عليهم بهـذا السلاح الماضى بشرط أن يقوى الدفاع عن الأحياء العربية بها حتى اذا ما أراد اليهود الانتقام من العرب فى تلك الأحياء صد العرب الاعتداء . قد يقال : اذا قطع

الماء عن القدس تأثر العرب كاليهود . والرد على ذلك أن العرب لا يتأثرون الا قليلا جدا ، لأن الأحياء العربية تحتوى على آبار تكفى لمعظم السكان العرب بينما لا توجد فى الأحياء اليهودية آبار مطلقا . ويجب على القيادة العربية أن تعمل فورا على اخراج النساء والأطفال والعجزة العرب من القدس ، حتى اذا ما قطع الماء لا يتأثر من يبقى من العرب فى القدس اذ تكون الآبار كافية جدا والتموين سهلا .

ثانيا — ان كل هجوم على المستعمرات اليهودية بأسلحة خفيفة محكوم عليه بالفشل . واذا اكتفى العرب بحصار المستعمرات بواسطة قطع الطرق عليها فان أثر ذلك لا يظهر سريعا ، اذ لدى كل مستعمرة يهودية ما يكفيها من زاد وسلاح وعتاد وماء مدة طويلة ، ولا مفر من استعمال مدافع ثقيلة لهدم المستعمرات اليهودية .

ثالثا — يستخف العرب بقوة اليهود ، استخفافا ليس له أى مبرر وهذا الاستخفاف يضر بالعرب ضررا كبيرا .

رابعا — كان لدى حكومة شرق الأردن قوة يطلق عليها اسم قوة الحدود تتألف من ٢٥٠٠ جندى وضابط من أحسن الجنود والضباط وقد سرحت ومن المصلحة العمل على الحاقها بجيش التحرير .

ونخلص مما تقدم الى أن جيش الجهاد المقدس كان اسما على غير مسمى وأعود الى قرار مجلس الجامعة العربية الذى ذكره المفتى فى أحاديثه وهو القرار الخاص بوضع عرب فلسطين فى وضع مماثل لليهود من حيث تسليحهم وتدريبهم فأقول انى كتبت كثيرا أرجو أن تسلح الدول العربية الفلسطينيين ، فهم أولى الناس بأن يكونوا فى مقدمة الصفوف للدفاع عن بلدهم . وهم كما قال سماحة المفتى بحق أعرف الناس بمواقع بلادهم وطرقها ومسالكها ، ولأنهم أشد تصميما واستماتة فى الذود عن أهلهم

وأموالهم وديارهم . وقد حققت الحوادث هذا الكلام فقد انهزم جيش التحرير أو جيش الانقاذ الذى كونته الجامعة العربية من غير الفلسطينيين أمام اليهود فى أول معركة التقى بهم فيها بالقرب من بيسان ، ولم يقو على احتمال الصدمة أكثر من بضع ساعات كما سنبينه فيما بعد .

٨ ــ الهيئة العربية العليا تستهين بقوة اليهود وتصدر بلاغات غير صحيحة عن المعارك :

لم يكن سماحة المفتى يدرى شيئا عن قوة اليهود . وكيف كان يدرى شيئا عنها وهو يقيم بعيدا عن فلسطين ؟ ان الصورة التى كانت تعلق بذهنه عن قوة اليهود هى تلك الصورة التى كانت فى ذهنه قبل أن يغادر البلاد فى سنة ١٩٣٦ . ففى ذلك الوقت لم يكن عدد اليهود قد وصل الى الرقم الذى وصله فى سنة ١٩٤٧ . وفى السنين التى تلت مغادرة المفتى للبلاد ، وهى سنون عديدة ، كان اليهود يعملون ليل نهار فى الاستزادة من أسباب القوة ، فأصبح لهم جيش منظم كامل العـدد والعدة أطلقوا عليـه اسم « الهاجناه » وهذا بخلاف عصابة شترن ، وعصابة تزفاى ليومى وكانت هـذه العصابات تستمع الى توجيهات الوكالة اليهودية كجيش الهاجناه تمـاما . فقد امتنعت هـذه العصابات بناء على طلب الوكالة اليهودية من أعمال الارهاب والعدوان عندما وصلت لجنة التحقيق الدولية التى عينتها الأمم المتحدة فى سنة ١٩٤٧ ولما سافرت هذه اللجنة استأنف الارهابيون أعمالهم الاجرامية ضد الانجليز والعرب .

وعلى ذلك فقد كان مصدر معلومات المفتى عن قوة اليهود هو السماع وكثيرا ما كانت تنقل اليه المعلومات التى تسره وهى أن اليهود من الضعف بحيث يمكن أن يلقى بهم العرب فى البحر بسهولة وبقوة صغيرة .

يقابل قوة اليهود التى كانت آخذة فى الازدياد ركود العرب وعدم تنظيمهم . وقد كتبت عن ذلك كثيرا ورجوت أن تسارع الدول العربية الى مد الفلسطينيين بالسـلاح والذخـيرة وان تقوم اللجنة العسكرية التابعة

للجامعة العربية بتنظيم المناضلين وتنسيق أعمالهم مع أعمال القوات التى ترسلها من جيش التحرير الذى تقوم بانشائه وتدريبه فى سوريا .

وكانت اقامة المفتى خارج فلسطين ضارة من وجوه عديدة اذ فضلا عن أنه كان يتلقى معلومات خاطئة أو مضللة عن قوة اليهود كان غيابه عن فلسطين وتشبثه بقيادة أمورها ضارا بالقضية من جهة أخرى ، فلم يكن هناك رئاسة تربط المناضلين وتنسق اعمالهم وتمنعهم من ارتكاب ما يضر بالقضية .

ويقول المستر جريفز الذى كان رئيسا للجنة بلدية القدس فى سنة ١٩٤٧ و ١٩٤٨ فى صحيفة ٢٧ من كتابه « تجربة فى الفوضى » ان عدم خضوع المناضلين العرب الى قيادة منظمة كان سببا فى ضياع كمية هائلة من الذخيرة التى كانت تطلق بغير داع ، وان كثيرا من المعارك التى كانت تدور كانت تحدث بدون تصريح للمناضلين العرب » . والواقع أن ذلك كان صحيحا .

وقد كتبت للوزارة فى ١٢ يناير سنة ٩٤٨ انتقد هذا الوضع وقلت ان العضوين الباقيين من أعضاء الهيئة العربية العليا فى القدس وهما الدكتور حسين فخرى الخالدى واحمد حلمى باشا ليست لهما أى سلطة على المناضلين وان ما يجرى من هجوم على السيارات والمستعمرات اليهودية لايعلمان عنه شيئا الا بعد وقوعه ، ولا يستطيعان ان يمنعا حدوثه اذا وجدا ان ذلك فى المصلحة لاى سبب من الأسباب .

ولم يستطع المفتى وهو يقيم خارج فلسطين ان يكون على علم صحيح بما يدور فى المعارك الدامية التى تقع بين العرب واليهود فكان يستمد معلوماته من السماع أو من الصحف الفلسطينية أو المصرية ولذلك كان يصدر بلاغات عن نتيجة هذه المعارك لا تتفق مع الحقيقة .

ولقد حاولت ان انبه الى عدم صحة ما تنشره الصحف الفلسطينية والمصرية عن انباء المعارك فكتبت للوزارة أقول « ان أخبار انتصارات

العـــرب على اليهود تفيض بها الصحف هنا (أى فى فلسطين) وفى مصر وهى أخبار ليست صحيحة فى كثير من وقائعها . وكان جديرا بالصحف ان تتحرى الصدق فيما تنشره حتى لاتضلل المقيمين فى خارج فلسطين بهـــذه الأخبار التى قد تؤدى الى التباطؤ فى تقديم المساعدة لفلسطين اعتمادا على أن عربها ليسوا ضعافا . وقد اغدقت بعض الصحف المصرية القاب الرتب العسكرية على أشخاص لا يعرفون من الشئون العسكرية ابسط مبادئها . وتنشر الصحف أحيـــانا اخبارا عن تدفق المجاهدين الى فلسطين من البلاد العربية . وهذا النشر ضار بالقضـــية الفلسطينية اذ ليس من المصلحة أن يعرف العدو مثل هـــذه الأخبار لأنها تدعوه الى مضاعفة الاستعدادات . كذلك طلبت من الحكومة ان تعمل على منع القواد العرب من التحدث الى أى صحفى وذلك على أثر الحديث الذى ادلى به فـــوزى القاوقجى قائد جيش التحرير الى مراسل امريكى قال فيه القاوقجى ان قوات من المتطوعين الأتراك والأفغانيين دخلوا اخيرا فلسطين وسوف نحصل فى الصيف القادم على عدد آخر من المتطوعين . وهذا كلام لا أصل له من الحقيقة اطلاقا ولا ندرى ما الدافع للادلاء به حتى لو كان صحيحا فما بالنـــا اذا كان غير صحيح .

ومن قبيل ما نشر ــ خلافا للحقيقة ــ عن انتصارات العرب البلاغات التالية التى صدرت من الهيئة العربية العليا ومن الملحق الصحفى فى مقر قيادة جيش التحرير ومن وكالة الانباء العربية ونشرتها الصحف فى جميع البلاد العربية .

ولنبدأ بذكر البلاغات ثم نتبعها بالحقائق التى عرفناها عن الانتصار المزعوم .

أولا — أصدرت الهيئة العربية العليا بالقدس مساء يوم ١٧ فبراير سنة ١٩٤٨ بيانا رسميا نقلا عن مصادر عليمة جاء فيه ان ثلاث مستعمرات يهودية هوجمت من قبل القوات العربية فى منطقة بيسان وان عدد قتلى

اليهود المسلحين كان ٧٨ شخصا فى حين اصيب مائة وخمسون آخرون وأسر عشرون يهوديا . اما الاصـابات العربية فبلغت ثلاثة عشر قتيلا و ٣٧ جريحا .

ثانيا — نشرت وكالة الأنباء العربيـة ما يأتى « على أثر تضارب الأقوال والبيانات المتناقضة التى صدرت فى فلسطين حول النتائج التى أسفر عنها الهجوم الثقيل الذى قامت به قوات التحـرير العربيـة على مستعمرة طبرة زفى قرب بيسان أصدر الملازم السيد اسماعيل قاطع الترمى الملحق الصحفى فى مقر قيادة جيش التحرير العربى وأحد قواد فصائل فوج الحسين بيانا صحفيا جاء فيه « ان فوج اليرموك والسرية الأولى من فوج الحسين قامتا بمهاجمة المستعمرة اليهودية المذكورة فنشبت معركة حامية دامت ست ساعات فى جو عاصف بالأمطار والرياح أسـفرت عن الحاق خسائر فادحة باليهود فى أرواحهم وممتلكاتهم وقد قتل فى المعركة ٨٨ يهوديا وأصيب أكثر من مائة منهم بجراح كما أبيدت ماشية المستعمرة وأتلفت زراعتها ودمرت خطوط مواصلاتها ودكت حصون دفاعها وخسر العرب عشرة قتلى من فوج اليرموك وقتيلين من سرية الحسين كما أصيب ١٧ عربيا بجراح .

ثالثا — نشرت صـحيفة المصرى فى اطار تحت عنـوان « برقيـة بتفاصيل معركة بيسان « جاء فيها ان هذه التفاصيل عرضت على الجامعة فأحدثت ارتياحا وسرورا لدى الجميع .

أما الحقائق التى نقررها نحن عن هذا الهجوم ونتائجه فهى ما يلى :

أولا — نشرت الصحف اليهودية نقلا عن الصحف العربية قبل وقوع الهجوم بأيام عديدة أن هجوما سيقع يوم ١٥ فبراير سنة ١٩٤٨ وقد وقع الهجـوم يوم ١٦ فبراير . وقد اطلع حاكم لواء السـامرة على ما نشرته الصحف اليهودية فسأل سليمان بك طوقان رئيس بلدية نابلس عن هذا

الهجوم فأجاب الأجير بأنه لا يعلم عنه شيئا . ولكن اليهود كانوا مستعدين على كل حال . وقد تأكدوا من ان الهجوم سيقع من الحقيقة التالية

ثانيا — ليس لدى جيش التحرير العربى أية وسيلة من وسائل النقل فاضطر فى ليلة الهجوم الى أن يطلب من اللجنة القومية فى نابلس سيارات فشاع فى طول البلد وعرضها أن جيش التحرير يجمع سيارات ، وطارت الأخبار الى اليهود ولهم شبكة محكمة من الجواسيس فأتموا استعدادهم لتلقى الهجوم .

ثالثا — بنزين السيارات شحيح فى نابلس وترتب على ذلك ارتباك فى وسائل النقل لجيش التحرير حتى ان الجرحى والقتلى لم يكن نقلهم ممكنا الا بعد ساعات طويلة من انتهاء المعركة .

رابعا — طلب مراسلو الصحف الأجنبية إلى الهيئة العربية العليا أن تطلعهم على الأسرى أو أن تذكر لهم أسماءهم فعجزت الهيئة المذكورة عن اجابة الطلب .

خامسا — ان عدد القتلى والجرحى كما استقاه اليوزباشى عصام حلمى المصرى من قائد جيش التحرير .

	قتلى	جرحى	
اليهود	١	١٥	تقريبا
عرب	٤٤	٣٠	

ولقد قال لى المرحوم سليمان بك طوقان وكان من أكبر الشخصيات فى فلسطين ورئيس بلدية نابلس عندما زرت نابلس بعد الموقعة ان الحالة سيئة وانه يجب أن يحضر المسئولون من رجال الدول العربية الى فلسطين ليدرسوا الأمور بأنفسهم أو يوفدوا اخصائيين اذا هم لم يستطيعوا ذلك .

والحقيقة ان الحالة لا تسر كثيرا فهل يعقــل أن يحضر جيش دون أن يكون لديه وسائل نقل ، واذا كان من حضروا لا يعتبرون جيشا فليس من المصلحة أن تنشر بلاغات عنهم كأنهم من جيش التحرير .

وقلت للوزارة يا حبــذا لو واجه المسئولون هــذه الحقــائق المرة واستفادوا مما ارتكب من أخطــاء وعملوا على تحاشى الوقوع فى مثلها فى المستقبل .

وكتب اليوزباشى عصام حلمى المصرى (المرحوم اللواء عصام حلمى المصرى) تقريرا عن هذه الموقعة جاء فيه ما يأتى :

« انه فى اعتقادى أن عدم صحة الأخبار واذاعتها بطريقة غير صحيحة وتخالف الواقع فان ذلك يتنافى مع المصلحة العامة ويؤدى الى ضــعف الروح المعنوية للشعب اذا علم بحقيقتها فيما بعد .

« ولذلك فانى أرى أن يلفت نظر المسئولين بالجهات العربية للعمــل على تدارك مثل هذه الأخطاء الجسيمة التى تسىء الى القضية العربيــة الفلسطينية من حيث لا يدرون » .

٩ ــ الهيئة العربية العليا لم تعمل على تعبئة الشعب الفلسطينى :

يقول سماحة المفتى فى تصريحاته وأحاديثه ما يأتى :

« فلما رأى الانجليز انتصار المجاهدين الفلسطينيين فى المعارك على اليهود انتصارا مبينا ، وخشوا تفاقم حرب العصابات التى يعرفون أهميتها وقوة تأثيرها ، سقط فى أيديهم وسارعوا بتقديم مذكرة الى الســلطات العربية الرسمية حينئذ يعترضون فيها على تسليح الفلسطينيين وتدريبهم ويصفون ذلك بأنه عمل غير ودى ، كما انهم حملوا بعض الدول العربيــة على ادخال جيوشها فى الحرب ... كما استطاع الانجليز أيضا هدم الركن الأساسى فى برنامج العرب للدفاع عن فلســطين ، بحرمان المجــاهدين الفلسطينيين من السلاح وسائر وسائل الجهاد واقصاء الفلسطينيين جميعا

عن ميـــدان المعركة من الوجهتين العسكرية والسياسية وبذلك أقصـــوا العنصر المجاهد المستميت الذى يدافع عن نفسه وأهله ودياره « صحيفة ١٦٢ و ١٦٣ من تصريحات وأحاديث المفتى » .

وقبل تحليل هـــذا الكلام واظهار فساده أود أن أكرر هنا ما سبق أن قلته فى كتابى للوزارة المؤرخ ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٤٧ وهو ما يأتى « وقد دلت الحوادث على أن العرب بالرغم من قلة ما تجمع لديهم من أسلحة فى الأيام الأخيرة ، وبالرغم من رداءة نوعها برهنوا على شجاعة عظيمة وعلى أنه لو كان لديهـــم نصف مالدى اليهـــود من أســـلحة لنكلوا باليهـــود شر تنكيل » .

ولو ان الجامعة العربية والهيئة العربيـــة العليـــا عملتا على تجنيـــد الفلسطينيين فى جيش التحرير أو الانقاذ لكانت النتيجة عظيمة . ولكن المفتى كانت له سياسة خاصة فكان يخزن الأسلحة فى داره وغير داره فى حين ان تلك الأسلحة كان يجب ارسالها فورا للفلسطينيين . وكان عمله هذا وتوزيعه الأسلحة القليلة التى كان يرسلها الى فلسطين على أنصاره ، ووجوده بعيدا عن فلسطين ، أقول كان كل هذا سببا فى اضعاف الروح المعنوية لدى الفلسطينيين فتركوا أمر انقاذها الى البلاد العربية . واذن فغير صحيح انهم منعوا من الاشتراك فى الدفاع عن بلادهم ونقرر أن عدم اشتراكهم فى الدفاع كان سببه عدم وجود قيادة ماهرة تقيم بين ظهرانيهم وتنظمهم كما كانت تفعل الوكالة اليهودية التى كان كل أعضائها موجودين فى القدس .

لو ان المفتى بقى فى فلسطين كما بقى زعماء اليهود فيها للذود عن بلاده وعبأ كل قواه لما وقعت الكارثة .

والآن نحلل كلام المفتى فنقول :

هل انتصر المجاهدون الفلسطينيون فى المعارك على اليهـــود انتصارا بينا كما يزعم المفتى فى حديثه ؟ الجواب لا . ولا أدل على صحة اجابتنا

من البرقية التى أرسلتها أكبر لجنة قومية فى فلسطين وهى اللجنة القومية لمدينة نابلس الى ملوك ورؤساء الدول العربية والى المفتى نفسه فى أول يناير سنة ١٩٤٨ تستنجد بالجميع أن يساعدوا بالسلاح والذخيرة وتقرر فيها كيف يموت الفلسطينيون نتيجة لحرمانهم من السلاح .

دليل آخر قاطع فى الدلالة على عدم صحة ما قاله المفتى هو أن آلافا من العائلات الفلسطينية تركت المدن التى كانت عرضة لاعتداءات اليهود وفى مقدمة هذه العائلات عائلة جمال الحسينى نائب رئيس الهيئة العربية العليا . فلو كان عرب فلسطين منتصرين انتصارا مبينا على اليهود كما زعم المفتى لما كان هناك سبب يدعو الفلسطينيين الى ترك دورهم والهجرة الى المناطق البعيدة من اليهود . وقد احتل اليهود مساكن العرب قبل أن يجلو الانجليز من فلسطين : فهل يعقل بعد ذلك أن يقال ان العرب انتصروا انتصارا مبينا على اليهود ؟

ودليل ثالث ينفى صحة حديث المفتى هو الطلبات المتكررة التى أبداها الدكتور حسين فخرى الخالدى لقناصل الدول العربية راجيا فيها موافاة الفلسطينيين بالسلاح والنقود والبعثات الطبية .

وأخيرا وليس آخرا نسوق دليلا ساطعا فى نفى ما يزعمه المفتى من ان الفلسطينيين حرموا من الاشتراك فى الدفاع عن بلادهم ، ذلك انه لما قطع اليهود الطريق الوحيد الذى كان يربط القدس وبيت لحم قام الجيش العربى بفتح طريق جديد . وقد كتبت بتاريخ ١٢ يوليه سنة ١٩٤٨ عن هذا الطرق ما يأتى :

« مررت بالطريق الجديد فى عودتى من القدس الى بيت لحم فوجدت انه طريق وعر جدا بل ان منه جزءا يتجاوز عشرة كيلو مترات لا يصح أن يوصف بأنه طريق : وقد استغرق قطع هذه العشرة الكيلومترات أكثر من ساعتين بالسيارة .

« وقد لا حظت ان عـــدد العمال الذين يعملون فيه لا يتجاوز ثلاثين عاملا ، مع أن طريقا مثل هذا يحب أن يعمل فيه ما لا يقل عن ألف عامل حتى يجعل صالحا للمرور بصفة مقبولة . فى أقصر وقت .

« وعلمت أن طريقا آخر سيفتح قريبا بين القدس وبيت لحم أقصر من الطريق الأول .

« ويجد المسئولون عن فتح هذه الطرق صعوبة كبرى فى استخدام العمال الفلسطينيين اذ يطلب العمال المذكورون أجورا باهظة لا يستطيع انجيش العـــربى ولا الجيش المصرى أن يدفعـــاها . وقد اضطرت بعض البلديات ان تكمل الفرق بين ما يطلبه العامل الفلسطينى وما يعرضه الجيش المصرى من ميزانيتهـــا . واعتقد ان الاعتماد على البلديات لتكملة الفرق لايفيد ، ففى بعض المدن لاتستطيع ميزانية المدينة تحمل هذه النفقات .

« لذلك أرى أن الحالة تستدعى تنظيما من قبل الجامعة العربيـــة ، واقترح فى هذا الصدد أن تعلن الادارة التى الفتها الجامعة العربيـــة من زعمـــاء فلســـطين التعبئة العـــامة لقـــوت أهل فلســـطين وان يتحمل الفلسطينيون أنفسهم أجور العمال ، وهذا هو أقل مجهود يستطيعون أن يقدموه لتحرير بلادهم » .

فلماذا لم يصدر المفتى بيانا ينشره على الفلسطينيين يستحثهم فيه على بذل كل ما فى استطاعتهم من عمل ومال لتحرير بلادهم ؟

١٠ ـ أموال الهيئة العربية العليا :

جمعت اللجنـــة العربية العليا ومن بعدها الهيئة العربية العليا أموالا لا يعرف أحد مقدارها بالضبط الا سماحة المفتى ، فقد كان رئيسا للجنة والهيئة .

وقد عاب الحاج محمد أمين الحسينى فى احاديثه على العرب والمسلمين انهم لم يعنوا العنـــاية الكافية بقضـــية فلسطين منذ الاحتلال البريطانى

فاضطر عرب فلسطين ان يضطلعوا وحدهم بعبء مجابهة اليهودية العالمية . ويقول : بينما كان يهود العالم يغدقون على الوكالة اليهودية بفلسطين مئات الملايين من الجنيهات كان العرب والمسلمون أشحاء .

ولا شــك ان الحاج محمــد أمين الحسينى محق فى انتقــاده العرب والمسلمين على هــذا الشح . ولكن الم يعلم أن من الأسباب التى جعلت العرب والمسلمين يقبضون ايديهم ويضنون بالمال عدم معرفة الوجوه التى تنفق فيها هــذه الأموال ؟ ألا يوافق سماحتــه على أنه لم يكن محقــا فى أنه لم يضــع تحت تصــرف العضــوين الباقيــين فى القــدس من أعضــاء الهيئة العربية العليا وهما الدكتور حسين فخرى الخالدى واحمد حلمى باشــا مبالغ ولو قليلة من أموال الهيئة العربية ليواجها بها النفقات الضرورية العاجلة ؟

لقد زارنى يوم ٥ يناير سنة ١٩٤٨ فى القنصلية الدكتور حسين فخرى الخالدى واحمد حلمى باشا كما زارا بقية قناصل الدول العربية وطلبا مدهم بنجدة من النقود والســلاح والأدوات الطبيــة . وعلمت منهما انهما لم يستطيعا أن يدفعا نفقات عملية جراحية أجريت بالمستشفى الفرنسى لأحد المناضلين العرب لأنه لا يوجد لديهما مال من أموال الهيئة العربية العليا وانهما اضطرا الى دفع النفقات من مالهما الخاص ؟

وفى خطاب تاريخه ١٢ يناير سنة ١٩٤٨ اخبرت الحكومة انى علمت ان المفتى لم يرضه تصرف العضوين لأنه يخشى أن يقال ان هناك اقساما فى الهيئة العربية العليا ، وعلقت فى خطابى سالف الذكر على ذلك بما يأتى : والذى أراه أن الحالة أخطر من أن ينظر فيها الى مثل هذا الاعتبار ، وان طلب النجدة الذى تقدم به العضوان الى قناصــل الدول العربية انما اضطرتهما اليه خطورة الموقف التى لا يقدرها أعضاء الهيئة العربية العليا المقيمون الآن خارج فلسطين . وكان من الواجب أن يجاب هذان العضوان الى طلبهما ، وهما معروفان بنزاهة مطلقة ، ولقناصل الدول االعربية كامل

الثقة فيهما ، وهما العضوان الوحيدان اللذان لا يتقاضيان ماهية من الهيئة العربية العليا .

وبالرغم مما كتبت فان النقود لم تصل لا من الهيئة العربية العليا ولا من الجامعة العربية .

وفى يوم ١٥ ينـاير سنة ١٩٤٨ طلب منى الدكتـور حسـين فخرى الخالدى أن ادعو قناصل الدول العربية للاجتماع بهم وبى فى القنصليـة المصرية . وفعلا دعوتهم وحضر سيادته وقال انه اراد أن يتحدث الى قناصل الدول العربية فى موضوعين :

الأول ــ رغب حضرته فى أن يخطر قناصـل الدول العربية انه عندما زارهم يوم ٥ يناير سنة ١٩٤٨ هو واحمد حلمى باشا وطلب اليهم مخابرة حكوماتهم كى ترسـل نقودا وسـلاحا وبعثات طبية الى فلسطين ، فهم البعض أن هناك خلافا بين أعضاء الهيئة العربية العليا . والواقع أنه لايوجد خلاف أصلا فى فلسطين بل ان الجميع متفقون . نعم ان هناك استياء ونقدا يوجه للهيئة العربيـة العليا ولكن ليس ذلك لخلاف بين المستاء والمنتقد وبين الهيئة .

وهكذا تحقق ما علمته وأخطرت به الوزارة بخطابى المؤرخ ١٢ يناير سنة ١٩٤٨ من أن المفتى لم يرضه ان يطلب الدكتور حسين فخرى الخالدى وأحمد حلمى باشا من قناصل الدول العربية نقودا وسلاحا وبعثات طبية لأن مثل هذا الطلب قد يفهم منه أن خلافا نشب بين أعضاء الهيئة العربية العليا .

الثانى — خاص بطلب قناصـل الدول المسيحية جعل مدينة القدس مدينة مفتوحة . وسنبحث هذا الموضوع فيما بعد .

ان الحاج محمد أمين الحسينى مازال يحتفظ باموال كثيرة من الأموال التى تبرع بها العرب والمسلمون لقضية فلسطين . افلايرى سماحته ــ وقد

تكونت منظمة فلسطين وجيش فلسطين ـ ان الوقت قد حان ليقوم بتسليم هذه الأموال الى تلك المنظمة كى تنفقها فى انشاء جيش فلسطين ؟

١١ ـ الهيئة العربية العليا وطلب قناصل الدولة المسيحية جعل القدس مدينة مفتوحة :

قلت فيماسبق ان أحد الموضوعين اللذين رغب الدكتور حسين فخرى الخالدى أن يتحدث فيهما الى قناصل الدول العربية الذين اجتمعوا عندى فى دار القنصلية هو طلب قناصل الدول المسيحية جعل القدس مدينة مفتوحة . فقال سيادته أن قناصل سويسرا واليونان والحبشة زاروه فى مقر الهيئة العربية العليا بالنيابة عن باقى قناصل الدول المسيحية وأخبروه أنهم حضروا ليطلبوا اليه بالنيابة عن زملائهم القناصل المسيحيين اصدار بيان من قبل الهيئة العربية العليا لايقاف الحركات الثورية فى مدينة القدس ، لقداستها ، على أن يصدر بيان مماثل من قبل الوكالة اليهودية وبذلك تكون مدينة القدس مدينة مفتوحة . وقد رد حضرته عليهم ان القدس كانت دائما موضع احترام العرب ، وانه كقدسى ولد هو وآباؤه وأجداده وأولاده وأحفاده بها يود من كل قلبه أن تبقى القدس فى أمن وسلام ، ولم يكن العرب هم الثائرين فى القدس وانما هم اليهود ، وأضاف أنه سيبلغ الهيئة العربية العليا والجامعة العربية طلبهم اذ أن قضية فلسطين ليست فى فلسطين فقط بل هى أيضا فى البلاد العربية .

وطلب الينا ابلاغ حكوماتنا ذلك لتقوم جامعة الدول العربية بدراسة الأمر وتقرير ما تراه فى هذا الشأن . وقد ابلغ حضرته هذا الأمر للهيئة العربية العليا بالقاهرة .

ورأى قناصل الدول العربية مجتمعين انه من المصلحة ان يصدر مثل هذا البيان اذا صدر بيان مماثل من الوكالة اليهودية .

وقد أخبرنا حضرته غير ما تقدم انه يدرس مع الحكومة الفلسطينية مسألة وضع حرس عربى فى المناطق العربية فى القدس لتأمين السكان العرب وتشجيع من غادرها الى العودة اليها .

وقد كتبت للوزارة فورا خطابا بحديث الدكتور حسين فخرى الخالدى ثم تحدثت تليفونيا مع الوزارة فى نفس اليوم الذى تم فيه الاجتماع مع الدكتور الخالدى أى فى يوم ١٥ يناير سنة ١٩٤٨ ابلغتها فيه ما دار بينه وبين قناصل سويسرا واليونان والحبشة كما ابلغتها رأى قناصل العرب الذين يرون أنه من المصلحة أن تصدر الهيئة العربية البيان المطلوب اذا صدر بيان مماثل من الوكالة اليهودية .

وفى يوم ٢٠ ينـاير سنة ١٩٤٨ استعلم منى الدكتور حسين فخرى الخالدى عما اذا كانت الحكومة المصرية ابلغتنى رأيها فى موضوع البيان الذى طلبه قناصل الدول المسيحية لايقاف المعارك بين العرب واليهود فى القدس فأجبته انى لم اتلق الرد بعد . وقد اخبرنى الدكتور الخالدى انه تلقى خطابا من قنصل سويسرا بالنيابة عن قناصل الدول المسيحية تاريخه ١٩ يناير سنة ١٩٤٨ يستعجل فيه موافاته برد الهيئة العربية العليا ، فرد على القنصل السويسرى بانه لم يتلق رد الهيئة العربية العليا بعد .

وقد كتبت للوزارة فى نفس اليوم أى فى يوم ٢٠ يناير ١٩٤٨ ابلغتها حديث الدكتور حسين فخرى الخالدى معى وكررت ماسبق أن ابديته لها فى خطاب سابق من أن قناصل الدول العربية رأوا بالاجماع أنه من المصلحة أن يصدر البيان المطلوب اذا صدر بيان مماثل من الوكالة اليهودية وقلت فى خطابى الاخير ما يأتى :

« وقد بنى القناصل العرب رأيهم على ماهو معروف لديهم من ضعف العرب فى القدس ضعفا كبيرا لقلة ما لديهم من السلاح والعتاد وعدم وجود قيادة فنية منظمة يقابل ذلك قوة اليهود وتسليحهم بأحدث الأسلحة وتمتعهم بقيادة فنية قديرة فينتج عن ذلك وقوع الذعر بين العرب ونزوح مئات من العائلات من القدس الى خارجها .

وقد تحدثت مع كثير من الفلسطينيين فى القدس فكان رأى أغلبهم موافقا على اصدار هذا البيان . غير أن بعضهم أبدى اعتراضات لها وجاهتها جديرة بأن توضع موضع النظر أثناء درس الموضوع .

فأما رأى الغالبية فهو مبنى على ما سبق أن قلناه من ضعف العــرب وقوة اليهود فى القدس . وقيل فى هذا الصدد لو أخلى الجيش البريطانى الآن القدس وبقى العرب على ضعفهم فانه يمكن لليهود اجلاء العرب منها وهدم منازلهم واحدا بعد الآخر .

حقيقة عندما يتقابل العرب واليهود فى معركة وجها لوجه بســـــلاح متساو فان العرب يكتسحون اليهود بسهولة . ولكن فى معارك القدس لاتوازن أطلاقا بين سلاح العرب وسلاح اليهود ولا توازن مطلقا بينهم فى الكفاءة الفنية .

وقد أثبتت التجارب فى المعارك التى وقعت فى القدس ان العرب هم الخاسرون دائما .

ومن الواجب على الجامعة العربية أن تبادر فورا بارسال ســـــلاح ومدافعين عن القدس تحت قيادة فنية قبل جلاء البريطانيين عنها ، حتى اذا ما جلوا تفادى العرب المجازر التى سيتعــرضون لها اذا ظلوا على ما هم فيه من ضعف وتنظيم سيىء وقيادة فاشلة .

ونرى أنه يجب أن يرسل الى القدس أسلحة حديثة كمدافع «البرن» و «تومى» ومدافع ميدان خفيفة ومتفجرات وسيارات مصفحة ودبابات خفيفة،اذ لدى اليهود كثير من مثل هذه الأسلحة ، وهم يمتلكون فىالقدس بقاعا محصنة تمكنهم من قطع الطريق بين الأجزاء العربية فى المدن بعضها ببعض وبين شمال فلسطين وجنوبها وشرقها وغربها ولا يترك اليهود لحظة دون أن يزيدوا فى تحصيناتهم . وقد شاهــدناهم أخيرا بأعيننـــا يقيمون استحكامات فى منطقة « منتيفيورى » بالقدس وهى منطقة استراتيجيــة على غاية من الخطورة .

أما الاعتراضات التى وجهت فهى انه قد يكون لاعلان القدس مدينة مفتوحة رد فعل سيىء فى الأوساط العربية فى فلسطين قد يؤدى الى انهيار المقاومة خصوصا فى حيفا ويافا ولهذا من الواجب فى حالة ما اذا تقــرر

اعلان القدس مدينة مفتوحة أن يقوى الدفاع فى حيفا ويافا وهما مدينتان ضغط اليهود فيهما على العرب شديد .

ويرى المعترضون أنه يجب أن يعلم الرأى العام العربى ان حركة جعل القدس مدينة مفتوحة لم تأت من العرب وان تتم بموافقة الجامعة العربية والهيئة العربية العليا بالقاهرة وان اعلان القــدس مدينة مفتوحة لا يعنى دوليتها وانه يجب اتخاذ تدابير لفصل الأقسام العربية فى المدينة عن الأقسام اليهودية ، بمعنى أن الجيوب اليهودية الموجودة فى داخل المناطق العربية يجب اخلاؤها أو حراستها بشكل يمنع تسليحها واستعمالها ضد العرب وفى كل الأحوال من الواجب أن تبادر البلاد العربية بتسليح القدس وأخذ الحيطة دائما وافتراض أن اليهود قد يغدرون فى أى لحظة ، وان اعلان القدس مدينة مفتوحة لا يضمن قطع المياه والنور عنها خارج منطقة القدس وانه يجب أن لا يتوسع فى تحديد مدينة القدس » .

فيرى من هذا الخطاب أننى بينت للحكومة كل ما يتصل بطلب جعل القدس مدينة مفتوحة سواء من ناحية الأسباب التى تؤيد اجابتـــه أو الاعتراضات التى أبدتها نحوه قلة من السكان العرب . وكذلك فعل قناصل الدول العربية اذ كتبوا لحكوماتهم كما كتبت ، ومع كل هذا فان جميع الحكومات العربية لم ترد على قنصلياتها لا ايجابا ولا سلبا . واتضح فيما بعد أن تلك الحكومات كانت متأثرة بآراء الهيئة العربية فى القاهـــرة أو بعبارة أخرى بآراء المفتى . وكان المفتى يعتقد أن العرب أقوياء وأن جعل القدس مدينة مفتوحة ضار بهم ، ولذلك كان رده على الدكتـــور حسين فخرى الخالدى ردا مبهما ، ولو أنه لم يرفض الطلب صراحة . وهذا الرد أخبرنى به قنصل سويسرا العام فى خطابه الذى أرسله الى بتاريخ ٢ فبراير سنة ١٩٤٨ ويتلخص هذا الرد فى أن الهيئة العربية العليا لا تعتبر نفسهـا مختصة ، وانه يحسن بالدول المسيحية أن تتصل بالدول العربية والاســـلامية .

وقد أرسلت الى الوزارة خطاب قنصل سويسرا العام الذى وجهه الى فى هــذا الشأن ، كما أرسلت صورة منه الى زملائى قناصل الدول العربية ليبلغوه الى حكوماتهم .

وفيما يلى ترجمة هذا الخطاب :

« تعلمون أن قنصل فرنسا العام اتصل اخيرا بالوكالة اليهودية لجس نبضها لمعرفة ما اذا كانت مستعدة لأن ترحب بنداء يوجهه قناصل الدول المسيحية للطرفين ــ العرب واليهود ــ يرمى الى وضع حد لاراقة الدماء فى القدس . وقد كان رد الوكالة اليهودية بالايجاب . وكما تعلمون فان الموقع ادناه زار هو وقناصل اثيوبيا واليونان الدكتور الخالدى سكرتير الهيئة العربية العليا ليوجهوا اليه بالنيابة عن قناصل الدول المسيحية نفس السؤال بالنسبة للجهات العربية . وقد رد الدكتور الخالدى بان رؤساءه يوجدون الآن فى القــاهرة وسيقوم بعرض هــذا الموضوع الدقيق . وأضــاف انه فيما يختص بنفسه فانه يرحب بهذه الخطوة التى يقوم بها قناصل الدول المسيحية بروح انسانية بحتة مجردة من أى غرض سياسى وانه سيرفعها الى رؤسائه . وان الرد الذى تلقيته بعد ذلك ، دون أن يكون ردا سلبيا ، يفهم منه ان الهيئة العربية العليــا تعتبر نفسها غير مختصــة بالرد وان الأمر يجب أن يترك للدول المختصــة لتتصل بالدول العربية والاسلامية . ان هذا الاجراء يستلزم وقتا وتأخيرا كبيرا ويتضمن فضلا عن ذلك صعوبات عملية كبيرة ، اذ أن كثيرا من الدول المسيحية غير ممثلة لدى جميع الدول العربية والاسلامية .

« وقد فهمت منكم بانكم طبقا لرأيكم فان هدنة فى المدينة المقدســة لايمكن أن تنظر فيها الهيئات العربية المختصة الا اذا استطاعت ان تحدد تفاصيلها والشروط التى تراها واجبــة . وفى هــذه الحــالة فان زملائى المسيحيين الراغبين فى عــدم ترك أى مجهود لتحقيق الأغراض الانسانية التى يقترحونها طلبــوا منى أن أتصل بكم واطلب منكم أن تنظروا فى

الاتصال بالجامعة بالطريقة التى ترونها لنعرف الشروط اللازمة لعقد هدنة مماثلة . واذا عرفت هـذه الشروط فاننا نستطيع ان نبلغها الى الوكالة اليهودية التى تدرسها وتعطى رأيها بالنسبة لها .

« واذا اعتقدتم أنه يمكنكم أن تقوموا بذلك فاكون شاكرا لو تكرمتم بموافاتى برد الجهات المختصة » .

ذهبت صيحاتنا التى ارسلناها لتنبيه الحكومات العربية والجامعة العربية الى ضعف العرب سدى . واستمر تأثير الهيئة العربية العليا على تلك الحكومات قويا . ومرت شهور فبراير ومارس وابريل من سنة ١٩٤٨ وحالة العرب تسير من سيىء الى أسوأ . وفى ٣ مايو سنة ١٩٤٨ كان الأستاذ عبد الرحمن عزام فى عمان ، فاتصل بى وطلب منى أن أذهب لمقابلته ، فذهبت اليه وذهب معى اليوزباشى عصام حلمى المصرى (المرحوم اللواء عصام) وأفهمناه حقيقة الأوضاع فى القدس ، وفى فلسطين عموما ، فسأل عن رأينا فى الهدنة وهل من المصلحة أن تتناول الهدنة القدس كلها القديمة منها والجديدة أو أن تقتصر على القدس القديمة ، فأجبناه أننا نرى جعلها عن المدينة كلها القديمة والجديدة

وعدت فى نفس اليوم الى القدس فكتبت للوزارة خطابا بمقابلتى للأستاذ عبد الرحمن عزام وقلت فيه بالاضافة الى ما جاء به عن هذه المقابلة ما يأتى :

« تطور الموقف فى القدس تطورا خطيرا ضد العرب ، فقد أحتل اليهود حى القطمون خارج منطقة الأمان وأصبحوا على مسافة تقل عن مائة ياردة من القنصلية المصرية والقنصلية السورية . وقد تركت القنصلية العراقية دارها وهى فى حى القطمون خارج منطقة الأمان على مسافة مائتى ياردة من القنصلية المصرية بعد أن ضربها اليهود بمدافع الهاون والمدافع الرشاشة وقتل ثلاثة من حرسها وجرح أربعة آخرون .

« ويتساقط الرصاص حول دارى القنصلية ودار القنصلية السورية وأصبح الوصول من السكن الى المكاتب خطرا فى كثير من الأحيان .

« واذا لم توقع الهدنة فان اليهود سيحتلون بقية القدس فى ليلة واحدة ولن يبقى الا مناطق الأمان وهى التى يحتلها الانجليز ، وهذه المناطق يتساقط عليها الرصاص من جميع الجهات ولا يحرك الانجليز ساكنا .

« وقد أصيب سكرتير القنصلية اللبنانية برصاصة فى يده فقابل قنصل لبنان حاكم لواء القدس وطلب اليه أن يطلب من اليهود ايقاف اطلاق الرصاص فى اتجاه القنصلية ، ولكن حاكم اللواء أفاده بأنه يأسف لعدم استطاعته اجابة الطلب لأن اليهود لن يستمعوا لكلامه .

« ولقد نقلت قنصلية لبنان مكاتبها الى مدرسة تابعة لأحد الأديرة فى البلدة القديمة . أما قنصلية العراق فقد كلف سكرتيرها بأن يحضر الى عمان ومعه محفوظات القنصلية . ولما كانت المنطقة التى توجد فيها قنصلية العراق محتلة باليهود فقد توسط قنصل بولونيا العام لدى الوكالة اليهودية كى تأمر بايقاف اطلاق الرصاص فترة يتمكن فيها سكرتير القنصلية من نقل المحفوظات وأمتعته الشخصية . وقد اشترطت الوكالة فى بداية الأمر أن تقوم لجنة مكونة من قنصل محايد وقنصل عربى لتحقيق ما قيل من أن بها مستودع ذخائر ولكن سكرتير القنصلية رفض وقد أشرت عليه كما أشار عليه قنصل سوريا بأن يرفض . وقد أعاد قنصل بولونيا العام الاتصال بالوكالة اليهودية فقبلت الوكالة ايقاف اطاق النار بشرط أن تنشر فى صحيفة بالستين بوست أن القنصلية العراقية رفضت قبول لجنة تحقق ما قيل عن وجود مستودع للذخائر فى دارها » .

لقد اقتنع الأستاذ عبد الرحمن عزام بعد مقابلتنا له فى عمان بضعف العرب فى القدس وبدأ يوقن أن الهيئة العربية العليا لم تكن محقة فى رأيها أن العرب أقوى من اليهود فى فلسطين ولذلك قبل سيادته التفاوض

مع المندوب السامى بفلسطين لعقد هدنة فى القدس ولم يتأثر بالاعتراضات التى أبدتها الهيئة العربية العليا بشأن هذه الهدنة التى سنتكلم عنها فيما بعد .

ولو كانت هذه المقابلة تمت فى شهر يناير سنة ١٩٤٨ أى فى الوقت الذى كان فيه القناصل المسيحيون يطلبون جعل القدس مدينة مفتوحة لكان هذا الطلب قد أجيب فعلا ولتجنبت القدس كثيرا من المصائب لأن الأستاذ عبد الرحمن عزام لم يكن يقصد الا الخير لفلسطين ، ولو أنه أساء اليها باستماعه الى الهيئة العربية العليا فى القاهرة ، وبعدم زيارة فلسطين ودراسته حالتها بنفسه على الطبيعة . انه لو فعل ذلك لتغيرت أمور كثيرة ولكنه مع الأسف لم يفعل . ومن هنا كانت أخطاؤه ومسئوليته .

ولقد كنت فى حيرة من موقف الهيئة العربية العليا ، اذ لم يكن معقولا أن تبقى الهيئة المذكورة فى جهل مطبق بحالة العرب فى فلسطين بعد أن وصلتها الأخبار من كل ناحية بسوء الحالة . ويكفى قراءة برقية اللجنة القومية بنابلس التى أرسلتها للملوك ورؤساء الدول العربية وللهيئة العربية العليا فى القاهرة تستنجد بهم كى يرسلوا السلاح والعتاد والبعثات الطبية الى عرب فلسطين . ان موقف الهيئة العربية العليا أذهل الناس فى فلسطين وبدأ أهل فلسطين يوجهون اليها أشد النقد وأصرمه . وقد كتبت للوزارة عنها فى ٢١ يناير سنة ١٩٤٨ ما يأتى :

« أصبحت الهيئة العربية العليا موضع نقد شديد من الشعب . ويتلقى العضوان الباقيان منها فى القدس وهما أحمد حلمى باشا والدكتور حسين فخرى الخالدى يوميا تقريعا شديدا من الناس يصل أحيانا الى السباب ويسألونهما أين السلاح ؟ وأين باقى أعضاء الهيئة العربية العليا ، وماذا يفعلون فى مصر أو فى بيروت ... ولا بد من القول مع الأسف الشديد ان الهيئة العربية العليا تدير كفاح فلسطين ادارة سيئة جدا وكل ما يقوله زعماؤها مناقضا لهذا غير صحيح . فهل يعقل أن يسافر كل أعضاء

الهيئة ما عدا اثنين الى خارج فلسطين فى أشد الأوقات حرجا ، ثم لا يترك للاثنين الباقيين قليل من المال لمواجهة الموقف ولا يحاطان علما بما يرسل من سلاح وليست لهما بتوزيعه أية صلة . وما يجرى من هجوم على السيارات والمستعمرات اليهودية لا يعلمان عنه شيئا الا بعد وقوعه ولا يستطيعان أن يمنعا حدوثه اذا وجدا أن ذلك فى المصلحة لأى سبب من الأسباب . »

وقلت فى خطابى المؤرخ ١٢ يناير سنة ١٩٤٨ ما يأتى :

كانت الروح المعنوية عند العرب قوية ، ولكن سوء ادارة الهيئة العربية العليا للكفاح ، والضربات التى أنزلها اليهود بالعرب ، وعدم مبادرة الدول العربية الى المساعدة ، كل هذا بدأ يؤثر تأثيرا سيئا على هذه الروح . فسافر من فلسطين الى البلاد العربية المجاورة مئات من العائلات وخصوصا الكبيرة منها كعائلة السيد جمال الحسينى نائب رئيس الهيئة العربية العليا ، كما أن معظم المتاجر فى الأحياء العربية فى القدس توقفت تجارتها ، كما توقفت حركة المرور فى الاحياء العربية بينما تسير التجارة وحركة المرور فى الأحياء اليهودية الآن كالمعتاد ، وكانت قد تأثرت فى الأيام السابقة . وقد ترتب على سوء الادارة التى أسلفنا ذكرها وتباطؤ الدول العربية فى المساعدة أن زاد فى فلسطين أنصار الانضمام الى شرقى الأردن زيادة محسوسة .

١٢ — الهيئة العربية العليا أصبحت غير ذات موضوع :

تكونت الهيئة العربية العليا فى سنة ١٩٤٦ لتقود الشعب الفلسطينى فى كفاحه ضد الاستعمار وضد اليهود . ولقد ظهر للقارىء مما كتبناه عن هذه الهيئة فى سنتى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ اللتين وقعت فيهما الكارثة أن تلك الهيئة أساءت القيادة ، وفشلت فشلا ذريعا فى أداء واجبها نحو الشعب الذى أولاها ثقته . وقد أدبر الشعب الفلسطينى عنها بعدما بانت له ادارتها السيئة ، وحرمها من ثقته ، ومن ثم لم يصبح لبقائها سبب أو محل .

ورأت حكومات الدول العربية الحاضرة ببصرها الثاقب أن تلك الهيئة لا تصلح لقيادة الشعب الفلسطينى ، فقرر ملوك ورؤساء الدول العربية فى مؤتمر القمة انشاء منظمة التحرير الفلسطينية ، وتكوين جيش فلسطينى يكون فى طليعة الجيوش العربية عندما تدق ساعة الخلاص من نير الظلم الذى حاق بأهل فلسطين .

ومن العجب أن الحاج محمد أمين الحسينى لا يريد أن يعترف بفشله فى القيادة ، فخرج على قرارات مؤتمر القمة ، وأصر على أن الهيئة العربية العليا هى التى يجب أن تتولى ما عهد به مؤتمر القمة الى منظمة التحرير الفلسطينية . ثم أخذ يحارب المنظمة ، مستعينا فى ذلك بالأموال التى جمعها باسم قضية فلسطين ، والتى هى أمانة فى عنقه عليه أن يؤديها الى منظمة التحرير لتنفقها فى انشاء الجيش الفلسطينى .

ولقد أحسنت حكومة الجمهورية العربية المتحدة باصدار قرارها باغلاق مكتب الهيئة العربية فى القاهرة . ولا اخال الدول العربية الأخرى الا متخذة قرارات مماثلة لقرار حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، فان الوقت جد لا هزل . ولا يجوز أن يسمح لأى هيئة أو شخص أن يعوق البناء الذى وضع أساسه مؤتمر القمة بانشاء منظمة التحرير الفلسطينية والجيش الفلسطينى .

لقد وجه الرئيس جمال عبد الناصر نداء الى أهل فلسطين فى خطبته التى ألقاها فى عيد الثورة يوم ٢٣ يوليه سنة ١٩٦٥ أهاب فيه بهم أن يتناسوا الكثير من الخلافات والمنازعات وأن يتجهوا الى الوحدة الوطنية من أجل تحقيق حرية فلسطين . وبعد تحرير فلسطين يمكن لكل فلسطينى أن ينشىء حزبا اذا أراد . أما فى هذه المرحلة التى تعتبر نقطة تحول فى تاريخ الكفاح من أجل استعادة فلسطين ، فلا يجوز أن يكون هناك خلافات . ونرجو أن يستجيب أهل فلسطين الى هذا النداء الخالص لوجه الله والوطن .

وانه لما يؤسف له أن هذا النداء لم ينفذ الى بصيرة الحاج محمـــد أمين الحسينى . فقد قرأت خبرا فى صحيفة الأهـــرام بعددها الصادر يوم ١٧/٩/١٩٦٥ يستفاد منه أن سماحته لا يزال يعتبر نفسه الممثل لفلسطين، وذلك الخبر جاء من مراسل الأهرام فى الدار البيضاء الذى كان يتـــابع أعمال مؤتمر القمة . ويتضمن الخبر المذكور ما يأتى :

« وقد استقر الرأى فى اجتماعات الدار البيضاء على أن تكون منظمة التحرير الفلسطينية هى المتحدثة الوحيدة بلسان الفلسطينيين أمام الأمم المتحدة ولن تسمح الدول العربية لجماعة أمين الحسينى بالتحـــدث أمام لجان الأمم المتحدة . »

هدنة ٧ مايو سنة ١٩٤٨

التى تقررت بين المندوب السامى والاستاذ عبد الرحمن عزام

قبل أن نتكلم عن هذه الهـدنة نرى أن نتكلم عن لجنة الهدنة التى ألفها مجلس الأمن بقراره المؤرخ ٢٣ ابريل سنة ١٩٤٨ .

جاء فى النشرة الصحفية الثانية التى أصدرتها هذه اللجنة ما يأتى :

« عقدت هذه اللجنة أول اجتماعها فى ٢٦ ابريل سنة ١٩٤٨ وانتخبت قنصل عام بلجيكا رئيسا لها والكولونيل روتشر الموظف بالأمم المتحدة سكرتيرا لها ثم عقدت اجتماعها الثانى يوم ٢٧ أبريل وقررت أن تجتمع بممثلى الهيئة العربية العليا والوكالة اليهودية منفردين . وقد اجتمعت بممثلى الوكالة اليهـودية الذين كان يرأسهم الدكتور كبلان . أما ممثل الهيئة العربية العليا المقيم فى القدس فقد أسف لعدم امكانه قبول الدعوة لأنه لم يكن لديه أية تعليمات من الهيئة تسـمح له بحضـور اجتمـاع اللجنة . »

وفى يوم ٢٨ ابريل سنة ١٩٤٨ عقدت اللجنة اجتماعها فى القنصليـة الأمريكية . وحضر الاجتماع قنصل سوريا وقنصل لبنان ونائب قنصل العراق لأن قنصل العراق كان غائبا . ونائب القنصل المصرى ، لأنى كنت غائبا . وكان الغرض من الاجتماع ابلاغ القناصل العرب شروط اليهود لايقاف القتال واعلان هدنة مدة أربعة أشهر فى جميع فلسـطين . وقد أبرق نائب القنصل المصرى الى الحكومة المصرية هذه الشروط .

وذكر نائب القنصل المصرى أنه تبين من المناقشة أنه يمكن تعديلها .

وقد أبرق القناصل العرب الحاضرون الى حكوماتهم بما تم فى هذا الاجتماع فى اليوم نفسه .

ولكن حكومات الدول العربيـة جـريا على عادتها ، لم ترد على قناصلها بشىء .

ولم ترحب حكومة الانتداب بتكوين هـذه اللجنة . وهى ـ أى حكومة الانتداب ـ وان كانت لم تضع العراقيل أمام اللجنـة فى أداء مهمتها الا انها لم تقدم للجنة أية تسهيلات . وقد ظهر أن هذه الحكومة كانت تود من قلبها أن تفشل اللجنة فى مهمتها .

على أن المندوب السامى خشى أن تنجح اللجنـة فى مهمتها فرأى أن يسبقها فى عقد هدنة بين العرب واليهود . فاستدعانى سكرتير عام الحكومة وطلب منى أن أتصل بالأستاذ عبد الرحمن عزام لمعرفة رأيه فى امكان عقد هدنة بالنسبة للقدس . وكان عزام فى ذلك الوقت يتردد ما بين عمـان ودمشق . وقد اتصلت بالأستاذ عزام فورا وأبلغته رغبة المندوب السامى فى الاجتماع به اذا كان يوافق على عقد هدنة ، فوافق وتحـدد ميعـاد الاجتماع فى أريحا يوم ٧ مايو سنة ١٩٤٨ وحضر مع المندوب السامى فى هذا الاجتماع سكرتير عام حكومة فلسطين وحضر مع الأستاذ عزام الأستاذ تقى الدين الصلح واللواء اسماعيل صفوت باشا الضابط السابق بالجيش العراقى وأنا . وتم الاتفاق بين الطـرفين على شروط الهـدنة المقترحة على أن يجتمع المندوب السامى بممثلى الوكالة اليهـودية فى اليوم التالى لبحثها معهم .

وفيما يلى الشروط المقترحة .

١ ـ ان كلمة « القدس » تعنى حدود مدينة القدس .

٢ ـ تقف جميع المعارك فى القدس ولا يجوز أن يطلق على القـدس أو منها أى نيران .

٣ ـ لا يسمح بدخول أسلحة أو مواد حربية فى القدس .

٤ ـ التموين اللازم للمدنيين فى القدس يسمح باحضاره على أن يفتش بمعرفة هيئة محـايدة يقبلها العرب واليهود التى تضمن أنه لن يسمح بدخول تموين بخلاف التموين اللازم للقدس .

٥ — على الأقل يفتح طريق من الطرق الآتية لنقل التموين اللازم للقدس (يشترط أن يكون محلا للرقابة من أى مكان يكون التموين موجودا فيه) ، ولا تنقال الأشخاص غير المساحين من المكان الذى يوجدون به أى طريق تل أبيب — القدس عن باب الواد اذا كان ممكنا أو رام الله — أريحا — بيت لحم الموصلة الى القدس عن طريق رام الله . أريحا — بيت لحم ، بشرط ألا يترتب على الانتقال أى زيادة فى عدد السكان العرب أو اليهود بالقدس أو أى تبادل سكان يترتب عليه زيادة القوة الحربية للعرب أو اليهود فى القدس.

٦ — اليهود سواء كانوا يقيمون خارج المدينة القديمة أو داخلها يكون لهم الحق فى الدخول أحرارا والخروج أحرارا من الحى اليهودى فى المدينة القديمة ومنه الى حائط المبكى . وهذا الدخول يتم عن باب العامود . ولضمان عدم ادخال أسلحة فى المدينة القديمة ينشأ مكان للرقابة فى نقطة خارج باب العامود بواسطة الهيئة المحايدة المشار اليها فى بند ٤ .

٧ — يجلو اليهود من مساكن العرب فى القطمون التى احتلوها .

٨ — أى خلاف فى تفسير أو تنفيذ هذه الشروط (بما فى ذلك تفسير التموين الضرورى) يقرر بالهيئة المحايدة المشار اليها فى بند ٤ .

وفى اليوم التالى لاجتماع المندوب السامى وعزام طلب المندوب السامى من الوكالة اليهودية أن تجتمع به ، فرفضت الوكالة طلبه رفضا جافا . ويظهر أن لجنة الهدنة التابعة للأمم المتحدة المؤلفة من قناصل بلجيكا وأمريكا وفرنسا كانت تعرف نوايا المندوب السامى نحوها وتمنياته فى أن تفشل فى مهمتها فأوحت الى الوكالة اليهودية برفض مقابلته . وقد أنذر المندوب السامى الوكالة اليهودية بأنها اذا لم تقابله فانه سينفذ الشروط بالقوة . وتبين فيما بعد أن هذا التهديد كان تهديدا أجوف ، فلم تنفذ شروط الهدنة وبقيت مساكن العرب فى القطمون فى يد اليهود الى أن خرج الانجليز من فلسطين ، واستمروا فيها بعد خروجهم .

ولم تكن الهيئة العربية العليا راضية عن شروط الهـدنة المقترحة . ويظهر أن مرض عدم الرضا عن كل شيء الذى أصـاب الهيئة المذكورة أصبح غير قابل للشفاء ولو كان ما يعرض عليها هو فى صالح فلسطين .

وانى اذ أقول هذا لا أعدو الحقيقة . فقد كنت فى دمشـق فى يومى ١٢ و ١٣ مايو سنة ١٩٤٨ . وكان الأستاذان عبد الرحمن عزام وعبد المنعم مصطفى (١) فى دمشق فأرسل الى الأستاذ عبـد المنعم مصطفى الكلمة الآتية وكان قد غادر الفندق قبلى .

مذكرة الى الأخ فراج

بعد صباح الخير .

اضطررت لمغادرة االفنـدق اليوم مبكرا لعمل هام ولم أستطع مقـابلة سعادة عزام باشا .

فأرجو ان لم يكن لديكم مانع أن تقابلوه بغرفته قبل الساعة العاشرة وأن تذكروه بالتحدث الى وزير بريطانيا هنا فى شأن قبول الهدنة بالنسبة لفلسطين ، وأن تبلغوه أن اميل بك الغورى قابلنى أمس بعد عودتنا وقال ان الحكم الوارد فى شروط الهدنة بشأن السماح للاشخاص بالتنقل فى الطريق الذى سيفتح ليس فى مصلحة العرب . كما أرجو ــ بنـاء على ما أبلغه الى تقى الدين بك الاتصال برؤساء مفوضيات فرنسـا وبلجيكا وأمريكا هنا لابلاغهم الموافقة على شروط الهدنة لكى يحيطـوا لجنـة القناصل علما بها .

١٩٤٨/٥/١٣ امضاء ــ عبد المنعم مصطفى

وكنت قد اجتمعت قبل ذلك فى دمشق بالمفتى فأعرب عن عدم موافقته على شروط الهدنة استنادا الى قوة العرب فأفهمته بصراحة انه مخطىء فى

---

(١) الاستاذ عبد المنعم مصطفى كان مديرا للادارة العربية بوزارة الخارجية وانتـدب فى ذلك الوقت سكرتيرا لمجلس جامعة الدول العربية .

ذلك أكبر الخطأ وان اليهود يستطيعون أن يحتلوا القـدس القديمة فى ساعات قليلة . على ان عبد الرحمن عزام لم يوافق على اعتراضات المفتى ووافق على شروط الهدنة المقترحة وكتب الى الكلمة الآتية :

دمشق فى ١٩٤٨/٥/١٢

عزيزى فراج .

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد اطلعت على المذكرة التى سلمكم السكرتير الخاص للمندوب السامى صورتها والتى تضـمنت الأحاديث التى جرت فى الاجتماع الذى عقـد يوم ٧ مايو سنة ١٩٤٨ فى أريحـا واستعرضنا فيه الهدنة فى القدس .

وقد لاحظت أن أقوال المندوب السامى والسكرتير العـام اختصر ايرادها فى المذكرة كما أن بعضها أغفل ــ وهـذا يجعـل أقوالى التى اختصر بعضها كذلك تفهم دون ما يحيط بها من تحفظات ومن ايضاحات أوردها المندوب السامى والسكرتير العام ، مثال ذلك المناقشة الخاصـة بحيفا وصفد .

وألاحظ كذلك اننا عندما دعينا للاجتماع لبينـا الدعوة على أساس أن الاجتماع غير رسمى لتبادل الآراء والأحاديث . ولذلك لم يسـتعد الجانب العربى لتدوين محضر بما يدور فى الاجتماع .

ومهما يكن من شىء فان المذكرة فى جملتهـا تعبر عن الأسس التى قبلنا الاتفاق عليها .

فأرجو ان تلفت النظر الى هذه الملاحظات .

مع خالص التحية

عبد الرحمن عزام

على ان هذه الهدنة لم تر النور ، اذ بدأ التفاوض بشأنها يوم ٧ مايو سنة ١٩٤٨ بين عبد الرحمـن عزام والمندوب السـامى ، ورفض اليهود

التحدث مع المندوب السامى فى امرها عندما أراد ان يحدثهم فيها وبعد اسبوع واحد من اجتماع عزام والمنـدوب السامى ترك الأخير فلسطين وجلت القوات البريطانية منها وبدأت الحرب بين العرب واليهود .

فيرى من استعراض ما تقدم ان الهيئة العربية العليا تعتبر مسئولة عن عدم عقد الهدنة مع ان عقدها كان فى صالح العرب . ولو تمت الهدنة منذ أن بدأ قناصـل الدول المسيحية مساعيهم الحميدة لما خسر العـرب مساكنهم فى القدس الجديدة ولما تشردوا .

ثانيا ـ مسئولية الاستاذ عبد الرحمن عزام :

لم يكن الدور الذى لعبه الاسـتاذ عبد الرحمن عزام الأمين العـام السابق لجامعة الدول العربية فى القضية الفلسطينية دور أمين عام للجامعة العربية وانما لعب دورا أكبر بكثير من دور الأمين العام . فمن المقرر أن سـلطة الأمين العام للجامعة العربيـة هى تنفيذ ما يقرره مجلس الجامعة ولكن عبد الرحمن عزام طغى بشخصيته على مجالس الجامعـة العربية فتعدى بذلك حـدود اختصاصه وكان دوره فى كل ما قـررته مجالس الجامعة فى القضية الفلسطينية قياديا .

وقبل أن أتكلم عن مسئولية عبد الرحمن عزام لابد لى من أن أقرر بكل امانة انه من أشد الناس اخلاصا للقضية الفلسطينية والقضايا العربية ، وأن أخطـاءه كانت بحسن نية . ولا أدل على ذلك من أنه لما اتضح له خطؤه فى اعتقاده ان عرب فلسطين كانوا اقوى من اليهود لم يتردد فى التفاوض مع المندوب السامى لعقد هدنة تحمى البقية الباقية من القدس فى يد العرب . ولم يستجب الى اعتراضات المفتى على تلك الهـدنة التى أبديت بواسطة اميل الغورى . واذا كانت الهدنة المذكورة لم تنفذ فذلك راجع الى أن التفاوض بشـأنها بدأ متأخرا ، اذ بدأ قبل نهـاية الانتداب بأسبوع واحد .

ان عبد الرحمن عزام رجل قوى الحجة عذب الحديث وكان سياسيا قبل ان يكون امينا عاما للجامعة العربية وصديقا لكل رجالات العرب ومن هنا كان تأثيره فى قرارات مجلس الجامعة العربية كبيرا .

وتتلخص اخطاء عبد الرحمن عزام فيما يأتى :

١ — انه كان يعتقد اعتقادا راسخا ان اليهود فى فلسطين اضعف من العرب وانه يمكن القضاء عليهم بثلاثة آلاف مقاتل أو أربعة وكان المفتى يشاركه فى هذا الاعتقاد . ولا ندرى ايهما أوحى به للآخر .

٢ — وبناء على هذا الاعتقاد الخاطىء بنى عبد الرحمن عزام سياسته فى توجيه القضية الفلسطينية . ولم يجد صعوبة فى تنفيذها لأن الهيئة العربية العليا وهى صاحبة الشأن الأول فى هذه القضية كانت متفقة معه فى ذلك أو كان هو متفقا معها ولأن رجال الحكومات العربية لم يرغبوا فى ارغام الهيئة العربية العليا على قبول أى حل لا يرضيهم .

٣ — نسى الأستاذ عبد الرحمن عزام ان أهم البلاد العربية التى ستلعب جيوشها الدور الأول فى صون عروبة فلسطين ، وهى مصر والعراق وشرقى الاردن ، كانت تنوء تحت نير الاحتلال البريطانى فى ذلك الوقت . فكانت بريطانيا تعلم قوة كل جيش من هذه الجيوش وما لديه من سلاح وعتاد ، بل نسى أن الجيش الأردنى سلاحه وذخيرته من بريطانيا ، بل ويتقاضى جنوده وضباطه مرتباتهم من خزانة الحكومة البريطانية . بل أكثر من ذلك فان الضباط الذين سيقودون هذا الجيش فى المعركة هم ضباط انجليز . غاب من حساب الاستاذ عبد الرحمن عزام كل هذا وأخذ يعمل على أن تتخذ الدول العربية سياسة مستقلة عن سياسة الحكومة البريطانيه فى قضية فلسطين بل معارضة لها اشد المعارضة . ولما تذكر حقيقة الجيش الاردنى

فكر فى أن يمكن هذا الجيش من العمل بحرية مستقلا عن ارادة الحكومة البريطانية فاقترح على الدول العربية أن تعينه بالمال . ولكن نسى أيضا أن المسألة ليست مسألة مال فقط وانما هى مسألة سلاح وذخيرة . فالمهم هو أن تجد السلاح والذخيرة . فاذا توافر المال ولم تستطع أن تشترى به سلاحا وذخيرة صرف فى غير هــذا الهدف . وهو ما وقع فعلا ، ذلك ان الجامعة العربية دفعت الى الملك عبد الله مائة الف جنيه على أن تدفع له بعد ذلك مبالغ أخرى كى يستطيع أن يكون مستقلا فى تصرفاته من وصاية الحكومة البريطانية . ثم رأت الجامعة العربية بعد ذلك أن لا فائدة من دفع هــذه المبالغ لأن الملك لم يستطع أن يشترى بها سلاحا فقررت ايقافها . وقد غضب الملك عبدالله من ايقاف دفع ماوعدت الجامعة العربية بدفعه اليه فاستدعى اليه رياض الصلح وحدثه فى الأمر ، وكتب السيد رياض الصلح مذكرة ارسلها الى الســيد مزاحم الباججى رئيس وزراء العــراق وقتئذ بما دار بينــه وبين الملك عبد الله من حديث . وقد بين فى هذه المذكرة آراءه فى الموقف . كما ارسل صورة من هذه المذكرة الى الاستاذ عبد الرحمن عزام فقط ولم يرسل صورا الى حكومات الدول العربية الأخــرى . وسنتكلم عن هذه المذكرة عند الكلام عن المرحوم رياض الصلح .

٤ — كان من أكبر أخطاء الأستاذ عبــد الرحمن عــزام أنه لم يذهب الى فلسطين مطلقا فى سنتى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ مع انى أبلغت الحكومة أكثر من مرة رجاء كثير من أهالى فلسطين ومن بينهم شخصيات كبيرة مثل المرحوم سليمان طوقان فى أن يحضر رجــال الجامعة العربية والحكومات العربية الى فلسطين لدراسة الحالة بأنفسهم وليقفوا على الحقائق .

ولو ذهب عزام الى فلسطين فى سنتى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ لتفادت فلسطين كثيرا من الويلات . انه لم يذهب اليها فى هاتين السنتين

الا يوم ان ذهب الى اريحا لمفاوضة المندوب السـامى فى الهدنة بالنسبة للقدس . ولم يبق فيها الا بضع ساعات .

٥ — قيل ان عبد الرحمن عزام استجاب الى رغبة المفتى فى انشاء حكومة عموم فلسطين فى وقت كان فيه انشاء هذه الحكومة ضارا بالقضية الفلسطينية ، لأنه يؤدى الى شقاق بين الحكومات العربية المتولية لقضية فلسطين ، فضلا عن أن هذه الحـكومة لم تكن تستطيع أن تقوم بأى عمل نافع اللهم الا صرف المال فى المرتبات والمظاهر . ولقد انكر عزام انه صاحب الرأى فى انشـاء هـذه الحكومة ولذلك فاننا استهللنا هـذه الفقرة بقولنا « قيل » ان عبد الرحمن عزام استجاب .. » ولم نجزم بانه صاحب الرأى فى انشاء هـذه الحكومة .

٦ — اغفل عبد الرحمـن عزام أن يأخـذ فى الحسـاب مطامع الملك عبد الله فى ضم القسم العربى من فلسطين الى شرقى الاردن . وليس هذا خطأ عبد الرحمن عزام وحده ، وانما هو خطأ يشترك فيه معه كافة الساسة العرب الذين اشتركوا فى مأساة فلسطين . وفى اعتقادى ان هذا أكبر خطأ ارتكبه هؤلاء الساسة . ولم تكن نوايا الملك عبد الله ومطامعه سرا بل كانت معروفة ، وقد ظهرت بشكل لا يتطرق اليه أى شك قبل نهاية الهدنة الأولى ، ذلك انه رفض استئناف القتال الا اذا عبأت الدول العربية جميع قواها ، وهو يعنى فى الحقيقـة انه لن يستأنف القتـال بحجة أن الدول العربية لم تعبىء كل قواها .

ثالثا ــ مسئولية الساسـة العرب الذين حكموا بلادهم فى المـدة بين سنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٤٨

قال الأستاذ محمد على علوبة فى كتابه « فلسطين والضمير الانسانى » ان من أسباب نكبة فلسطين اختيار الملك عبد الله قائدا أعلى للجيـوش العربية . وان هذا الاختيار كان أكبر نكبة على فلسطين ، وكان خطأ جسيما

لا يغتفر وقعت فيه الحكومات العربية .. لا لأن الملك عبد الله أســاء الى الوكالة التى أعطيت له ، وانما لأن الأردن كان محتلا بالانجليز ، وكان قائد الجيش فيه جلوب الانجليزى .. وما كان فى مكنة الملك عبد الله أن يعارض تصرفات هذا القائد وانجلترا تحتل بلاده ، وتســـاعدها ماديا لتحتفظ بكيانها الاقتصادى .. وكل هذه التصرفات كانت تحتم على الدول العربية الا تجعل القيادة العليا للانجليز باسم الأردن وهى تعلم ما ينجم من مآس وأضرار باعطــاء انجلترا قيادة جيوش تحارب اليهــود الذين تحتضنهم هى وتدافع عنهم (1) .

وانى أخالف ما ذهب اليه الأستاذ محمد على علوبة وذلك لأن الملك عبد الله كان قائدا للجيوش العربية اسما لا فعلا . فلم يكن له ولا لجلوب القائد الانجليزى سلطة فى أن يتدخلا فى توجيه أى عملية حربية لأى جيش من الجيوش العربية التى دخلت فلسطين غير الجيش الأردنى . ولم يكن فى استطاعة أى منهما أن يزور أى جبهة من الجبهات فى فلسطين بخلاف جبهة الجيش الأردنى . ولم يعط أى منهما أية معلومات عن عدد كل جيش من الجيوش العربية أو عدتها أو عتادها . ومن ثم فلم يكن للملك عبد الله أو الجنرال جلوب أى تأثير من قريب أو بعيد على سير العمليات العسكرية للجيوش العربية الا الجيش الأردنى طبعا .

وقد شكا الملك عبد الله مرارا من وضعه فقال فى صحيفة ٣٠ من تكملة مذكراته ما يأتى :

« وعند وقوع الهــدنة الأولى لم يكن لدى الجيش الأردنى من أعتدة الأسلحة الثقيلة ما يكفى لحرب يومين اثنين . ولقد كان سفرنا الى مصر فى تلك المدة من الهــدنة وعرضنا ما نعلم وسألنا المرحوم النقراشى باشا عن نيات مصر ، فأكد لنا الاخلاص للقضية والدوام فى القتال حتى التوفيق التام ، وعرضنا على المقام الملكى فى مصر الرغبة فى أن نزور مركز القيادة المصرية العليا فى فلسطين بصفتنا القائد العام ، فأشير الى أن هــذا

---

(1) أنظر صفحتى ١٤٣ و ١٤٤ من كتاب فلسطين والضمير الانسانى

لا يناسب ، ما دام أن جلالته لم يزر الجبهة بنفسه ، ثم عرضت لزوم زيارة جلالته للقدس الشريف ، فذكر خطر الطيران ، فاعدت التكليف بأن ذلك ممكن عن طريق السويس ـ العقبة ـ عمان ، فأبديت أعذارا أخرى ، ولو وقعت لكانت حركة موفقة تقضى الى أن نستولى على القدس بأجمعها بوثبة من الجيوش الملكية الثلاثة بوجود الوصى المعظم وجلالة الملك فاروق ووجودنا . وعلى كل حال لم نوفق لتملك ناصية الحرب بكامل قوة القيادة الموحدة ، ولا بدعوة جلالته لتنفيذ الغرض المنوه عنه به ، أعنى لم تكن قوات الدول الأربع من حيث الأمر والنهى تابعة لوكيل القائد العام المسئول عن كل الجيوش وهو اللواء نور الدين باشا قائد القوات العراقية » .

ولكن النكبة أتت من أخطاء أخرى ارتكبها الساسة العرب أهمها ما يأتى :

أولا — انقياد الساسة العرب وراء اللجنة العربية العليا ومن بعدها الهيئة العربية العليا وبعبارة أخرى وراء المفتى .

ثانيا — اختلاف الأهداف التى كانت كل دولة عربية تستهدفها من دخول جيوشها فى فلسطين .

ثالثا — اعتماد العرب على الجيش العربى الأردنى .

رابعا — ان الساسة العرب لم يأخذوا رأى العسكريين قبل الدخول فى الحرب .

خامسا — عدم اخلاصهم بعضهم لبعض .

تلك هى أهم أسباب النكبة مجملة والى القارىء التفصيل :

١ ـ انقياد الساسة العرب للجنة العربية العليا ثم الهيئة العربية العليا :

بدأ ساسة الدول العربية يتدخلون فى قضية فلسطين فى سنة ١٩٣٦ . ففى تلك السنة وجه ملوكها نداء الى أهل فلسطين دعوهم فيه ان يقفوا

الأضراب وان يخلدوا الى السكينة ووعدوهم بالسعى فى مساعدتهم لتحقيق آمالهم . وقد اشتركت الدول العربية فى المؤتمرات التى عقدتها بريطانيا لحل مشكلة فلسطين كما اشترك فى المؤتمرات ممثلون للهيئة العربية العليا .

والخطأ الذى وقع فيه ساسة الدول العربية هو أنهم تركوا اللجنة العربية العليا ومن بعدها الهيئة العربيه العليا تقوض كل أمل يلوح لتسوية قضية فلسطين تسوية تحقق الى حد غير قليل آمال العرب .

لم يفهم المفتى أن الاستقلال التام لا يعطى وانما يؤخذ غلابا ، وذلك لا يتحقق الا بالقوة ، وفلسطين مجردة منها بل ان الدول العربية نفسها التى اشتركت فى المؤتمرات كانت فى ذلك الوقت ضعيفة ، كذلك لم يتأمل المفتى فى حالة بعض البلاد العربية التى اشتركت فى تلك المؤتمرات . فبعض هذه البلاد لم تكن مستقلة استقلالا تاما ، بل كانت مرتبطة بمعاهدات مع بريطانيا فيها قيود على استقلالها تخلصت منها فيما بعد . لم يتأمل المفتى فى شىء من هذا وتعلق برأى لا يتغير وبطلب لا يحيد عنه .

واذا كان المفتى ضيق التفكير ،قصير النظر ، فقد كان من واجب البلاد العربية أن توجه نظره الى الواقع لا أن تتركه يسبح فى خيال يغرق فيه ويجر معه الى الغرق أهل فلسطين .

قال لى مرة المرحوم راغب النشاشيبى وكنا نتحدث فى موقف الدول العربية ومجاراتها للمفتى فى طلباته التى لا يمكن أن تتحقق الا بالقوة ، قال لى : اذا طلبنا منكم القمر فهل تستطيعون أن تعطونا اياه ؟ ألم يكن أنفع لنا أن نقبل ما جاء فى الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ ثم نطالب بعد ذلك بما لم يجىء فيه ؟

هذا هو الخطأ الأول لساسة الدول العربية وهو عدم اسداء النصيحة للمفتى بأن يكون حكيما فى قيادته لبلاده وقبول الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ أساسا للاتفاق . وقد رفض اليهود هذا الكتاب وحملوا عليه حملة شعواء حتى استطاعوا أن ينسفوه .

وقد قلنا فيما سبق ان الدول العربية طلبت فى سنة ١٩٤٦ من بريطانيا الا تتخذ أى سياسة تتناقض مع ما جاء فى الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩ ، وهذا يعنى أن ما جاء فى الكتاب الأبيض المذكور لم يكن سيئا الى الحد الذى يجعله غير مقبول عند العرب .

٢ ــ الاختلاف فى اهداف الدول العربية :

كان معروفا حتى سنة ١٩٤٨ بل وحتى قيام الثورة المصرية فى ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ ان الجامعة العربية كانت تتكون من كتلتين متعارضتين وكتلة محايدة . احدى الكتلتين تضم مصر والمملكة العربية السعودية وسوريا والأخرى تضم الأردن والعــــراق ، والكتلة المحايدة تضم باقى الدول العربيــة .

ودخلت البلاد العربيــة الحرب ضد اليهود وهذا الاختــلاف قائم واستمر حتى مع اختيار الملك عبد الله قائدا أعلى للجيوش العربية واللواء نور الدين قائد الجيش العراقى وكيلا للقائد العام .

لقد كانت الدول العربيــة مختلفة بل متعارضــة بالرغم من القرار الاجماعى الذى صدر فى اجتماع اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ووقعه رؤساء حكومات تلك الدول ونصه « اذا دخلت جيوش عربيــة فلسطين لانقاذها فيجب أن يفهم صراحة انه يجب النظر الى هذا التدبير كحل مؤقت خال من أى صفة من صفات الاحتلال أو التجزئة لفلسطين ، وانه بعد اتمام تحريرها تسلم الى أصحابها ليحكموها كما يريدون » .

وقد قصد من اصدار هــذا القــرار قطع الطريق على الأردن حتى لا تضم اليها أرض فلسطين التى يقوم فيها جيشها بمحاربة اليهود .

ورأى الملك عبد الله ــ وهو السياسى الماهر ــ ان يطمئن ــ بالطبع مؤقتا ــ دول الجامعة العربية والمفتى على أنه لا يفكر فى ضم أى جزء من فلسطين الى مملكته ، فأصدر تصريحات نذكر منها تصريحه الذى أدلى به الى وفد من لاجئى فلسطين ونشرته الصحف اليومية وقد جاء فيه ما يأتى :

« وأشهد كم الله اننى لا أطمع فى فلسطين ولا أبغى ضم جزء منها الى بلادى ، لأننى سأدخلها مع بقية الجيوش العربية لتحرير تلك البلاد العزيزة ، وبعد أن يتم لنا ذلك سنترك لكم مهمة تقرير ما ترونه ملائما ومناسبا .. فاذا وجدتم أن مصلحتكم تقضى عليكم بالانضمام الينا فاننا نرحب بذلك كل الترحيب .. وانى أطمئنكم كل الاطمئنان على ذلك ، اذ لايوجد أردنى واحد تظله بلادى يرضى باغتصاب فلسطين بعد تحريرها ».

وفى ١٤ ابريل سنة ١٩٤٨ صرح بما يأتى :

« ليس الوقت وقت فتح أو طمع لأية دولة من دول الجامعة ولكنه وقت جهاد وصبر وتنظيم . واذا أدخلت الدول العربية جيوشها فلسطين فلا شك ان هذا كله لا يكون الا باجماع منها وتحمل للمسئوليات كلها .. وبعد انقاذ هذه البلاد ، ففلسطين هى فلسطين .. ولأهلها الكلمة الأخيرة فيما يعود عليها بلا اكراه ولا اجبار (١) » .

وهذه التصريحات ، وان كانت فى ظاهرها تدل على أن الملك عبد الله لا يطمع فى ضم فلسطين اليه كلها — اذا استطاع أو بعضها اذا لم يستطع ضم الكل — الا أن المتأمل فيها يلمح من سطورها ان فكرة الضم قائمة لديه ، اذ يقول فى تصريحه الأول « فاذا وجدتم أن مصلحتكم تقضى عليكم بالانضمام الينا فاننا نرحب بذلك كل الترحيب » .

فالملك عبد الله كان يعتزم ضم القسم العربى من فلسطين اليه ، وكان يعلم أن فلسطين لا محالة ستقسم بين العرب واليهود ، وان الأمر سينتهى بضم القسم العربى اليه ، فله فى فلسطين أنصار كثيرون . فضلا عن أن أخطاء المفتى جلبت للملك عبد الله أنصارا آخرين .

كان من واجب الساسة العرب ان يقدروا أن الملك عبد الله لا يستطيع أن يخرج على سياسة بريطانيا ، وسياستها كانت واضحة المعالم من

---

(١) فلسطين والضمير الانسانى للاستاذ محمد على علوبة ص ١٤٢ .

تقارير لجان التحقيق التى أرسلتها ، ومن الكتب البيضاء التى أصدرتها .
ومرمى هذه السياسة هو تقسيم فلسطين بين العرب واليهود وضم الجزء العربى منهــا الى شرقى الأردن . وهذه السياسة متفقة مع أهداف الملك عبد الله وفى مصلحته ، لأنها تنتهى الى توسيع ملكه ، فكيف يطلب منه أن يعمل بجيشه على تحرير فلسطين وتسليمها بعد ذلك للمفتى ؟

ومكلف الأيام ضــد طبــاعها   متطلب فى المــاء جذوة نار .

وقد ترتب على اختــلاف الأهداف أن الملك عبد الله ــ أو بعبــارة أصح ــ ان بريطانيا أمرت الجيش العــربى الأردنى الا يتعدى القســم المخصص للعرب من فلسطين طبقا لقرار التقسيم .

٢ ــ اعتماد العرب على الملك عبد الله وعلى الجيش العربى الاردنى :

من أكبر أخطاء الدول العربية ــ عدا مصر ــ أنهم كانوا ينظرون الى الجيش العربى الأردنى كأنه الجيش الأول الذى يمكن الاعتماد عليه فى قهر اليهود . وكان الفلسطينيون أنفسهم يعقدون على هذا الجيش آمالا كبيرة ، ولم يدر بخلدهم مطلقا أن ظنهم فيه سيخيب .

وكان الساسة العرب يبنون اعتمادهم على الجيش العــربى الأردنى على تفكير خاطىء هو أنه اذا دخل الملك عبد الله الحرب ضد اليهود فان دخوله فيها لايمكن أن يحدث الا اذا كانت بريطانيا موافقة عليه ، ومتى كانت بريطانيا موافقة فانها لن تضن عليه بالسلاح والذخيرة . وقد فات هؤلاء الساسة أن بريطانيا لن تسمح للجيش العربى الأردنى بأن يجاوز فى الحرب الحدود التى ترسمها له وهى المحافظة على الجزء المخصص للعرب من فلسطين طبقا لقرار التقسيم .

والغريب أن هذا التفكير الخاطىء الذى كان يدور فى عقول هؤلاء الساسة استمر حتى بعد أن ظهر لهم أن الجيش العربى الأردنى لم يحقق ما كان يرجى منه . فلما عقدت الهدنة وحل موعد انتهائها اجتمعت اللجنة السياسية وطالب بعضهم بعدم امتداد الهدنة وباستئناف القتال ، وظهرت

على آخرين بوادر القلق من الموقف . ويقول الأستاذ محمد عزة دروزه فى الجزء الخامس من كتابه « تاريخ الحركة العربية ص ٦٩ ما يأتى » ومن تمام الصورة العجيبة انى رأيت القلق باديا على شخصية رسمية كبرى بسبب الحالة فقلت له وماذا تريدون ان تفعلوا ؟ فقال اننا نرقب خطة الملك عبد الله فاذ دخل الحرب فمعنى ذلك أن الانكليز راضون وأن لديه من الوسائل ما فيه الغناء فندخل مطمئنين . ولا ندرى هل صارح الملك رؤساء الحكومات العربية الأخرى ، عدا الأمير عبد الاله ، بقناعته وقلة ما لديه أم لا . فان كان صارحهم فتكون الحكومات العربية قد دخلت الجولة الثانية وهى جميعها غير قانعة بصواب عملها وغير مطمئنة الى ما فى حوزتها من وسائل » .

وانصافا للملك عبد الله نقول ان الدول العربية كانت تعلم تمام العلم أن جلالته لم يكن يرغب فى استئناف القتال وان الدول العربية عرفت ذلك من ثلاثة مصادر :

أولا — من قناصلها فى القدس .

ثانيا — من الملك عبد الله نفسه اذ أبلغ الملك فاروق بأنه لا يجوز استئناف القتال الا اذا كان لدى العرب أسلحة وعتاد كاف .

ثالثا — من الخبراء العسكريين الذين اجتمعوا بعد عقد الهدنة وقبل نهاية مدتها وقرروا أنه خير للعرب عدم استئناف القتال .

فأما فيما يتعلق بقناصل الدول العربية فقد أخطروا حكوماتهم . وانى أنقل هنا خطابى للحكومة المصرية الذى أرسلته بتاريخ ٢٤ يونية سنة ١٩٤٨ أى بعد عقد الهدنة وقبل انتهائها بأكثر من أسبوعين . قلت للحكومة ما يأتى :

« أثناء وجودى بعمان فى طريقى الى القدس زارنى بدار المفوضية الملكية سعادة الشريف حسين ناصر رئيس ديوان جلالة الملك عبد الله وكان

سعادته قنصلا عاما للعراق فى القدس ثم عين أخيرا فى منصبه الحالى وهو من البيت الهاشمى وصهر جلالة الملك عبد الله ودار بينى وبينه حديث أورده فيما يلى :

« قال سعادته انه كان يرى أن تبحث الدول العربية قضية فلسطين مع الانجليز وان تتفق معهم على حل لها قبل الدخول فى الحرب مع اليهود حتى تضمن الدول العربية مساعدة الانجليز لها سياسيا وحربيا وأضاف أنه فى يوم ١٣ مايو الماضى سافر الى بغداد وقبيل سفره سأل جلالة الملك عبد الله عما اذا كان مصمما على الدخول فى الحرب ضد اليهود بعد انتهاء الانتداب فأجاب جلالته بالايجاب فسأله عما اذا كان قد بحث الموضوع مع الانجليز وضمن موافقتهم فأجابه جلالة الملك اجابة استنكارية .. ولما وصل الى بغداد سأل سعادته الوصى على عرش العراق هل اتفقتم مع الانجليز على الدخول فى الحرب ضد اليهود فأجابه الوصى هذا سؤال كان يجب أن توجهه الى عمك (أى جلالة الملك عبد الله) فقال سعادته للوصى لقد سألته فاستنكر السؤال .

« وأخبرنى سعادته أن حضرة صاحب الجلالة الملك عبد الله سيصارح حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق فى زيارته الحالية عن حقيقة الموقف العسكرى وسيبلغه أنه اذا رغبت الدول العربية فى استئناف القتال بعد الهدنة فيجب أن تكون استعداداتها أتم من استعدادها الحالى .

وقال سعادته انه من العجب أن تنادى لبنان وسوريا باستئناف القتال وهما لم يشتركا فى الحرب الا بمجهود ضئيل لا يكاد يذكر » .

وواضح من هذا الخطاب ان الملك عبد الله علق استئنافه للقتال على شرط هام كان يستحيل تحقيقه فى ذلك الوقت ، وهو أن تكون استعدادات الدول العربية اتم من استعدادها وقت دخولها الحرب مع اليهود . وان رئيس ديوانه يتعجب من موقف ساسة سوريا ولبنان الذين ينادون

باستئناف القتال ، فى حين أن هاتين الدولتين لم تشتركا فى الحرب الا بمجهود ضئيل لا يكاد يذكر . وهـذا التعجيب أبداه الملك عبد الله فى مذكـراته .

وفيما يتعلق بالملك عبد الله فقد كتب فى تكملة مذكراته (صفحة ٣٠) ما يأتى :

« ثم حدث السفر الى نجد وكانت الجامعة العربية فى حالة اجتماع بمصر . وقد وقعت الأوامر منا الى رئيس وزرائنا حينذاك توفيق باشـا أبو الهدى بأن لا يقبـل نقض الهدنة الأولى مهما كان ، ولو استقالت الحكومة ، قبل أن تمتلىء يد الجيش بمـا يقتضى من الأعتـدة الثقيلة والخفيفة . ولكن بكل أسف أبلغت نقض تلك الهدنة ساعة وصولى الى بغداد فى طريق عودتى من الرياض . وقد أخبرنى بهـا فخـامة السيد الباججى . وقد حصل لى من الكرب والهم ما أعجز عن وصفه » .

وفى ٣٠ يونيه سنة ١٩٤٨ أى بعد عقد الهدنة وقبـل نهايتها كتبت للوزارة ما يأتى :

« يوجه المطلعون على بواطن الأمور هنا (أى فى القدس) — ومن بينهم من هو معروف بميله الشديد للبيت الهاشمى — لوما شديدا الى قيادة الجيش الأردنى وهى قيادة انجليزية يرأسها البريجدير لاش على تصرفها فى القدس .

« فيقولون لقـد كان فى استطاعة الجيش الأردنى أن يحتل القدس الجديدة فى خلال بضعة أيام ، ففى بداية المعركة دخلت القوات الأردنيـة القدس الجديدة فاحتلت فيها جزءا من حى مياشيرم والمحطة ودار المطبعة ووصلت الى شارع بن يهودا ولكن القائد الانجليزى أصدر اليها الأوامر بالانسحاب من هذه المناطق .

« وقد زرت معسكر البوليس الذى احتله الجيش العربى الأردنى بعد معركة لم تدم أكثر من ساعتين ، وتكلمت مع بعض الجنود وصف

الضباط فعلمت منهم انهم احتلوا مياشيرم ولكن الأوامر صـــدرت اليهم بالانسحاب ففعلوا ذلك وهم متألمون .

« وعلى أثر اعلان الهـــدنة دخلت القدس قافلة مكونة من حـــوالى ١٧٠ سيارة يهودية محملة بالمؤن والذخيرة وذلك على مرآى من الجيش العربى الأردنى وقد رغب الضـــابط الأردنى فى أن يمنع هذه القافلة من المرور ، ولكن الأوامر صدرت اليه بالسماح لها بالدخول . وهـــذه الأوامر صدرت من القائد الانجليزى . وموضوع هذه القافلة معروف للضباط المصريين المستشارين لجلالة الملك عبد الله وقد تكلموا مع جلالته فيها .

« وفى أثنـــاء المعركة صدرت الأوامر للجيش العربى الأردنى بعدم استعمال المدافع الثقيلة ضد الجامعة العبرية ومستشفى هداسا بالرغم من أن اليهود استعملوا هاتين المؤسستين حصونا لاطلاق النـــار منها على الجيش العربى الأردنى بمدافع الهاون والمدافع الرشاشة .

« ولا يخفى الضباط العرب بالجيش الأردنى استياءهم من تصرفات القيادة الانجليزية .

« وخلاصـــة قول الناقدين ان الجيش الأردنى ينفذ خطة الانجليز لا خطة العرب .

« وقد دار حديث بينى وبين أحد الانجليز فى القدس يوم ٢٦ الجارى (أى ٢٦ يونيـــه سنة ١٩٤٨) فهمت فيه منه أن الحالة فى القدس ستبقى على ما هى عليه حتى لو استؤنف القتال فى فلسطين . فان صح ذلك دل على أن نية الانجليز ترمى الى جعل القدس مدينة دولية فيما بعد ، اذ لو احتلها الجيش الأردنى كلها لما كان هنـــاك محـــل لذلك ، أما اذا بقيت القدس القديمـــة فى يد العرب والقدس الجديدة فى يد اليهود فعندئذ يستطيع الانجليز وهيئة الأمم المتحدة أن يقولوا لا بد من جعل القدس مدينـــة دولية لأن بقاءها مقسمة بين العرب واليهود يؤدى الى استمرار الفوضى ويعرض الأماكن المقدسة للخطر .

نخلص مما تقدم الى أن الملك عبد الله صارح الحكومات العربية بحقيقة جيشه ، كما أن قناصل الدول العربية أخطروا حكوماتهم بوضع هذا الجيش ، فضلا عن أن العسكريين أشاروا على حكوماتهم بأن المصلحة تدعو الى الاستمرار فى الهدنة .

واذا كان الأمر كذلك فان أصدق وصف لتصرف رجال الحكومات العربية هو ما ذكره الأستاذ محمد عزة دروزة فى صفحة ٦٩ من الجزء الخامس من كتابه حول الحركة العربية الحديثة اذ قال « ولو كان رجال هذه الحكومات أصدق رجولة وجرأة وأكثر بصيرة وتقديرا لكانوا على الأقل تظاهروا فى الاستجابة الى الحاح برنادوت ومجلس الأمن ومدوا الهدنة واحتفظوا بمركزهم الحربى الحسن ، بل وقد كان من الممكن أن ينالوا عروضا أفضل مادام أن الأمر كذلك ، وكانوا تفادوا الكوارث الحربية والمعنوية التى أوصلت الحالة الى الدرك الأسفل .. » ولكن ساسة لبنان وسوريا وعبد الرحمن عزام والمفتى اندفعوا فى المزايدات الوطنية وقرروا رفض مد الهدنة وأمروا باستئناف القتال فجروا على البلاد الكوارث اذ ما كاد القتال يبدأ حتى سقطت اللد والرملة . وأذكر أن المرحوم محمود فهمى النقراشى كان معارضا فى استئناف القتال ولكنه ضعف أمام تيار الآخرين فانصاع الى رأيهم .

على أن مسئولية الملك عبد الله عن سقوط اللد والرملة كانت كبيرة أيضا . فهو وان كان قد أصدر الأمر الى رئيس حكومته أن يرفض استئناف القتال الا انه كان يجب عليه أن يأمر جيشه ـ وكان يعسكر خارج اللد والرملة بالدفاع عن هاتين المدينتين وكان من واجبه أن يقف وقفة اصرار وعزم ضد الجنرال جلوب . انه لو أمر جيشه بالدفاع عن هاتين المدينتين لما سقطتا . ولما تدهور الموقف بعد ذلك .

وقد كتبت للحكومة عن سقوط اللد والرملة ما يأتى :

« وينسب الشعب الفلسطينى سقوطهما أولا الى خدعة يهودية ،

وثانيا الى تقصير الجيش الأردنى ، وذلك أن اليهود دخلوا اللد فى زى الجيش الأردنى ثم أخذوا يطلقون النار على أهلها ، فهب هؤلاء للدفاع واستنجدوا بالجيش الأردنى ــ وهو على خطوة منهم ــ ولكن هذا الجيش لم يرسل لهم أى مساعدة . ولما سقطت اللد استسلمت الرملة بدون مقاومة تذكر » .

ولما شعر الملك عبد الله بفداحة النكبة ، وهول المسئولية ، أخذ ينسب سقوط اللد والرملة فى أحاديثه مع غير المصريين الى تقصير الجيش المصرى ، مع أن جيشه كان واقفا على أبواب اللد والرملة ، وقد قلنا ان اليهود ارتدوا لباس الجيش العربى الأردنى للدخول فى اللد ، لأن جنود الجيش العربى الأردنى كانوا يذهبون الى المدينة من معسكراتهم المقامة خارج المدينة وكان الأهالى يستقبلونهم بالبشر والفرح .

ولكن أهل فلسطين يعلمون أنه المسئول عن النكبة . فأخذوا يسلقونه بألسنة حداد بعد أن كانت قلوبهم تتجه اليه باعتباره المنقذ الأول لفلسطين مما دعا جلوب الى توجيه رسالة الى القائد عبد الله التل بتاريخ ١٩٤٨/٨/٢٥ يقول له فيها :

« بلغنا أن الجنود وبعض الضباط يتذمرون ويصغون الى شعور الناس ومشاغبتهم على الجهات العليا بحجة ان الجيش العربى مقصر فى واجباته . والحقيقة أن الأصول العسكرية والضبط والربط تحرم على الضباط والجنود أن يتدخلوا فى المسائل السياسية والاختلاط بالمدنيين المشاغبين الذين يتطاولون على الشخصيات العالية فى الحكومة .

« فأرجو أن تنبهوا على من هم تحت أمركم حتى لا يشتركوا مع الأهلين فى مثل هذه الأمور الضارة بالمصلحة العامة . » (١)

٤ ــ الساسة العرب لم يأخذوا رأى العسكريين قبل الدخول فى الحرب :

من نافلة القول أن نذكر أن رؤساء الحكومات لايقدمون على

(١) صفحة ٢٥٨ من كتاب كارثة فلسطين لعبد الله التل .

اتخاذ قرار يؤدى الى الزج ببلادهم فى حرب الا بعد أن يدرسوا مع خبرائهم العسكريين الموضوع من كافة نواحيه . وها هى ذى الولايات المتحدة ، وهى احدى أقوى دولتين فى العالم ، لا تقدم على أى عملية حربية ولو كانت ضد بلد صغير الا اذا اجتمع رئيسها بمستشاريه العسكريين .

ولكن ساسة الدول العربية فى سنة ١٩٤٨ لم يرجعوا الى رؤساء أركان حرب جيوش بلادهم ليسألوا عن حالة جيوشهم ومقدار استعدادها لخوض الحرب ، وعن قوة العدو من ناحية العدد والعدة والروح المعنوية .

ويقول المستر جون فوستر دلس وزير خارجية أمريكا السابق فى صفحة ٥ من كتابه « حرب أو سلام » ما يأتى :

« ان نصيحة اعرف عدوك أثبتت دائما انها نصيحة طيبة .

« اذا لم نعرف عدونا ، واذا لم نعرف حقيقته ، وكيف يفكر ، فاننا لا نستطيع أن ندافع بذكاء عن أنفسنا . فقد يحدث أن نجد أنفسنا نبنى دفاعا ضد خطر متصور بينما نعرض أنفسنا لخطر حقيقى » .

ولنبدأ بالساسة المصريين :

كان يرأس الحكومة المصرية المرحوم محمود فهمى النقراشى عندما قررت الدول العربية أن تدخل بجيوشها فلسطين لتطهيرها من اليهود . فماذا فعل رئيس الحكومة ؟ هل اجتمع بخبرائه العسكريين ودرس معهم العمليات الحربية التى قرر اتخاذها ، ومقدار استعداد الجيش المصرى للدخول فيها ؟ وهل درس معهم قوة العدو من الناحية العسكرية والاقتصادية والمعنوية ؟ انه لم يفعل شيئا من ذلك . وقد قيل عنه انه كان يعارض فى الدخول فى حرب فلسطين ، ولكنه خضع لارادة الملك الذى غرر به الانجليز وزينوا له دخول مصر فى الحرب فى فلسطين . ان مسئولية المرحوم محمود فهمى النقراشى كانت كبيرة . فقد كان من واجبه الا يقدم

على اتخـــاذ قرار خطير كهذا قبل أن يستشير رجال الجيش ، وان يتبع نصيحتهم ، ولو كانت ضد رأى الملك . وكان من واجبه أن يستقيل اذا أصر الملك على الدخول ، بالرغم من أن الجيش لم يكن مجهزا تجهيزا كاملا بالأسلحة والأعتدة اللازمة للحرب .

لقد كان من واجب المرحـــوم محمود فهمى النقراشى ان يتذكر أنه فى شهر أغسطس سنة ١٩٤٧ اى قبل قرار دخول الحرب ببضعة أشهر رفع الى مجلس الأمن قضـــية مصر ضـــد بريطانيا ، وكال للانجليز من القول انقارص فى مجلس الأمن ما كال . فهل يعقـــل أن ينتظر من الانجليز أن يساعدوه ضد اليهود ومازالت رنة صوته فى مجلس الأمن توقر آذانهم ؟

وكان فى استطاعة المرحوم النقراشى أن يصحح أخطـــاءه فيمتنع عن استئناف القتـــال بعد الهـــدنة الأولى . والواقع أنه كان يريد ذلك ، فقد سمعته بأذنى يقول لعبد الرحمن عزام « كفاية لوترية يا عزام أنا لست مستعدا للحرب وكل ما استطيع أن أقدمه هو المال » ولكن مع الأسف وافق على استئناف القتال ، بالرغم من أن قادة الجيوش العربية التى كانت تحارب فى فلســـطين أشاروا على رجال الســـياسة جميعهم بعدم استئناف القتـــال .

وكان وزير الخارجية المصرية فى ذلك الوقت هو المرحوم أحمد محمد خشبة ، وكان من واجبه أن يقرأ تقارير قنصل مصر العام فى القدس التى كان يبعث بهـــا الى الوزارة وان يعرض على رئيس الحكومة ما فيها عن الحالة فى فلسطين ، وكثيرا ماكتبت . ولكنه كان يتعالى على قراءة هـــذه التقارير . فقد قال لى الأستاذ محمد وجيه رستم الذى كان فى ذلك الوقت سكرتيرا عاما للوزارة : كم من المرات كنت أعرض تقاريرك على الوزير المرحوم أحمد محمد خشبة ، وكنت أقول له هاهو ذا تقرير ورد من ممثلنا فى القدس يبدى فيه آراء جديرة بالنظر فكان المرحوم أحمد محمد خشبة يرفع رأسه وينظر الى دون أن يتكلم فكنت أقول له يقول الانجليز اسمع كلام الرجل الذى يقيم فى حلبة النزاع the man on the spot ولكنى

لم أفلح فى اقناعه بالنظر فى تلك التقارير . هذا ما قاله لى الأستاذ محمد وجيه رستم الذى زارنى وأنا أكتب هذا الكتاب . ولو نظر المرحوم أحمد محمد خشبة فى تقاريرى وعرضها على رئيس الحكومة لما استهان الاثنان بقوة اليهود .

وكان من بين ما ارسلته للوزارة ترجمــة مقال كتبه عسكرى يهودى ونشرته جريدة هابوكر يوم ١٢/١٢ سنة ١٩٤٧ استعرض فيــه الممكنات العسكرية فى فلسطين والبلاد العربية . وانى آسف أن أقرر أن هذا المقال لم يطلع عليه احد من المسئولين المصريين فى ذلك الوقت مع أنه كان من الواجب على كل مسئول يتصدى لقضية فلسطين أن يطلع عليه وان يدرس ما فيه دراسة عميقة .

قال الكاتب العسكرى اليهودى ما يأتى :

« الممكنات العسكرية فى فلسطين والبلاد العربية » .

« ستكون مهمة جيش الدولة اليهودية ، بعد قرار التقسيم الذى حصلنا عليه ، حماية الدولة من الغارات التى تشن عليها . ومعنى ذلك = مهمة دفاع استراتيجية .

« دفاع استراتيجى كهذا ليس معناه الانتظار المرهون بهجوم العدو بل تحطيم الهجمة فى الوقت الصحيح أو اضعافها الى درجة لا تستطيع معها الحاق الأذى بالدولة . ولا نقصد هنا احتلال مساحات أجنبية وانما منع احتلال مساحات من بلادنا » .

« وستكون المهمة الأساسية للجيوش العربيــة عدم تمكين الجيش اليهودى من أداء مهمته المذكورة ، أى احتلال مساحــة دولتنا وتحطيم مقاومة جيشنا » .

وان حل مشكلة الدفاع عندنا رهن بالعوامل التالية :

١ — شعب مدرب على سبل الدفاع .

٢ — دستور اقتصادى .

٣ — معنويات عاليــة .

قوة الخصم الكامنة :

« انك لا تجد بين الثلاثين مليون عربي أكثر من ثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة تتناسب اعمارهم مع الخدمة العسكرية . ولكي يكون في الامكان تشغيل هذا العدد في الحرب يجب أن يندمج في جهاز عسكري نظامي قائم في أيام السلم لا يقل عدده عن ٤٠٠ ألف جندي قديم لكي يتولى هذا الجهاز تدريب ذلك العدد الكبير من المتطوعين وتنظيمهم . ولكن العرب بعيدون اليوم عن مثل هذا الجهاز الضخم ، وكل ما لديهم من جيوش نظامية لايزيد على ١٣٠ ألف جندي وهذا العدد من الجيوش النظامية لدى العرب لايستطيع استيعاب أكثر من مليون متطوع على أبعد تقدير اذا وجد هذا المليون .

« ومع أن دستور الخدمة العسكرية في البلاد العربية يقوم على الخدمة الاجبارية فان مصر مثلا التي تعد ١٦ مليونا من السكان [1] لا يزيد عدد الذين تجندهم وتدربهم في السنة عن خمسة آلاف جندي نظامي أما في البلاد العربية الأخرى فالحالة أكثر سوءا ولهذا لايزيد عدد القوات العربية الزائدة في كل سنة في الجيوش النظامية عن عشرة آلاف جندي ، وعلى هذا الأساس قدرنا القوى المدربة الاحتياطية في الجيوش العربية بما لا يزيد على ١٣٠ ألفا . وهذا الوضع ذو أهمية عظمى في تقديرنا ووزننا للقوى العربية » .

« ان الجيوش العربية في حالتها الحاضرة تكفي للعمل في أيام السلم على حفظ الأمن والنظام في المناطق العربية الواسعة ولكنها لا تستطيع أن تستغني عن جزء من قواتها للعمل في الخارج ، فاذا ما أرادت الدول العربية أن تعمل فيهذا الاتجاه ترتب عليها أن تجند الاحتياطي لديها ، ومعنى ذلك ان عدد جيوشها النظامية سيصبح عند ذلك ٢٦٠ ألف جندي » .

« وان ٢٦٠ ألف جندي هو أعلى رقم يمكن الحديث عنه كقوة عسكرية لدى العرب وهي قوة عظيمة كافية من الممكن اعدادها كقوى احتلال لولا بعض العوائق . فقبل كل شيء يجب أن نطرح من هذا العدد

(١) كتب هذا المقال في سنة ١٩٤٧ .

القوات اللازمة للبقاء داخل البلاد العربية لحفظ الأمن والنظام والمساعدة فى تنفيذ الوسائل اللازمة لادارة الحرب فى الخارج ، ومعنى هذا انه يترتب علينا طرح ١٣٠ ألف جندى من الرقم الأصيل للجيوش النظامية أى النصف لابقائه فى الداخل وقذف النصف الباقى الى الحرب فى الخارج » .

«ويترتب على قيادة القوة المحاربة فى الخارج أن تزن بعين الاعتبار انها لا تملك « احتياطيا » لسد الفراغ الذى تحدثه الحرب فى صفوفها ، وان كل خسارة تلحق بهذا الجيش المحارب سوف لا تسد ، وهذا ما يقلل من وزنه كجيش محارب . وفهم مثل هذا « الوضع » للجيش العربى المحارب حرى بأن يدخل فى وضع خططنا الحربية وأن نبنى خططنا هذه على اخراج وتعطيل أكبر عدد ممكن عن العمل فى صفوف جيش العدو الذى لا يملك استبدال المفقودين من صفوفه بقوات احتياطية ثم الالتحام معه فى معركة فاصلة » .

الدول العربية تخشى احداها الأخرى :

« هذا وان الدول العربية لا تستطيع أن تقذف بالماية وثلاثين ألف جندى لمحاربة الدولة اليهودية دفعة واحدة ، لأن أية دولة منها لا تقدم على تعريض نفسها للخطر بارسال كل قواتها الى الخارج مع عدم وجود قوة احتياطية لديها ، وهى عرضة لوثوب جارتها عليها . فمصر مثلا تهدف الى السيطرة على السودان وليبيا والعالم العربى . والمملكة السعودية تريد أن تضم اليها أراضى اليمن . وتهدف سوريا ولبنان الى منع قيام « سوريا الكبرى » يضاف الى هذا ذلك الخلاف المستحكم بين السعوديين والهاشميين ، وهذا مما يضطر الدول العربية الى تعزيز القوات الاحتياطية فى بلادها فلا ترسل لمحاربة الدولة اليهودية سوى جزء من هذا الاحتياطى البالغ عدده كله ١٣٠ ألف جندى .

« أما ما هو مدى ذلك الجزء الذى سيرسل من الاحتياطى لمحاربة الدولة اليهودية فيمكن تقديره على أساس الاعتبارات التالية » :

« لقد تعهد ابن السعود الذى يملك جيشا عـدته فى أيام السلم ٣٠ ألف جندى أن يرسل الى فلسـطين ٦ آلاف منه أو ما يعادل ٣٠ ٪ من جيوشه الحالية ، فاذا حذت بقية الدول العربية حذوه فان عـدد القوات العربيـة التى ستقذف على الدولة اليهودية تتراوح بين ٤٠ الى ٥٠ ألف جندى . وهذا الرقم لا يشمل المحاربين فقط بل يتناول جميع الأعمال فى الجيش ، فاذا ما طرحنا منه وحدات الخدمات العسكرية الأخرى وجدنا أن عدد المحاربين فيه لا يزيد على ٢٥ الى ٣٠ ألف محارب وهذا الرقم وحده هو الذى يجب اعتباره كقوة عربية محاربة ضد الدولة اليهودية » .

« ولابد لنا من التساؤل هنا عن مدى القوة الحربية العربية المتوفرة بين عرب فلسطين والواقع أن هذا سؤال تصعب الاجابة عليه » .

« من الممكن فى هـذا الصدد استجواب عدد الذين تلقوا التدريب العسكرى خـلال خدمتهم فى الجيش والبوليس أو فى المنظمـات شبه العسكرية . ونجد أن هـذا العدد يصل الى ٣٠ ألف رجل على وجـه التقـدير . كما أن من الصعب معـرفة الذين يرغبون من هـذا العدد الانخراط فى العمليـات الحربيـة . ومهما كان عددهم فان « قيمتهم » محدودة كقوة عسكرية ، وكل ما يمكنهم القيام به حرب العصابات ، ومع ذلك فمن الخطأ التقليل من شأنهم كقوة مساعدة لجيوش الدول العربية فى فلسطين » .

لايمكن الا بمساعدة دولة عظمى :

« ان جميع هذه القوى العسكرية العربية مزودة بالعتاد الى حد يكفيها فى الجولة الأولى فقط من عملياتها . فاذا امتدت الحـرب الى جولات تتطلب وقتا طويلا استهلكت هذه القوات سلاحها وعتادها ووقعت تحت وطأة الحاجة الى السلاح والعتاد ، لأن أى بلد عربى لا تقوم فيه مصانع سلاح وذخائر يمكن أن تمـد تلك القوات العربيـة المحـاربة بحاجاتها الحربية . فكل البلاد العربية تستورد السلاح ولا تصنعه ، ومعنى ذلك أن

أية دولة عربية لا تملك ممكنات شن الحروب الا اذا ضمنت تأييد دولة عظمى لها » .

« واذا كان هناك مجال للحديث عن العتاد المادى المتوفر للدول العربية فمن المشكوك فيه وجود مجال للحديث عن الحالة المعنوية فيها ، فالحالة المعنوية دائمـا هى « الفاصلة » الراجحة فى نيل الأغراض العسكرية . وفى هذا المعنى يقف السؤال التالى .

ما هى الحوافز التى تدفع بالشعب الى الحرب ؟

« وما دام من الصعب جدا فى البلاد العربية تجنيد أكثر من ١٠ آلاف جندى نظامى فى السنة من أصل ٣٠٠ ألف جندى فى سن العسكرية ، فان أصعب من ذلك بكثير تجنيد الشعب لعمل حربى لا يقوم على أساس مصالح هذا الشعب ومن المشكوك فيه امكان اقناع البدو والفلاحين بأن الدولة اليهودية تشكل خطرا عليهم أو اغرائهم على بذل أرواحهم فى الحرب ضد هذه الدولة . ويمكن أن يكون هذا هو شأن الجيوش النظامية العربية أيضا وان تحارب هذه الجيوش وهى تشعر بأنها « مسخرة » فلا تخلص فى حربها الاخلاص الكفيل بالنصر » .

« أن الدراسة العسكرية لحالة خصومنا تدل على أنه فى أخطر الحالات ليس لنا أن تتوقع منهم أكثر من قذفنا بأربع فرق عسكرية يعززها بضعة آلاف من رجال العصابات لا تستطيع شن حرب طويلة الأمد بدون مساعدة من احدى الدول العظمى » .

انتهى مقال الخبير العسكرى اليهودى وقد أرسلناه للوزارة ولم يقرأه أحد .

ساسة العراق

ولم يكن الساسة العراقيون خيرا من ساسة مصر فقد دخل العراق فى الحرب ضد اليهود ، وساسته لا يعلمون شيئا عن استعدادات اليهود ، وكانوا لا يقرأون تقارير تنصلهم العام الشريف حسين ناصر ولا أدل على أن الساسة العراقيين فى هذا الوقت كانوا فى حالة جهل تام باستعدادات

اليهود من أنهم أرسلوا جيشا عراقيا دون أن يكون لديه ذخيرة كافية . ودون أن يكون لديه حتى الخرائط عن جغرافية فلسطين . أقرر هذا لأنى لمسته بنفسى من القصة التالية :

عندما مر الجيش العراقى بالأردن فى طريقه الى فلسطين زار قائد الجيش العراقى ، ولا يحضرنى اسمه الآن ، اللواء عبد القادر الجندى نائب رئيس أركان حرب الجيش الأردنى فى عمان . وكنت أنا والمرحوم عصام حلمى المصرى نزور اللواء عبد القادر الجندى ، فدخل القائد العراقى يرافقه ضابط عراقى آخر ، واستمعنا الى الحديث الذى دار بين القائد العراقى واللواء عبد القادر الجندى . قال الأول للثانى : نريد ذخيرة ، فرد الثانى : ان ما لدى الجيش الأردنى من ذخيرة لا يستطيع الاستغناء عنه . فقال الأول للثانى نريد خرائط ، فتلكأ الثانى فى الرد فقال المرحوم عصام للقائد العراقى أعدكم بأن أقدم لكم الخرائط اللازمة . وفعلا وفى المرحوم عصام بوعده . وهذا يثبت أن ساسة العراق فى ذلك الوقت أرسلوا الى فلسطين جيشا غير مستعد من ناحية الذخيرة وغير مزود بالخرائط .

ولما عسكر الجيش العراقى فى المثلث وهو الأرض الواقعة بين نابلس وطرل كرم وجنين ، وهى أرض عربية محضة لا يسكنها يهودى واحد ، لم يلتحم مع اليهود فى طول المدة التى مكثها فى فلسطين الا فى مرة واحدة. وكان الفلسطينيون يطلبون من قادة الجيش العراقى الهجوم على اليهود فكان العراقيون يردون « ماكو أوامر » أى ليس لديهم أوامر بالهجوم . وقد دخلت كلمة « ماكو » من كثرة ترديد العراقيين لها فى اللغة الفلسطينية الدارجة فى نابلس .

ويقول القائد عبد الله التل فى كتابه « مأساة فلسطين » صفحة ١٨٩ ما يأتى :

« وانتشرت القوات العراقية فى لواء نابلس «المثلث» ، وانتظر العالم العربى المفاجآت التى كان يتوقعها من الجيش العراقى . ولكن الانتظار قد طال دون جدوى . ولم تلبث الحيلة أن انكشفت يوم وطد الجيش

العــراقى أقدامه فى المثلث العربى لأنه منطقــة عربية ولم يتعــد حدود التقسيم . ولم يشتبك مع اليهود فى أية معركة جديدة طوال مدة الحرب فى المرحلة الأولى باستثناء الهجوم المعاكس الذى قام به فوج عــراقى واسترد فيه مدينة جنين التى كان اليهود قد احتلوها فى ١٩٤٨/٦/٢ . وقد كانت تلك المعركة مشرفة للضباط العراقيين وأثبتوا أنهم حينما تتاح لهم الفرصة فأنهم يبلون بلاء حسنا ويؤدون من الأعمال الحربية ما يرفع رأس العرب عاليا » .

على أننا نستشهد على صحة قولنا بشاهد من أهــل العراق نفســه هو الدكتور فاضــــل االجمالى ، فقــد كتب فى صفحتى ٤٧ ، ٤٨ من « ذكريات وعبر » ما يأتى :

عندما تولى الســـيد مزاحم الباججى الوزارة عين الدكتــور فاضل الجمالى وزيرا مفوضا فى وزارة الخارجية وكلفه بالذهاب لمقابلة النقراشى باشا ليعرض عليه مســاعدة الجيش العــراقى للجيش المصرى المحاصر فى الفــالوجا ، وكانت المظاهرات الشعبية فى العــراق تطالب الحكومة العراقية بأن يتحرك الجيش العراقى ويهاجم اليهود لفك الحصــــار عن الفالوجا .

ومر الدكتور الجمالى فى طريقه الى القاهرة بعمان ، وكان معه اللواء أسماعيل صفوت ، وذهب الى مقر القيادة العراقية فى الزرقاء فعلم منها ما يأتى :

١ — ان الجيش العراقى وضع فى الجبهة فى وضعية خطرة للغــاية ففى امكان العدو أن يقطع خط الرجعة وخط المواصلات على الجيش العراقى بكل سهولة وفى أى وقت .

٢ — ان العتاد لدى الجيش العراقى شحيح للغاية ولا يستطيع الجيش أن يحارب بما لديه من العتاد أكثر من يومين .

٣ — ان أى حركة من الجيش العراقى تتطلب غطاء جويا . وهذا غير متيسر لأن الطيارات العراقية ليس لها عتاد » .

ولما قابل الدكتور فاضل الجمالى الملك عبد الله قال جلالته له انه عين قائدا عاما للجيوش العربية ولكنه لا يعرف عنها شـيئا . وشكا من قلة العتاد عند الجيش الأردنى ومن أن السلطات المصرية استولت على عتاد كان مرسلا الى الجيش الأردنى .

لقد شهد شاهد من أهل العراق ، كان يشغل مركزا كبيرا هو الدكتور فاضل الجمالى على صحة ما سمعناه من قائد الجيش العراقى فى فلسطين فى حديثه مع اللواء عبد القادر الجندى نائب رئيس أركان حرب الجيش الأردنى الذى طلب فيه القائد العراقى من اللواء عبد القادر الجندى ذخيرة وعتـادا .

واذا علمنا أن الجيش العراقى لم يلتحم مع اليهود الا فى معركة لم تدم أكثر من نصف يوم ثم نظرنا الى ما ذكره الدكتور الجمـالى من أنه لم يكن لدى الجيش العراقى عتاد يسمح له بالحرب أكثر من يومين خرجنا من ذلك بنتيجة لا خطأ فيها ولا يمكن أن نخرج بغـيرها ، وتلك هى أن الساسة العراقيين لم يستشيروا العسكريين عما اذا كان الجيش العراقى يستطيع أن يحارب ، اللهم الا اذا كانت نيتهم مبيتة على أن يدخل الجيش العراقى فلسطين ويقف موقف المتفرج من المعارك بين العرب واليهود .

ساسة سوريا ولبنان :

أما الساسة السوريون فقد كان جيشهم حديث العهد وكان من واجبهم أن يقدروا حاله فلا يدخلون فى مزايدات وهم يعلمون أنهم لن يستطيعوا أن يقوموا بأداء ما تقتضيه هذه المزايدات من ثمن .

وأما فى لبنان فكان المرحوم رياض الصلح رئيسا للوزارة وكان موقفه عجيبا حقا . لم يكن للبنان جيش ، وانما كان لها قوة بوليس تحافظ على الأمن فيها . ولكن رياض الصلح رئيس وزرائها كان من أكبر المتحمسين للدخول فى الحرب . ولما انتهت مدة الهـدنة الأولى كان أول الداعـين لاستئناف القتال . والواقع انه لولا الحاح المرحوم رياض الصلح لاستئناف

القتال لما استأنفت الدول العربية الحرب بعد انتهاء مدة الهدنة بل لقبلت امتـــدادها .

وقال الملك عبد الله فى صفحة ٢٩ من تكملة مذكـــراته عن القـــوات السورية واللبنانية ما يأتى « فكان ما كان من توقف القوات السورية فى نواحى سمخ ، ثم فى الخذلان الذى أصاب موقف تلك القوات فى صفد والناصرة . أما القوات اللبنانية فلم تبد أية فاعلية سوى الدفاع مع ضياع قرى لبنانية من أصل لبنان » .

فكيف ـــ والحال كما ذكر عن الجيش السورى واللبنانى ـــ يسمح ساسة هذين البلدين لأنفسهم أن يطلبوا استئناف القتال ؟

ولا بد لنا ونحن فى صدد الكلام عن المرحوم رياض الصلح من أن نثبت هنا النص الكامل للمذكرة التى كتبها فى ١٩٤٨/٨/١٤ بعد اجتماعه بالملك عبد الله فى عمان يوم ١٩٤٨/٨/٤ وأرسلها الى الســـيد مزاحم الباجچى رئيس وزراء العراق والى الأستاذ عبد الرحمن عزام الأمين العام السابق لجامعة الدول العربيـــة . ففى هذه المذكرة تبين بوضـــوح آراء المرحوم رياض الصلح .

نص مذكرة المرحوم رياض الصلح كما نشرتها الصحف :

« طلب الى جلالة الملك عبد الله أن أقابله فى عمان وكرر الطلب وأراد أن يكون هـــذا الاجتماع قبل العيد . فرأيت من واجبى ان ألبى رغبته ، وذهبت الى عمان يوم الأربعاء فى ٤ آب (أغسطس) سنة ١٩٤٨ واجتمعت اليه اجتماعا طويلا لم يحضره غير دولة توفيق ابو الهدى رئيس وزراء شرق الأردن . الذى كان خلال الاجتماع حكيما كعادته موفور الكياسة واللياقة كعهده دائما . فدار الحديث أولا حول تقصير الجامعـــة العربية نحو مملكة شرق الاردن وعدم برها بوعدها لجلالته بدفع ما كانت قررت دفعه لتجنيد جنود يقاتلون الى جانب الجيش الأردنى ولابتياع أسلحة . وطلب الى بهذه المناسبة ان اسهل له أيصال اسلحة تعاقد مع بعضهم على

ابتياعها . وشكا جلالته شكاية مرة من استيلاء مصر على الذخيرة التى كانت واردة اليه على احدى البواخر أثناء مرورها بالميـاه المصرية . وقد اجبت جلالته قائلا اننى احد الموقعين على القرار المعهود بدفع المبلغ الذى عين له وان تنفيذ ذلك القرار علق على شرطين رئيسين هما : أولا ـ عدم دفع البريطانيين للاعانة المعلومة . ثانيـا ـ متابعة القتـال . وقلت : ان هذين الشرطين لم يتحققا ، ومع ذلك فانا على اسـتعداد لمعاونة جلالته لدى الجامعة اذا ما تحققت انه ينوى استئناف القتال . واضفت الى ذلك قائلا ان الصراحة قد أصبحت ضرورية جدا . فان سمعة الملك عبـد الله قد تأثرت كثيرا عند وقف القتـال . وذكرت له ان ممثلى شرق الأردن أبلغونا قبل قرار مجلس الأمن وعند الاجتماع فى عاليـة ان شرق الأردن لا يمكنه أن يرفض قرار هذا المجلس حتى ولو رفضته جميع الدول العربية .

الضباط الانجليز :

ثم قلت له انه أفضل لجلالته ان كان لايمكنه استئناف القتال واخراج الضباط الانكليز من جيشه ان يصارح البلاد العربية بذلك تمام المصارحة ومصارحتها بذلك اكرم له وافضل بكثير واحفظ للمصلحة من ان تبقى الحالة الحاضرة كما هى من الابهام والغموض . وان الدول العربية عنـد ذلك تقيم حسابها على أساس آخر فتخرج منه شرق الأردن . وان شاءت ان تستأنف القتال استأنفته على هذا الأساس اما اذا بقيت هذه الحالة وبقى هذا الابهام وعدنا الى عدم المصارحة ، فان مسؤولية جلالته تكون اخطر كثيرا . وقد عدت فألححت كثيرا على جلالته أن يكون جوابه لى قاطعـا فاصلا وان لا يترك فى ما يقوله لى احتمالا لأى شك أو تأويل .

جواب الملك عبد الله :

وقد اجابنى جلالته بان شرق الاردن لا يمكنه استئناف القتال الا اذا اخرجت الامة العربية جميع قواها والقت ثقلها كله فى الميدان ، وانه لا يمكنه اخراج القواد الانكليز من جيشه . وحجته فى عـدم استئناف

القتال ان ذلك يحتاج الى أسلحة وذخيرة واستعداد كاف . وأما فى عدم اخراج اولئك الضباط فقد اورد لى عدة حجج اولها انه لم يلحظ عليهم أية خيانة والثانية أنه لايمكنه تغيير سرج فرسه اثناء المعركة والثالثة أنه ليس بين ضباط جيشه العرب من له الكفاءة ليحل محل اولئك الضباط الانكليز . وهناك حجة رابعة لها مغزاها أوردها جلالته وهى انه حريص على ان يظل الروح العسكرى سائدا فى جيشه فان تبديل الضباط الانكليز بضغط التذمر الذى ابدى ضدهم والنقد الذى وجه اليهم يفسد ذلك الروح ، وهو لا يريد ان يجعل جيش شرق الاردن كجيش العراق يتدخل فى الشؤون السياسية واذا انتفض اليوم على ضباطه الانكليز فانه غدا ينتقض على الملك عبد الله نفسه .

مثل بكر صدقى :

وقد ضرب جلالته كمثل على هذا بكر صدقى فى العراق وألمع بعد ذلك الى ظروف شرقى الاردن السياسية وارتباطاتها الخارجية المعلومة وبعد هذا سألت جلالته الا يمكن تسليم جيشه برمته الى الجيش العراقى فيتولى كل شؤونه كأنه جزء من جيش العراق . فأجاب جلالته بأن سمو الوصى كان قد عرض عليه هذا العرض ولكنه لم ير تحقيق ذلك الاقتراح ممكنا لأسباب عديدة . ولقد بلغنى بعد أن غادرت شرق الأردن انه يفكر فى هذا الموضوع ولكنى أرى ان التطبيق العملى لهذا المشروع صعب المنال .

كان الملك مضطرا :

وبعد فلقد خرجت من تلك المقابلة وبعد ما سمعت من احاديث جلالته وانا مقتنع تمام الاقتناع ان شرقى الاردن لا يمكن ان يستأنف القتال وان يشترك مع بقية الدول العربية اذا هى أقدمت على عمل مثل هذا . وانى انصافا للحقيقة أقول اننى لم أشعر أن جلالة الملك عبد الله يقدم على هذه الخطة وهو راغب فيها ، ولكنه يتصرف تصرف الرجل المضطر الذى ليس

فى يده حياة أكثر مما فيها . فانى لا أعتقد انه من الطبيعى والمعقـول ان الرجل الذى بلغ فى خلال أسابيع من السمعة الطيبة فى جميع البلاد العربية ما بلغه جلالته يهون عليه أن يخسر ذلك ويضيعه عن رضى ، أما وهذا هو حال شرقى الأردن فعلى الحكومات العربية أن تضع سياسة جديدة على ضوء هذه الحقيقة وأن تعيد النظر فى حساب قواتها وفى تنظيم خططها .

الفائدة من جلاء الحقيقة :

ان فى موقف شرق الاردن هذا بقطع النظر عن اسبابه ما يؤلم الأمة العربية اشد الالم . ولكن فى جلاء هذه الحقيقة بعض العزاء فى نظرى لانه يفسح المجال لمعرفة قوانا الحقيقية التى يمكننا الاعتماد عليهـا كل الاعتماد ، ويخرجنا من حالة الشك الخطرة التى مررنا فيها من قبل .

سيستانف العرب القتال :

وفى اعتقادى ان البلاد العربية عائدة حتما الى استئناف القتال ، بل قد يكون ذلك أقرب مما تتوقع لأسباب عديدة . واذا لم تكن العودة بارادتنا ، فقد تقع بارادة اليهود أنفسهم ، وهم الذين تشجعهم أوضاعنا المختلفة وتأييدات الدول ، وتدفعهم مطامعهم وغرورهم الى عدم التوقف عنـد حـد .

السرعة بالقتال افضل :

ان مرابطة الجيوش العربية فى مواقعها بفلسطين ، بل موالاة العراق ارسال العـدد والنجدات لقواته ، حكم لا يقبل الشك بان القتال واقع حتما . وما دام الأمر سيقع فالأفضل أن يكون بأسرع ما يمكن .

تلك هى ارادة الشعوب العربية ، وذلك هو حكم المصلحة العربية . فان التأخير يفيد اليهود ، كما ان الهدنة أصلا تفيدهم أكثر مما تفيد العرب . ثم ان أخشى ما أخشاه أن تستولى على الأمة العربية اذا خـذلها حكامها بعدم استئناف القتال ، ما استولى على أهل فلسطين أنفسهم من

روح التخاذل والانهزام وعدم الثقة بالنفس ، وهو شر مايصيب الشعوب من ضروب الضعف والوهن .

ضعف اليهود :

« ومن المؤسف حقا أن يكون الوضع الحربى عند وقف القتال قد أظهر الأمور على غير حقيقتها ، فان بعض الحوادث التى وقعت بسوء التدبير أو لأسباب أخرى قد أظهرت العرب بحالة من الضعف ليست صحيحة كما أظهرت اليهود بحالة قوة ليست حقيقية أيضا . ولقد كان وما يزال من الخطأ المبالغة فى قوة اليهود . واليوم هم أضعف مما يظن الكثيرون منا ، ليس من الناحية العسكرية فحسب ، بل من الناحية الاقتصادية ، ومن عدة نواح أخرى أيضا ، وانى أقول هذا بناء على المعلومات التى تردنا عن أحوال اليهود الداخلية من مختلف المصادر .

الالتحامات المحدودة :

« هذا فضلا عن أن القوى العربية لم تلتحم الا التحاما محدودا فى القتال ضد قوى اليهود ، كما انه لوحظ أيضا أن شكوانا اجمالا من قلة العتاد كانت لا تخلو من مبالغة ، على أن الحرب لا يجب أن تعنى الهجوم الخاطف ومحو العدو والاستيلاء على معقله حالا ، ولكن الحرب تؤدى الى تحقيق أغراض العرب لمجرد وقوعها واستمرارها وان طالت شيئا من الزمن دون أن تعرضها لمخاطر كبيرة ، ودون أن تكلفها خسائر ضخمة فى النفوس أو العتاد . خصوصا ان الجيش العراقى فى مواقعه الحاضرة أصبح بصونة من المفاجآت والأخطار .

الحجة لاستئناف القتال :

وأما الحجة لاستئناف القتال فلن نعدمها ، وهؤلاء هم اليهود يقدمون لنا كل يوم بخرقهم الهدنة حجة جديدة وسببا مبررا لاستئنافه ، وانى لا أستبعد أن نفاجأ فى يوم قريب بحدث يعرض القدس للخطر والضياع ألفت اليه نظركم منذ الآن .

الوضع السياسى العربى :

كما أنى أرى وضعنا السياسى اليوم قد أصبح أفضل مما كان عليه قبل الهدنة ، وقد أفادتنا قضية اللاجئين من هذه الناحية ، فانكم تعلمون أن قضايا اللاجئين المشابهة فى أوربا قد أوجدت استعدادا فى العالم للتحسس بمثل هذه الأمور وقد بنى اليهود حتى اليوم جانبا من قضيتهم على مسألة المشردين . واستدروا عطف العالم على قضيتهم عن هذا السبيل . وبوسعنا استغلال هذه الحالة استغلالا كبيرا اذا أحسنا العمل فيها وأحكمنا عرضها على أنظار العالم ، وقد بدأنا نحن نشعر بشىء من العطف فى بعض الأوساط الدولية يمكن أن يعتبر مشجعا .

علينا أن نسد الثغرة :

انه من البديهى أن أول ما علينا القيام به استعدادا لاستئناف القتال سريعا هو سد الثغرة التى تحدث بانسحاب شرق الأردن من الميدان تحت الضغط السياسى الواقع عليه .

لماذا اوقف القتال :

ان وقف القتال هذه المرة لم يكن كما تعلمون فى الحقيقة خوفا من مجلس الأمن وعقوباته ، ولم يكن كذلك خوفا من تسلح اليهود ، فهم يتسلحون سرا وعلنا قبل الهدنة وبعدها ، وفى حالة الخطر أو رفعه ، ولكن وقف القتال كان لأن حكومة شرق الأردن أعلنت قبيل قرار مجلس الأمن انه لا يمكنها متابعة القتال لعدم وجود عتاد لديها (ولا أعتقد ان اعادة جميع العتاد الذى استولت عليه مصر الى شرق الأردن يمكن أن تعيد شرق الأردن الى القتال) وقد أعلنت القيادة العراقية عندئذ أن الجيش العراقى فى حالة انسحاب الجيش الأردنى ينسحب هو أيضا من الميدان دون ريب . ولما بلغ هذا الحكومة المصرية أثار قلقها الشديد ، فبادرت الى ايفاد معالى عزام باشا لعمان لعله يتدارك الأمر .

الأمير عبد الله يساعد :

وقد اجتمعنا هناك وناقشنا الموضوع من جميع نواحيه ، واجتمعنا بحضرة صاحب السمو الملكي الوصي قبل مغادرتنا عمان ، ثم بذلنا الجهد لاقناع القيادة العراقية بأن تبذل ما في وسعها لاستعادة اللد والرملة ، وقد ساعدنا سمو الوصي كثيرا في هذا الموضوع ، حتى انه وعـد حفظه الله بالذهاب الى الجبهة لعله يتوصل الى تحقيق هذا الغرض الخطير . وأظن انه نقل اليكم اصرار القائدين نور الدين باشا محمـود وصالح صائب باشا على عدم الاستمرار في القتال ، وكان ذلك بحضور سمو الوصي ، كما نقل اليكم اصرار القائد صائب باشا في حضرة جلالة الملك عبد الله على عدم القتال ، ونصيحته بقبول الهدنة بسبب الحالة التى نشأت عن موقف شرق الأردن . وعلى هذا لم يتم شيء لاسترداد الرملة واللد كما تعلمون .

القرار اتخذ فى عمان :

والمهم ان ايقـاف القتـال فى المـرة الأخيرة تقرر أمره اذن فى تلك الاجتماعات فى عمان ، ولم يكن قرارنا فى عالية الا النتيجة الطبيعية لما استقر عليه الأمر فى عمان .

تأثر ملك مصر :

ولقد بلغنى أن حكومة مصر كانت متأثرة بهـذا الوضـع عنـدما أعلنت قبولها لقرار مجلس الأمن ، وان جلالة ملك مصر تلقى بتأثر شديد نبأ موقف شرق الأردن والمحضر الذى وضع فى عمان حول هذا الموضوع ، ولم يكن يكفى يومئـذ أن نقول عن ممثلى العراق وسوريا ولبنان اننا نرفض وقف القتال لنستمر فيه جميعا ، بينما كان يكفى أن يعلن مندوب شرق الأردن انه لن يرفض قرار مجلس الأمن لكى نضطر للتوقف جميعا ، ذلك أن وقف القتال يكون معلقا على قرار دولة من الدول .

ما بذلته مصر :

وكنت أتمنى لو لم يعلن بعد هـذا عندكم أن العـراق رفض قرار مجلس الأمن ، وان يكن ميـالا فى أثناء المناقشات ميلا صريحا الي عدم

القبول كما كان ميلى وميل جميل بك مردم وعزام باشا . ولم يخف عليكم ما كان لهذا الاعلان من أثر غير مستحب فى مصر اذ أظهرها بمظهر المنفردة فى ارادة الكف عن القتال وصورها بصورة المتوانية المتخاذلة دون سواها من شقيقاتها أعضاء الجامعة . والحقيقة انها لم تكن هى السبب فى قبول قرار وقف القتال . وهذا فضلا عن ان العبرة فى القرارات نفسها لا بالمناقشات التى تسبقها . وأما الأثر الذى تركته هذه الأمور فى مصر فشديد عميق على ما عرف ، وأنتم أدرى بما بذلته مصر سلما وحربا فى سبيل فلسطين ، وأنتم أعلم باخلاصها وتجردها لما بذلت ، كما انكم تعلمون أهمية نصيبها فى هذا الجهاد فى الماضى والمستقبل ، وخطورة منزلتها فى كل ما تباشره الجامعة من الشئون العربية القومية المشتركة الشاملة ، وما لجلالة مليكها من مكانة عظيمة وضعها فى خدمة هذه الشئون .

ولقد كان بامكانى أن أتبع أثر العراق لأنى لم أقبل وقف القتال الا بعد غيرى ، ولكنى أردت أن لا تبقى مصر منفردة فى هذا المظهر الذى خالف حقيقة الواقع المسطورة .

لامناص من القتال :

والآن بعد ما ذكر عن موقف شرق الأردن والوضع العسكرى بفلسطين وحالة الأمة العربية . أعود فأقول مرة ثانية انه لا مناص من القتال ان لم يكن الا لاسترداد ما استولى عليه اليهود فى مرحلة القتال الثانية ، والا لمجابهة الموقف المقبل ونحن أكثر تضامنا وأكثر قوة فى الواقع . وبعد أن أبدى العراق عرشا وحكومة وشعبا من الحماسة البالغة ومن التصميم على استمرار الجهاد فى سبيل انقاذ فلسطين ما يثلج صدر كل عربى .

توحيد القيادة :

لابد من أن يكون للعراق خطة محكمة وتدابير تهيأ بدقة . ولأجل تحقيق هذا يهمنا أن نقف عليهما ليدرك كل منا قسطه ونصيبه فى المرحلة

المقبلة القريبة . كما انه لا بد من توحيـد القيادة وقد زال السبب الذى كان يحول دون تحقيقها توحيدا صحيحا كاملا ، بحيث توضـع جميـع الجيوش والأسلحة والأعتدة ، فضلا عن الخطط ، تحت امرة قائد واحد يتصرف فيها حسبما ترى القيادة وحسب ماتقضى غاية تأمين الظفر للعرب .

المفتاح بيد العراق :

واسمحوا لى أن أقـول لكم ان مفتـاح القضية أصبح الآن فى يد العراق بعد أن كان فى بدء القتال فى يد شرق الأردن وبعد أن انتقل منها الى يد مصر عند قبولنا الهدنة الأولى فى اجتماع اللجنة السياسية بعمان . وانى أرى أن الخطوة الأولى هى ما ذكرته من تبادل الرأى والمعلومات بيننا وبين العراق وبعدئذ نخابر مصر ، ثم نجتمع ونبحث ، وأما قبل ذلك فلا أرى من داع يستحق دعوة اللجنة السياسية للاجتماع .

كيف تسد الثغرة :

وأما الثغرة التى يتركها شرق الأردن بانسحابه فأولى من يسـدها العراق لأسباب عديدة فأولا بالنظر الى الصلات الخاصة التى بين المملكتين يكون أيسر عليهما أن يأخذ الواحد منهما عن الآخر ما كان على عاتقـه وأن يحل محله ، وثانيا أن الوضع العسكرى قد جعل طريق العراق الى فلسطين شرق الأردن وهو مركز تموينه ومواصلاته مع ميادين القتال .

نية الملك عبد الله :

على أنه من الضرورى على كل حال أن تبقى جيوش شرقى الأردن مرابطة فى مراكزها للدفاع مع خروجها من الميدان كقوة مهاجمة ، وتلك هى نية الملك عبد الله فانه عندما كان يطلب أن يحصل على السلاح والعتاد واعترض بأنه لا حاجة به الى ذلك لأنه لم يستأنف القتـال أجاب بأنه لا بد له من الدفاع ، فان اليهود لا يبعد أن يتقدموا من احدى الثغرات يفتحونها لاقتحام شرق الأردن . وكان دائما هدفا لهم يريدون الاستيلاء عليه . وثالثـا لن يكون مطمئنا ليستأنف القتـال الا بتوليه سد الثغرة

بنفسه وبقوات تتألف تحت اشرافه واشراف الجامعة من مناضلين فلسطينيين وأردنيين كما سبق أن حدث فى جنين ، ويكون العراق قد حصل أيضا على الاطمئنان التام ، فضلا عن أن جيشه أقدر الجيوش على هذا العمل . على أنه يخيل الى أن هذا الأمر يحتاج الى الاحتياطات الدقيقة حتى يتم باحكام ، كما أنه يجب أن يتم بروح من الألفة والمودة المطلقة لأن وجود غير مقاتلين الى جانب جنود مقاتلين أمر يحتاج الى كثير من الدقة وحكمتكم كفيلة بمثل هذا الأمر .

هذا ما رأيت أن أكتبه اليكم بعد مقابلتى لجلالة الملك عبد الله فى الموضوع الذى يتوقف عليه لا مصير فلسطين فحسب ، بل مصير العرب جميعا ، والذى هو بلا ريب شغلكم الشاغل ، رأيت أن أضمنه رأيى الشخصى فيه . وأخاطبكم فيه بتمام الكتمان . وقد كتبت اليكم ما كتبت وأنا سعيد بأن يكون على رأس الحكم فى العراق رجل يقدر هذه الشئون حق قدرها ، ويوفيها حقها من الاهتمام ، كما انى سعيد بأنكم تسترشدون بالروح الوطنية العالية والحكمة الكاملة ، وصفات الاقدام والعزم التى تحلى بها سمو الوصى المعظم ، والتى تجلت بأجلى مظاهرها ، وانى أنتظر ردكم السريع لتبادر كل حكومة الى اتخاذ التدابير والخطوات المناسبة . وفقكم الله وألهمنا جميعا بما فيه خير الأمة العربية وفلاحها والسلام عليكم » .

انتهت مذكرة المرحوم رياض الصلح .

ان مذكرة المرحوم رياض الصلح تدل دلالة قاطعة على أن ساسة الدول العربية الذين كان لهم نصيب فى توجيه القضية الفلسطينية فى سنة ١٩٤٨ كانوا فى حالة جهل تام بحقيقة الجيوش العربية التى تحارب ، والتى كان يطلب منها تحقيق أمور لا تستطيع تلك الجيوش أن تحققها .

يقول المرحوم رياض الصلح فى مذكرته التى كتبها فى أغسطس سنة ١٩٤٨ أن مرابطة الجيوش العربية فى مواقعها فى فلسطين ، بل موالاة

العراق ارسال العدد والنجدات لقواته حكم لا يقبل الشك بأن القتال واقع حتما ، وما دام الأمر سيقع فالأفضل أن يكون بأسرع ما يمكن . وهذا القول يهدمه قول الدكتور فاضل الجمالى الذى كتب فى كتــابه . ذكريات وعبر . أنه عندما اجتمع مع القادة العراقيين فى الزرقاء وتحدث معهم فى شأن مساعدة الجيش العراقى للجيش المصرى ، علم منهــم أن الجيش العراقى لا يملك عتادا يحارب به لأكثر من يومين . واجتمــاع الدكتور فاضل الجمالى حدث بعد أن كتب المرحوم رياض الصلح مذكرته بشهرين أو أكثر . فمن أين علم المرحوم رياض الصلح أن العراق والى ارسال العدد والنجدات لقواته فى فلسطين ؟؟ لا شك أن ما جاء فى مذكرة المرحوم رياض الصلح عن موالاة العراق بارسال العدد والنجــدات الى قواته لا يستند الى أساس مطلقا ، ويتناقض تماما مع الواقع الذى أثبته الدكتور فاضل الجمالى فى كتابه .

ويقول المرحوم رياض الصــلح انه ليس صحيحا أن اليهود أقوى من العــرب ، بل ان اليهود أضعف من العــرب من الناحيــة العســكرية والاقتصادية ، ومن عدة نواح أخرى . وانه يقول هــذا القول بناء على المعلومات التى ترد اليه عن أحوال اليهود الداخلية من مختلف المصادر . وهــذا قول يعوزه الدليــل ، ويتناقض مع المعلومات الصحيحة . وأى معلومات أصح من المعلومات التى يدلى بهــا قادة الجيوش العربية التى تحارب فى فلسطين ؟ ان القائدين العراقيين نور الدين باشا وصالح صائب باشا اصرا امام الوصى على عرش العراق على عدم استئناف القتال ، وهما أدرى بحالة الجيش العراقى من المصادر التى استقى منها المرحوم رياض الصــلح معلوماته عن حالة ذلك الجيش . فكيف يقول المرحوم رياض الصلح بعد ذلك بان المعلومات التى لديه تدل على أن العرب أقوى من اليهود ؟

ويقول المرحوم رياض الصــلح انه يجب العمل على سد الثغرة التى تحدث بخروج الجيش العربى الاردنى من الميدان ، وان سد هذه الثغرة

يقع على العراق ، فى حين أن القائدين العراقيين يقولان لايجوز استئناف القتال !!

لقد كان المنطق يقضى أن تساهم لبنان فى سد الثغرة والا فلا معنى لأن يطالب رئيس حكومة لبنان باستئناف القتال ثم يلقى عبء القتال على غير بلده .

***

خامسا ـ عدم اخلاص الدول العربية بعضها لبعض :

يقول الاستاذ فتحى رضوان فى كتابه « مع الانسان فى الحرب والسلم » (ص ٥٠٧) .

« قامت الحرب فعلا فى الخامس عشر من مايو سنة ١٩٤٨ ، اذ دخلت الدول العربية بجيوشها الى فلسطين ، فى ظل سحب متكاثفة من التآمر والخديعة ، وفى ظل حكومات عربية تخضع للنفوذ الأجنبى راضية ، أو تخضع له كارهة ، ولكنها لاتستطيع فى الحالتين ، أن تستقل عنه ، أو تنجو من أثره » .

وهذا هو ما حدث فعلا .

فكانت كل دولة عربية تخفى عن شقيقاتها حالتها من ضعف أو قوة . وكانت كلها تتظاهر بان هدفها الوحيد هو تحرير فلسطين واستقلالها ، مع أن الواقع كان غير ذلك . وقد تقدم القول ان الأردن والعراق كانا يرميان الى ضم الجزء العربى من فلسطين الى شرقى الأردن .

كذلك تقدم القول بأن الملك عبد الله وهو القائد الأعلى للجيوش العربية لم يستطع أن يزور أى جبهة الا الجبهة التى يحارب فيها جيشه . وقد أبدت الدول العربية الأخرى أسبابا مختلفة لمنع الزيارة . ولكن الحقيقة هى انعدام الثقة وانعدام الاخلاص .

وأمثلة الخداع كثيرة نذكر منها خديعة ساسة العراق فى سنة ١٩٤٨ للبلاد العربية بارسالهم جيشا غير كامل العدد ومجردا من الأسلحة

والعتاد ، بل حتى خرائط فلسطين لم تكن بين يديه . أنه لم يحارب بل أقام فى أرض عربية محضة .

وأى خديعة أكبر من الخديعة التى قام بها السيد / مزاحم الباججى الذى كان يزعم دائما أنه صديق مصر ، وكان يرأس حكومة العراق وقت أن وجه اليهود كل قواهم ضد الجيش المصرى ، بعد أن اطمأنوا الى جمود الجيش العراقى والجيش العربى الأردنى . لقد قص هذه الخديعة الدكتور فاضل الجمالى فى كتابه « ذكريات وعبر » . وهو بالطبع قصها فى كتابه ليثبت بها ان ساسة العراق فى ذلك الوقت كانوا يرغبون فى مساعدة الجيش المصرى الذى يواجه بمفرده قوة اليهود . ولكن القصة تبين أن المسألة لم تكن الا كلاما معسولا لا أثر له فى الحقيقة .

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

ولقد سبق أن أشرنا الى هذه القصة فى صفحة ١٢٩ من هذا الكتاب ، تلك القصة التى يقول فيها الدكتور فاضل الجمالى ان السيد / مزاحم الباججى أرسله الى مصر ليقابل النقراشى باشا ويعرض عليه مساعدة الجيش العراقى للجيش المصرى المحاصر .

ونحن نتساءل هل كان هناك ضرورة الى ايفاد الدكتور فاضل الجمالى، كى يتحدث الى النقراشى باشا فى مساعدة الجيش العراقى للجيش المصرى المحاصر ؟ ان تقديم المساعدة لايحتاج الى اجراء مفاوضة . ولو كان ساسة العراق فى ذلك الوقت جادين فى تقديم المساعدة لأصدروا الأمر للجيش العراقى بالهجوم على اليهود فورا .

لقد دخلت الجيوش العربية فلسطين على أن تحارب ، لا لتقف جامدة لا تتحرك فى القسم الذى خصص لعرب فلسطين طبقا لقرار التقسيم . فاذا اطمأن اليهود الى أن بعض الجيوش لن تتحرك ، ووجهوا كل قوتهم الى جيش بعينه ، فهى الخيانة من الجيوش الواقفة .

ان ايفاد الدكتور فاضل الجمالى الى القاهرة لم يكن الا خديعة اريد بهــا تسكين الشــعب العراقى ضد حكومتــه فى ذلك الوقت ، ذلك الشــعب العظيم الذى كان يطالب حكومته بأن تأمــر الجيش العراقى بالتحرك والهجوم على اليهود فيخف الضغط على الجيش المصرى .
وخديعة أخرى جاد بها السيد / مزاحم الباججى على البلاد العربيــة ، وتلك هى موقفه من حكومة عموم فلسطين . فلقد كان سيادته فى القاهرة وقت انشاء هــذه الحكومة . فكان يدلى بتصريحات للصحف المصرية تفيد أن حكومته ستعترف بحكومة عموم فلســطين ، وفى الوقت نفسه كان يرسل برقيات رمزية الى وزير العراق المفوض فى عمان يخبره فيها أن يرد على استفســار الملك عبــد الله عما نشر فى الصحف المصرية ، وان يقول لجلالته ان الحكومة العراقية لن تعترف بحكومة عموم فلسطين .
فالسيد مزاحم الباججى يعلن فى مصر شيئا هو أن حكومتــه ستعترف بحكومة عموم فلسطين ، ولكنه يضمر شيئا آخر هو عدم الاعتراف بها .
واذا لم يكن هذا خداعا فما هو الخداع اذن ؟ وسنعود الى هذه الخديعة عند الكلام على حكومة عموم فلسطين .

وخديعة ثالثــة قدمتها حكومة مزاحم الباججى قصها المرحوم رياض الصلح فى مذكرته التى أثبتنا نصها سابقا . فقد قال المرحوم رياض الصلح فى مذكرته التى أرسلها الى مزاحم الباججى ما يأتى :

« وأظن أنه (أى الوصى على عرش العــراق) نقــل اليكم اصرار القائدين نور الدين باشا محمود وصالح صائب باشا على عدم الاستمرار فى القتال ، وكان ذلك بحضور سمو الوصى ، كمــا نقــل اليكم اصرار القائد صائب باشا فى حضرة صاحب الجلالة الملك عبــد الله على عــدم القتال ، ونصيحته بقبول الهدنة ...

« وكنت اتمنى لو لم يعلن بعد هــذا عندكم ان العراق رفض قرار مجلس الأمن » .

فحكومة الباجچى أعلنت لشعبها أنها ترفض قبول الهدنة وهى تعلم تمام العلم أنها لا تستطيع أن تستمر فى الحرب ؟ فاذا لم يكن هذا خداعا فما هو الخداع اذن ؟

ان الاخلاص يقضى أن يكون الساسة العرب صريحين فى كل قول وقرار وعمل يتخذونه ، ولكن ذلك لم يحدث . وقد كتبت فى ١٢ ابريل سنة ١٩٤٨ للوزارة ما يأتى :

« عاد الدكتور حسين فخرى الخالدى أمين عام سر الهيئة العربية العليا من دمشق . وقد زارنى أمس وتحدثنا عن قضية فلسطين . فقال لى انه لاحظ وهو فى دمشق أن خطط الجامعة العربية لا تسير سيرها المرجو ، وانه رأى جميع الشخصيات تشكو من الحالة . فرئيس الجمهورية يشكو وجميل مردم يشكو وطه الهاشمى يشكو واسماعيل صفوت يشكو ومفتى فلسطين يشكو ، وأضاف الدكتور الخالدى أن الدسائس تلعب مع الأسف دورها ، وقال : يظهر أن الملك عبد الله بدأ يلعب لعبته » .

« ومنذ بضعة أيام تحدث معى قنصل سوريا فى القدس وقال انه بدأ يشك فى حسن نوايا بعض القادة . فجيش التحرير لم يفعل شيئا بالرغم من حشد بضعة آلاف فى المثلث بين نابلس وجنين وطولكرم . وقد تركت القدس دون أى دفاع ، واذا خرج الانجليز منها فان اليهود سيسيطرون عليها فى بضع ساعات . وكان حديثه معى قبل حديث الدكتور حسين فخرى الخالدى .

« وان حديث الدكتور الخالدى معى أخيرا وما ذكره لى من وقائع كزيارة فوزى القاوقجى للملك عبد الله ، ومعارضة رئيس جمهورية سوريا لهذه الزيارة ، جعلنى أميل الى الاعتقاد بأن فى الأمر شيئا مبيتا » .

ولنقف قليلا أمام موضوع زيارة فوزى القاوقجى للملك عبد الله التى كان يعارض فيها رئيس جمهورية سوريا . لماذا يعارض فيها رئيس

جمهورية سوريا ؟ انهـا زيارة فى ظاهرها بريئة ، زيارة من قائد أحـد الجيوش المحاربة للقائد الأعلى لهذه الجيوش . انها زيارة واجبة ، وقيام القاوقجى بها أمر يشـكر عليه ، ولا يجوز أن يكون محلا لعدم الرضا .

تكلمنا عن الخداع والآن نتكلم عن التآمر .

فى ٢٨ يوليه سنة ١٩٤٨ أى قبل أن يلقى اليهود بجيوشهم كلهـا فى الجبهة المصرية بأكثر من شهرين كتبت للوزارة أنبهها الى المؤامرة التى ستقوم بها بريطانيا بمساعدة ضباطها فى الجيش الأردنى ضـد الجيش المصرى . وقلت فى خطابى تحت عنوان « الهاجانا فى الجبهـة المصرية » ما يأتى :

« أبدينا فى احدى المناسبات قبل دخول الجيـوش النظامية للدول العربية فى فلسطين رأيا يتضمن أن الانجليز سيساعدون الهاجانا فى الجبهة التى يعمل فيها الجيش المصرى .

« وقد دخـل الجيش المصرى فى فلسـطين . وقيل ان الانجليز لم يمتنعوا من أن يبيعوا لمصر بعض الأسلحة والذخيرة ، وهو ما يدل على رغبتهم فى مساعدة مصر ، وعلى خطأ رأينا الذى أسلفنا الاشارة اليه .

« غير أن تصرفات الجيش الأردنى ذى القيادة الانجليزية وما أدلى به جلوب باشا للصحفيين الأجانب يبين بجلاء ما كان يبيته الانجليز للجيش المصرى . فانسحاب الجيش الأردنى من منطقة اللد والرملة سمح لليهود بتحويل معظم قواتهم الى جبهة الجيش المصرى . وفى ذلك ما يغنى عن كل ايضـاح » .

انها مؤامرة من انجلترا ضد مصر اشترك معها فيها الجيش العربى الأردنى الذى انسحب بأمر الانجليز من منطقة اللد والرملة ليخلى الطريق للقوات اليهودية بالتحول بكامل عددها وعدتها تجاه الجبهة المصرية .

ونخلص مما تقدم الى أن اتفاق الدول العربية على الدخول فى فلسطين بجيوشها لم يكن اتفاقا مبنيا على الاخلاص وصـفاء القلوب ، ووحدة

الهدف ، فقد كان لكل غاية ، فغاية الأردن والعراق ضم القسم العربي من فلسطين الى الأردن ، وغاية مصر والمملكة السعودية تحرير فلسطين وتسليمها الى أهلها أو بعبارة أخرى الى المفتى . وقد ظهرت هذه الأهداف بصورة واضحة من تكوين حكومة عموم فلسطين وموقف كل من هذه الدول ازاء تلك الحكومة .

وهكذا كان اتفاق الدول العربية على الدخول فى حرب فلسطين اتفاقا ينطبق عليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « جماعة على أقذاء وهدنة على دخن » .

حكومة عموم فلسطين

بدأت الهيئة العربية العليا تفكر منذ يناير سنة ١٩٤٨ فى موضوع انشاء حكومة فلسطين . وقد كتبت فى ٢١ يناير سنة ١٩٤٨ عن هذا التفكير ما يأتى :

« قوبلت هنا (أى فى فلسطين) فكرة تأليف حكومة وطنية لفلسطين بفتور . ويقول الفلسطينيون : خير لفلسطين أن يصرف المال فى شراء الأسلحة من أن يصرف فى نفقات انشاء الحكومة الجديدة .

« ويتساءلون هل استشارت الهيئة العربية العليا الجامعة العربية فى الأمر ؟ واذا كانت استشارتها فهل وافقت الجامعة على هذا الاجراء ؟ يرجح الجمهور هنا الاجابة على هذه الأسئلة بالنفى . ويقولون : يبعد أن توافق الأردن والعراق على تكوين حكومة مع وجود فتور شديد بينهما وبين سماحة المفتى » .

« وسواء أكانت الجامعة العربية قد وافقت على تكوين حكومة وطنية لفلسطين أم لم توافق ، فاننا نرى أن فكرة انشاء هذه الحكومة جاءت سابقة لأوانها ، وسيكون ضررها أكثر من نفعها ، ان كان لها نفع ، لأنها ستصرف الناس عن الجهاد الى شئون الانتخاب وكراسى الحكم الوهمية » .

والواقع ان انشاء حكومة عموم فلسطين كان يتعارض مع القرار الذى اتخذته اللجنة السياسية لجامعة لدول العربية فى ٢١ أبريل سـنة ١٩٤٨ ونصه كالآتى :

« اذا دخلت جيوش عربية فلسطين لانقاذها ، فيجب أن يفهم صراحة انه يجب النظر الى هذا التدبير كحل مؤقت خال من كل صفة من صفات الاحتلال أو التجزئة لفلسطين .. وانه بعد اتمام تحريرها تسلم لأصحابها كما يريدون » ..

لذلك كان تفكير الهيئة العربية العليا فى انشاء هذه الحكومة متعارضا مع هذا القرار . ولم يكن من الحكمة أن تساعد الأمانة العـامة لجامعة الدول العربية والكتلة المصرية السعودية فى الجامعة العربية على انشـاء هذه الحكومة .

وقد أشرت على الحكومة المصرية فى تقاريرى فى مناسبات مختلفـة بأن تتريث فى موافقتها على انشـاء هـذه الحكومة التى لن تقوم بأى عمل نافع .

وقد حارب الملك عبد الله هـذا التفكير ونجح فى القضـاء عليه ، فلم تؤلف هذه الحكومة وقت دخول الجيوش العربية فلسطين ، بينما أنشأ اليهود حكومتهم فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ واعترفت بهـا أمـريكا فورا وتبعتها روسيا ثم غيرهما من الدول .

ولكن الجامعة قامت بتأليف لجنة يرأسها أحمـد حلمى باشا لادارة فلسطين فى شهر يوليه سنة ١٩٤٨ فكتبت عن هذه اللجنة فى ٢٨ يوليـه سنة ١٩٤٨ ما يأتى :

« روعيت مع الأسف الشديد المجاملات فى اختيـار أعضـاء اللجنة المذكورة ، فعين فيها أشخاص كان يجب ألا يعينوا ، وترك أشخاص كان يجب أن يعينوا فيها ..

« وكان خيرا أن يعين بدل هذه اللجنة لجنة من كبار موظفى حكومة فلسطين العرب ليتولوا ادارة فلسطين بصفة مؤقتة الى أن يحين الوقت الذى يختار فيه أهل فلسطين الرجال الذين يريدونهم حكاما لهم » .

وفى ٢٩ أغسطس سنة ١٩٤٨ أى بعد شهر من كتابة ما تقدم كتبت عن هذه اللجنة ما يأتى :

« كانت الجامعة العربية ألفت لجنة يرأسها أحمد حلمى باشا لادارة فلسطين وذلك منذ حوالى شهرين ، وقلنا على أثر تكوين هذه اللجنة انها لن تقوم بأى عمل مفيد .

« ونقول اليوم ان هذه اللجنة لم تجتمع بعد ، ولن تجتمع ، فهى لجنة ولدت ميتة .

« ونقترح حلها وتأليف لجنة يرأسها أحمد حلمى باشا ويكون أعضاؤها من كبار موظفى حكومة فلسطين المعروفين بالنزاهة والكفاءة وتعطى اعتماد ربع مليون جنيه تقدمه الجامعة على سبيل القرض ، ويجب ألا يدخل هذه اللجنة أى شخص من أحزاب فلسطين » .

وهذه اللجنة ألفتها الجامعة العربية بناء على مساعى المفتى الذى كان يسعى حثيثا لتأليف حكومة تتألف من أنصاره . فلما حبطت مساعيه فكر فى تأليف هذه اللجنة ثم لم ييأس اذ استمر فى نشاطه لتأليف حكومة فتم له ما أراد وتألفت الحكومة برياسة أحمد حلمى باشا .

ويقول الأستاذ محمد عزة دروزة فى صفحة ٩٠ من الجزء الخامس من كتابه « حول الحركة العربية الحديثة » ما يأتى :

« أعلنت حكومة عموم فلسطين فى ٢٣ ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٤٨ فى غزة حيث ذهب أحمد حلمى باشا الى غزة مع بعض الذين سموا أعضاء للحكومة والذين كانوا موجودين فى مصر ليكون العمل دائما فى أرض فلسطينية ، وأبلغ رئيس الحكومة ذلك الى الحكومات العربية وأمين الجامعة العام .

« وانعقد مجلس فلسطينى وطنى لاسباغ الصبغة الشرعية على العمل فى أول أكتوبر سنة ١٩٤٨ » .

وقد كتبت للوزارة خطابا فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٤٨ عن هذه الحكومة جاء فيه ما يأتى :

« قبل ١٥ مايو وهو نهاية الانتداب البريطانى فى فلسطين رغبت الهيئة العربية العليا فى انشاء حكومة لفلسطين عقب انتهاء الانتداب . وقد قلنا فى ذلك الوقت عن تلك الرغبة بأنها لن تنال قبولا من حكومة شرق الأردن وحكومة العراق .

« وقد تألفت لجنة منذ شهرين بواسطة الجامعة العربية وقلنا عنها انها لن تأتى بعمل مفيد وانها لجنة ولدت ميتة .

« واليوم يراد تحويل هذه اللجنة الى حكومة ، فثار الملك عبد الله كما يتبين من البرقيات التى تبودلت بينه وبين أحمد حلمى باشا وعزام باشا .

وفيما يلى نص هذه البرقيات ، وهى لم تنشر فى أى كتاب ظهر عن قضية فلسطين حتى اليوم .

صورة البرقية المرسلة من الملك عبد الله الى أحمد حلمى باشا بتاريخ ١٩٤٨/٩/١٦

« ما هذه التشكيلات أو النيات التى تعلن عن الهيئة العربية فى الاذاعات والصحف لتشكيل ادارة فلسطينية فى مجال حكومتكم العسكرية التى تقلدتموها عنا والتى لم تتكون الا لصيانة الشرف العربى منذ التاريخ الى اليوم ، ان الحكومة الهاشمية الأردنية لا تسمح لأى تشكيل يقطع على أهل فلسطين حريتهم فى اقرارهم ما يشاؤون بعد انتهاء المعضلة الحاضرة ، وسوف لاتسمح فى مجالها العسكرى وفى مناطق أمانها من الحدود المصرية الى الحدود اللبنانية السورية لأى تشكيل يرمى لمنافع

أشخاص غير المسئوليات التى تتحملها كل دولة عربية فى مجالها العسكرى وعلى يد قواتها وقوادها أنفسهم لا غير .

عبد الله بن الحسين

صورة الرد المرسل من أحمد حلمى باشا .

الى حضرة صاحب الجلالة الملك عبد الله المعظم ــ عمان .

هذه التشكيلات نتيجة لقرارات الجامعة العربية فاذا كان فيها ما يتعارض مع مصلحة البلاد فالرجا اصدار الارادة الى الجامعة المشار اليها لتعديلها وعلى كل حال فاننى كنت ولم أزل المجاهد المخلص لجلالتكم وللوطن .

أحمد حلمى

صورة البرقية المرسلة من الملك عبد الله الى أحمد حلمى باشا يوم ١٩٤٨/٩/٢٠ .

ان ما يراد تشكيله باسم حكومة فى فلسطين سواء كان ذلك بقرار من الجامعة العربية أم برغبة من الحريصين على الحكم فان فى ذلك الرجوع الى الحالة التى كانت قبل ١٥ مايو وفيه أيضا امكان اعتراف دول المنظمة بهذا التشكيل كما اعترف الأكثر منهم بمدعيات اليهود فيقع التقسيم الذى حاربتموه على كل حال فالشهداء الذين وقعوا من الجيش العربى فى أشهر الجدال تأبى أرواحهم العبث بمصير البلاد وكذلك الحكومة الأردنية الهاشمية حريصة على أماكن أمانها من الحدود المصرية الى الحدود اللبنانية السورية ، وأما جهادك الشخصى فلا نكران له وودنا أن لو كان غيرك كبش النطاح فى هذه البادرة .

عبد الله بن الحسين

صورة البرقية المرسلة الى الأستاذ عبد الرحمن عزام بتاريخ ١٩٤٨/٩/٢٠

« يقول أحمد حلمى باشا فى برقيته الجوابيــة لنا أن الرغبــة فى تشكيل حكومة فلسطينية فى فلسطين ، وقع بقرار الجامعة العربية ، الوفد الأردنى أنكر ذلك ، وعلى كل حال فان القيام بعمل كهذا فى رأينـا هو الرجوع الى ما كانت عليه الحال قبل ١٥ مايو . وبما أن الجيش الأردنى يقاتل اليوم فى القدس الشريف مستمرا وحده رغم الهـدنة ، وبمـا ان الجبهة الوسطى الى السهل فرام الله فى عهدة الجيش العربى الأردنى ولا تزال الأمور معقدة فانا لا نستطيع ادخال أيد ثانية ضمن مسئوليـات حكومتنا العسكرية وبالأخص الأشخاص الذين يرغبون الحكم ويسعون اليه . ولحفظ الاخاء ولصيانة عصبة الجامعة العربية نصرح بأننا سوف لا نتساهل لأى تكييف أو تشكيل فى أماكن أمان الحكومة الأردنية من حدود المملكة المصرية الى حدود سوريا ولبنان عدا أن تشكيل حكومة كهذه هو أمر يفرض على أهل فلسطين دون اختيارهم وهـذا لا نوافق عليه وسنحاول منعه . وغير هذا اذا تشكلت هذه الحكومة واعترفت بها منظمة الأمم كما اعترفت بمدعيـات اليهود فمعناه أن الجامعة سعت الى التقسيم الذى حاربته .

عبد الله بن الحسين

وأرسل الملك عبد الله الى الأمير فيصل والى المرحـوم رياض الصلح وكانا فى باريس يحضران اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة البرقيتين الآتيتين بتـاريخ ١٩٤٨/٩/٣٠ . وقد نشر الملك عبـد الله نص هاتين البرقيتين فى تكملة مذكراته .

سمو الأمير فيصل آل سعود ، باريس .

أنور أذهان ممثلى دول الجامعة العربية بباريس الى أننا لم نرفض وجود دولة فلسطينية ولكننا رفضنا قطع الطريق على أهل فلسطين فى أن يختاروا لأنفسهم ما يريدون من شكل وحكومة بعـد الفتح والانتصار الحاسم . لو قبلت دولة فلسطينية فى عموم فلسطين قبل الانتصار لسخر مني الناس ، وانني مع ذلك أخشى أن ترضى دول المنظمة بهـذه الدولة

كما رضى بعضها بمدعيات اليهود فيقع التقسيم انا مع العرب ان استمروا فى الحرب أو أن بقوا على الحالة الراهنة . ثم تأتى المرحلة الأخرى وهى مقابلة قرار المنظمة لا مقترحات برنادوت . فاذا قالت المنظمة كلمتها فعلى الجامعة أن تجتمع ثم تقرر ما ينبغى عمله فعلا لا قولا .

تحياتى لكم جميعا

عبد الله بن الحسين

صاحب الدولة رياض الصلح ، باريس .

ان تقرير الكونت برنادوت لم يكن أبدا موضوعا لبحثنا ، ولكن تعلمون أن الدولة الأردنية بالاتفاق مع دول الجامعة خاضت غمار فتنة الصهيونية لخضد شوكة الصهيونيين والسعى للخروج من المشكلة بأقل ما يمكن من الخسائر مع تذكيركم بخطابنا الذى قهنا به على مائدة الغداء أول زيارتكم لنا ، وبينما نحن ماضون فى شرق الأردن فى مهمتنا الحربية متحملون أثقل الأعباء وحدنا واذا بالجامعة تقرر اقامة دولة واهنة لعموم فلسطين وتقيمها فى غزة للتخلى عن المسئوليات ، كما يقول الناس . وان هذا العمل معناه قبول التقسيم وتنفيذه . أما نحن فلا نزال وحدنا متوكلين على الله فى القيام بالواجب ، ومتى رأينا الجيوش العربية من غربنا فى مصر ومن شمالنا فى سوريا ولبنان تتهيأ وتتقدم لتنفيذ العزم ولا تبعث كل واحدة منها بلواء وماأشبهه غير عاطفة على من تشتت من أهل فلسطين، ولا ناظرة اليهم ثم تستمر بالتحريض على غير فائدة ، وتنتظر فتح فلسطين على يد دولة واحدة ، متى رأينا ذلك كنا فى الطليعة كدأبنا دائما .

الشتاء أقبل واللاجئون فى العراء . مسئولية هؤلاء على الجامعة وعدم انهاء القضية يعود على الدول العربية التى لم تبذل مجهودا عسكريا بل ظلت تتفرج وان أفعال جيشى وثباته تكفى لدحض مفتريات الناس .

تحياتى لكم ولاخوانكم جميعا .

عبد الله بن الحسين

هذا ولم يقبل الدكتور حسين فخرى الخالدى الاشتراك فى هــذه الحكومة وأرسل البرقية التالية بتاريخ ١٩٤٨/٩/٢٠ يعتذر فيها عن عدم الحضور وينصح بالتريث واستعمال الحكمة .

مستعجل عطوفة أحمد حلمى باشا الكونتننتال ــ القاهرة .

يتعذر حضورى لأسباب تعرفونها نرى التريث واستعمال الحــكمة والروية فى الموضوع .

الدكتور الخالدى

وقد قابلت أحمد أحمد حلمى باشا فى غزة فاقترحت عليه أن يتصــل بالملك عبد الله ويحاول اقناعه بالاعتراف بحكومة فلسطين ، وأحمد حلمى باشا معروف بميله الى الملك عبد الله وحيازته لرضائه التام ، فقال لى انه لا يستطيع أن يذهب اليه ، ولو فعل ذلك لما استطاع أن يغادر عمان بل لبقى فيها كالأسير .

واقترحت تأليف لجنة من أحمد حلمى باشا وكبار الموظفين السابقين تدير فلسطين من الوجهة المدنية فتصلح الطرق وتعيد المواصلات البرقية والتليفونية بين البلاد . وتحفظ الأمن ، وتقيم العــدل ، وتحــافظ على المستشفيات ، وتقوم بالخدمات الاجتماعية بوجه عام ، الى أن يحــين الوقت لعمل انتخابات حرة فى فلسطين .

وقد أرسلت للوزارة بيانا عن حياة كل عضو من أعضاء هذه الحكومة نذكره فيما يلى :

احمد حلمى باشا - أرناؤوطى الأصل كان وزيرا للماليــة فى حكومة شرق الأردن وقت أن كانت امارة . ثم ترك هذه الحكومة وعــين مديرا ماليا للمجلس الاسلامى الأعلى فى القدس فمديرا للبنك العربى ثم ترك هذا البنك وأسس بنك الأمة . وكانت حالة البنك سيئة فى السنة الأخيرة .

وقد عين حلمى باشا عضوا فى الهيئة العربية العليا ليمثل هو والدكتور حسين فخرى الخالدى خمسة أحزاب فلسطينية فى الهيئة المذكورة . وكان

هو والدكتور الخالدى العضوين الوحيدين فى الهيئة العربية العليا اللذين ثبتا فى القدس مدة طويلة وعلى الأخص حلمى باشا الذى بقى حتى آخر لحظة قبل نهـاية الانتداب . أما باقى أعضـاء الهيئة العربية فقد تركوا فلسطين الى سوريا ومصر ولبنان وكانوا موضع انتقاد شديد .

وحلمى باشا معروف بنزاهته وقد أكسبته مواقفه حب الفلسطينيين .

السيد جمال الحسينى ــ قريب المفتى ، ولكن لا يحبه وان كان يتفق معه فى السياسة بحكم المصلحة العائلية . وقد دار بينى وبينه مرة حديث انتقد فيه المفتى انتقادا مرا فقال لى لقد نصحناه كثيرا بأن يقتصر فى عدائه للانجليز على قضية فلسطين فلا يتعدى فى خصومته لهم هذا الميـدان . ولكنه لم يستمع لأى نصح . وقد غادر السيد جمال الحسينى فلسطين فى أغسطس سنة ١٩٤٧ ليمثل الهيئة العربية فى ليك سـكس وظل أكثر من سنة متنقلا ما بين الولايات المتحدة ومصر وسوريا ولبنان والعراق وشرق الأردن والحجاز ولم تطأ قدمه أرض فلسطين الا بعد مدة طويلة حيث زار القدس ورام الله ونابلس ، ولكنه لم يقابل مقـابلة حسنة فيها كما كان ينتظر .

الدكتـور حسـين فخرى الخـالدى ــ من عائلة كبـيرة يكثر فيها المتعلمون . كان مديرا مساعدا للادارة الطبية فى حكومة فلسـطين . ثم دخل ميدان السياسة فرشح نفسه لانتخابات البلدية منافسا لراغب بك النشاشيبى الذى كان يعتبر أكبر سـياسى فى فلسـطين فى ذلك الوقت وتضامن المفتى مع الدكتور الخـالدى لاسـقاط راغب النشاشيبى بك ونجحا فى ذلك وانتخب الدكتور الخالدى رئيسا للبلدية .

وكان الدكتور حسين فخرى الخالدى من أنزه الشخصيات فى فلسطين ، لم يغادر القدس ، بل بقى فيها خادما لبلاده فى أحلك الأيام وأشـدها ، لم يقبل أن يشترك فى هذه الحكومة وأرسل برقية الى حلمى باشـا يوم

٢٠/٩/١٩٤٨ سبق أن ذكرنا نصها . ولم يشترك فى هذه الحكومة بالرغم من أن السيد على حسنة صديقه استعمل معه كل وسيلة لاقناعه بالاشتراك .

عونى بك عبد الهادى — رئيس حزب الاستقلال ومن أصدقاء فخامة شكرى بك القوتلى وكان عضوا فى حزب الاستقلال الذى ألفه العرب وقت أن كانت فلسطين وسوريا جزءا من الامبراطورية العثمانية . ولما احتل الانجليز فلسطين أنشأ عونى بك عبد الهادى حزب الاستقلال فى فلسطين . وهو من عائلة كبيرة يكثر فيها المتعلمون . وكان رئيسا لديوان الملك عبد الله وقت أن كان أميرا وعلاقته بجلالته طيبة . ولولا ضغط فخامة شكرى بك القوتلى عليه للاشتراك فى هذه الحكومة لما قبل أن يشترك فيها . وهو من خصوم المفتى السياسيين .

السيد على حسنة — كان قاضيا . وقد اكتسب ثقافته القانونية بالعمل اذ عمل كاتبا فى المحاكم فى بداية عهده بالوظائف . وهو معروف بالنزاهة . ويعتبر مستقلا ولكنه فى الواقع لا يستطيع مقاومة تأثير المفتى عليه .

السيد رجائى الحسينى — قريب المفتى وشاب ممتاز فى أخلاقه وثقافته . وهو محبوب من خصوم المفتى . كان موظفا فى حكومة فلسطين ولكنه لم يصل الى أعلى الدرجات المخصصة للعرب لصغر سنه .

السيد ميشيل ابكاريوس — كان موظفا فى حكومة فلسطين . ثقافته العربية محدودة ويمكن أن يقال دون خطأ انه لا يعرف من العربية الا الكلام وقليلا من القراءة والكتابة . كان رئيسا للسيد رجائى الحسينى فى الوظيفة . ومن الموالين للمفتى . وقد حاول المفتى أن يعينه مديرا للشركة العقارية التى أنشأتها الدول العربية لانقاذ أراضى فلسطين . ولكن المسئولين عن الشركة عينوا بدله الأستاذ أنطون عطا الله المحامى . وهو وان كان يعتبر مستقلا فى هذه الحكومة الا انه فى الواقع من أتباع المفتى .

السيد يوسف صهيون ـ ثقافته ضيقة . من أتباع المفتى .

السيد عقـل ـ كان محاميا فى يافا وقال لى عنه أحمد حلمى باشا ما يأتى : « لقد اشتغلت بالحركة الوطنية أكثر من خمس وعشرين سنة لم أسمع فيها اسم هذا الشخص » عين بناء على طلب المفتى . وكان سكرتيرا للجنة القومية فى يافا . وقد عين وزيرا للزراعة وهو لا يعلم من شئون الزراعة شيئا .

السيد الدكتور فريج ـ طبيب وصديق السيد رجائى الحسينى وهو من أتباع المفتى .

السيد أكرم زعيتر ـ كان مدرسا فى مدرسة عكا الابتدائية ومن أنصار المفتى ، اذ سافر معه الى العراق وايران والمانيا . وقد اقترح فى حديث له مع الدكتور عبد الحليم بك محفوظ أن تعطى الحكومة الفلسطينية نقودا لتوزيعها على اللاجئين بدلا من توزيع المؤن عليهم . ولما ذكر لى الدكتور محفوظ بك هذا قلت له ان تجاربى فى فلسطين تدعونى الى رجائه فى عدم تنفيذ هذا الرأى .

ويلاحظ على هذه الحكومة انه لم يدخلها أحد من عائلات النشاشيبى وطوقان والدجانى والشوا . ومن بين هذه العائلات أشخاص ظلوا فى فلسطين يخدمونها فى أحلك أيام محنتها ، أذكر منهم على سبيل المثال الدكتور محمود طاهر الدجانى سكرتير عام الجمعية الطبية العربية الفلسطينية الذى قام بمجهودات كبيرة فى علاج الجرحى فى فلسطين ولم يغادر فلسطين بينما غادرها كثير من أعضاء هذه الحكومة ، وجمال طوقان الذى خدم بلده باخلاص ونزاهة .

وقد دارت بينى وبين المرحوم أحمد محمد خشبة وزير الخارجية المصرية مناقشة بشأن حكومة عموم فلسطين أذكرها فيما يلى :

أرسل مندوب مصر الدائم لدى الأمم المتحدة برقية يقترح فيها تأليف حكومة عربية لفلسطين . وكنت وقت وصول هذه البرقية

أزور الأستاذ يحيى حقى مدير مكتب الوزير ، فأطلعنى الأستاذ يحيى حقى على هذه البرقية قبل أن يعرضها على المرحوم أحمد محمد خشبة ، فرجوته أن يذكر للوزير انى أرى أن الوقت غير ملائم لتأليف هذه الحكومة لأن تأليفها سيثير الملك عبد الله ويغضب العراق وليس من المصلحة أن يحدث ذلك فى هذا الوقت . ثم ان تأليف هذه الحكومة سيشغل الفلسطينيين بالتزاحم على كراسى الحكم ، ويصرفهم عن الجهاد . وان هذه الحكومة لن تقوم بعمل مفيد . وقد أبلغ الأستاذ يحيى حقى رأيى هذا للوزير . فاستدعانى الوزير ليناقشنى فى الموضوع فكررت له ماذكرته لمدير مكتبه . وقلت له ان الملك عبد الله بالرغم من نقد كثير من الفلسطينيين له فانه لا يزال يتمتع بشعبية فى فلسطين ، وليس من المصلحة أن نغضبه ونغضب العراق وهما لن يرضيا عن تأليف هذه الحكومة . فسألنى عن مركز مصر ومركز الملك عبد العزيز آل سعود فى نظر الفلسطينيين

فأجبته ان الفلسطنيين يعلمون أن مصر لا مطمع لها فى فلسطين ، وأنها دخلت الحرب مضحية وانهم يقدرون لها تضحياتها الجسيمة . أما عن الملك عبد العزيز آل سعود فان الفلسطينيين يأخذون عليه أنه لم يجب التماسهم الذى رفعوه اليه للامتناع عن منح الشركات الأمريكية امتيازات البترول . فقال المرحوم خشبة ان الملك عبد العزيز آل سعود سيتبرع للقضية الفلسطينية بمبالغ كبيرة ، ففهمهم هذا ، فأجبته : انى قنصل مصر فى فلسطين ولست قنصلا للسعودية التى لها قنصل عام فى القدس ، وهو يجب عليه أن يوضح هذا للفلسطينيين . فغضب المرحوم أحمد محمد خشبة من هذا الرد . ومنذ تلك اللحظة بدأت جفوة بينى وبينه استمرت مدة طويلة .

وبعد هذا الحديث بأيام قليلة استدعى الأمر أن يسافر المرحوم أحمد محمد خشبة الى عمان لمقابلة الملك عبد الله ، فطلب منى الأستاذ محمد كامل عبد الرحيم وكيل الوزارة وقتئذ أن أستعد للسفر مع الوزير . وكان هذا طبيعيا اذ كنت قنصل مصر العام فى فلسطين ، فمن الواجب أن

أكون بجانب الوزير عند بحث قضية فلسطين . ولكن المرحوم أحمد محمد خشبة رفض أن أرافقه فى هذه الرحلة واكتفى بأن يرافقه مستشار الرأى لوزارة الخارجية . وكانت المصلحة العامة توجب أن أكون مع الوزير فى رحلته الى عمان . غير ان الجفوة التى ولدت من المناقشة التى دارت بينى وبين الوزير عن حكومة عموم فلسطين حالت دون أن يسمح بمقابلتى اياه بعد ذلك .

ولم أعلم ما دار فى الاجتماع بين المرحومين الملك عبد الله وأحمد محمد خشبة . ولكنى واثق من أنه كان يدور حول حكومة عموم فلسطين التى يراد انشاؤها . وكان الملك عبد الله ثائرا ضد انشاء هذه الحكومة كما يتبين من البرقيات التى أرسلها الى أحمد حلمى باشا والأستاذ عبد الرحمن عزام والأمير فيصل والمرحوم رياض الصلح ، وقد أثبتنا نصوصها فيما تقدم .

أما عن موقف حكومة العراق فى ذلك الوقت ، فقد كان موقفا غير سليم ، وذلك ان السيد مزاحم الباجحى كان يرأس حكومة العراق فى ذلك الوقت وكان يدلى بتصريحات عديدة تتضمن أن حكومة العراق ستعترف بحكومة عموم فلسطين ، ولكنه كان يضمر غير ما يعلن ، كما يستدل من الحديث الذى أدلى به الى الشريف حسين ناصر رئيس ديوان الملك عبد الله الذى أبلغته للوزارة بتاريخ ٨ كتوبر سنة ١٩٤٨ . وفيما يلى هذا الحديث :

قال الشريف حسين ناصر ان مما يؤسف له ان البلاد العربية غير مخلصة لبعضها البعض . وتذهب الوفود الى الحضور فى اجتماعات الجامعة العربية فيسلم الواحد منها على الآخر بيد ويطعنه باليد الأخرى . وقد صمم الملك عبد الله على عدم الاعتراف مطلقا بحكومة عموم فلسطين التى أقامها المفتى ويرأسها أحمد حلمى باشا ولا تمثل فلسطين . وقال ان عبد الرحمن عزام باشا أبلغ وزير شرقى الأردن المفوض فى القاهرة ان الجامعة العربية لا تعلم شيئا عن تأليف هذه الحكومة . وقد طلب كتابة

الى وزير شرقى الأردن المفوض بأن يبرق بهذا الى جلالة الملك عبد الله . وقد فعل وزير شرقى الأردن ذلك وأرسل الى جلالة الملك عبد الله الورقة التى كتبها عبد الرحمن عزام باشا بخط يده . وقال الشريف حسين ناصر ان سياسة العراق متفقة فى هذا الصدد مع سياسة شرقى الأردن ، وان مصلحة البيت الهاشمى تضطر البلدين الى توحيد خطتهما . وأكد لى أن كل ما يقال خلاف ذلك غير صحيح . فقلت له ان الصحف نشرت تصريحات عديدة لدولة مزاحم الباججى بأن العراق سيعترف بحكومة عموم فلسطين. فرد بأن ما نشرته الصحف لا يطابق الحقيقة ، وأن الملك عبد الله عندما اطلع على ما نشرته الصحف استدعى وزير العراق المفوض فى عمان أكثر من مرة للاستفسار منه عن صحة الخبر ، فكان الوزير يبرق فى كل مرة الى دولة مزاحم الباججى بالقاهرة ، وكان الرد يأتى من دولة الباججى بأن لا يعول على ما تنشره الصحف . وكان وزير العراق المفوض يطلع الملك عبد الله على نص الرد الذى يتلقاه من الباججى .

فانظر وتأمل رئيس حكومة العراق السيد مزاحم الباججى يقول فى اجتماع الجامعة العربية ان حكومته ستعترف بحكومة عموم فلسطين ، وينشر ذلك على الملأ فى الصحف ، ثم هو يبعث الى الملك عبد الله عن طريق وزير العراق المفوض فى عمان بألا يصدق هذا وبأن العراق لن تعترف بحكومة فلسطين . وكان السيد مزاحم الباججى يقول عن نفسه انه صديق مصر وانه يعارض نورى السعيد .

ولكن سياسة العراق فى ذلك العهد سواء أكان السيد نورى السعيد رئيسا لحكومتها ، أم كان رئيس الحكومة مزاحم الباججى أم صالح جبر أم جميل المدفعى أم توفيق السويدى كانت سياسة واحدة لا تتغير بتغير رئيس الحكومة . لأن نفوذ بريطانيا فى العراق كان قائما ، ولأن مصلحة البيت الهاشمى المالك تقضى بتنسيق سياسة العراق وشرقى الأردن ، وجعلهما تتجهان فى طريق واحد وتحقيق هدف واحد .

ولم يكن مزاحم الباججى فى حاجة الى سلوك هـذا السبيل . وكان خيرا له أن يعلن عزمه على عدم اعتراف حكومته بحكومة عموم فلسطين استنادا الى قرار جامعة الدول العربية الذى علق انشاءها على تحرير فلسطين ، وتسليمها الى أهلها ليحكموها كما يريدون . اما أن تؤلف حكومة بناء على مجلس تأسيسى خبزه المفتى فهو أمر يخالف ذلك القرار . لو أن الباججى قال ذلك لكان أكرم له ولحكومته .

وقد أثبتت الأيام صحة ما قلناه عن حكومة عموم فلسطين فقد ولدت ميتة ولم يشعر بوجودها أحد .

جيش الانقاذ أو جيش التحرير

ألفت الجامعة العربية لجنة عسكرية من الفريق طه باشا الهاشمى واللواء اسماعيل صفوت باشا وهما عراقيان ، والقائد فوزى القاوقجى وهو سورى . مهمتها انشاء جيش أطلق عليه جيش الانقاذ أو جيش التحرير . وكان هذا الجيش يتكون من متطوعين من البلاد العربية المختلفة يتدربون فى سوريا تحت اشراف هذه اللجنة . وقد تم تدريب عدد يبلغ حوالى أربعة آلاف جندى فى سرعة ضارة ، ثم عهدت اللجنة بقيادة الأربعة آلاف جندى الى فوزى القاوقجى . وأرسل هذا الجيش الى فلسطين قبل دخول جيوش الدول العربية النظامية . وسبق دخول هذا الجيش فى فلسطين كلام طنان أذيع هنا وهناك ووصل بالطبع الى اليهود فاستقصوا عن كل جزئية من جزئيات هذا الجيش . ولما وصل الى فلسطين عسكر فى المثلث الذى يقع بين نابلس وطول كرم وجنين . وقبل أن يبدأ عملياته تمرد منه فوج الحسين وعدده حوالى ألف من العراقيين فتقرر تسريح هذا الفوج . ولما دخلت الجيوش النظامية انسحب جيش الانقاذ لحلول الجيش العراقى فى المنطقة التى كان يعمل فيها ، ثم أعيد استخدامه ليعمل فى المناطق الشمالية .

وقد التحم هذا الجيش مع اليهود فى معركة بالقرب من بيسان ، تفرق فيها شذر مذر فى بضع ساعات . ثم أصدرت الهيئة العربية العليا

وقيادة هذا الجيش بلاغات كاذبة عن انتصاراته ضد اليهود ، سبق أن تناولناها عند الكلام على الهيئة العربية العليا ، فلا محل للعودة اليهـا مرة ثانية (أنظر ص ٧٩ . وما بعدها) .

ولكنا نذكر هنا عن هذا الجيش ما لم نذكره هناك ، قلنا فى خطاب أرسلناه للوزارة فى ١١ يولية سنة ١٩٤٨ ما يأتى

« ويهم الوزارة أن تعلم أن هذا الجيش ترك أسوأ الأثر فى المنطقة التى كان يعمل فيها سابقا ، وهى منطقة نابلس — طول كرم — جنين . فقد استولى على كل ما وقعت يده عليه ، فنهب المستشفيات ، وسرق بالاكراه مئات السيارات من أصحابها الفلسطينيين ، وكان بعض ضباطه يعملون كما يعمـل قطاع الطرق ، وارتفعت الشكوى منه فى كل مكان احتله ، وتكلم بعض الزعماء الفلسطينيين مع القـاوقجى من تصرفات جيشه فلم يحرك ساكنا . وكان يقول ان الضابط الفلانى من محاسيب فلان باشا ، وذلك من محاسيب شخصية كبيرة أخرى ، فلا نستطيع أن نوقع عليهم أى جزاء » .

وقلت فى الخطاب المذكور « وأرى أنه من الواجب أن توجه الجامعة العربية نظر المسئولين عن هذا الجيش حتى لا يكرر المآسى التى كان يرتكبها فى المـاضى . »

وكتب القـائد عبد الله التـل فى صفحة ١٩٢ من كتـابه عن هـذا الجيش ما يأتى :

« وقد دارت بين جيش الانقاذ واليهود معارك كثيرة حول الناصرة والمستعمرات المجاورة لها . وقد كانت قوات الانقاذ تتفوق على اليهود فى أغلب الاشتباكات المحلية . ولم يقع فى هـــذه المرحلة من حرب فلسطين وفى منطقة جيش الانقاذ ما يؤلم ويؤسف له سوى ضياع عكا المدينة العربية التاريخية . »

ويظهر أن القائد عبد الله التل كتب ما كتب متأثرا بالبلاغات الكاذبة التى صدرت من الهيئة العربية العليا ومن قيادة الجيش . تلك البلاغات

التى فندناها فى غير هذا المكان ، فنسب الى جيش الانقـاذ تفوقا فى المعارك على اليهود لم يحدث اطلاقا .

ونقول ان هـذا الجيش لم يكن يصلح للحرب ، فقد كان جنوده قليلى الخبرة ، مجردين من الأسلحة الجيدة ، وحالتهم المعنوية سيئة .

على أن القائد عبد الله التل كتب فى صفحة ٤١٧ من كتابه ما يؤيد هذا القول اذ كتب ما يأتى :

« بعد أن اطمأن اليهود الى تحقيق أهدافهم فى الجنوب تجمعوا فى الشمال وهاجموا جيش الانقاذ الذى كان يحتل قسما كبيرا من الجليل ، ويساعد الجيش اللبنانى فى حماية حدود لبنان . وقد بدأ هجوم اليهود المفاجىء فى ١٩٤٨/١٠/٣٠ وانتهى فى ١٩٤٨/١١/١ أى أنه لم يدم أكثر من ٣٦ ساعة .

« واستطاع اليهود بتفوقهم فى العـدد والعـدة أن يستولوا على الجليل بأكمله بما فى ذلك قاعدة جيش الانقـاذ فى ترشيحا . وتوغلوا كذلك فى الأراضى اللبنـانية واحتلوا ١٥ قرية لجأ أغلب أهلهـا الى الداخل . »

ان قوام هذا الجيش كان من غير الفلسطينيين ، وفى اعتقادى أنه لو كان هذا الجيش كله من الفلسطينيين لتغير الوضـع . وانى أوافق سماحة المفتى الذى قال بحق ان الفلسطينيين هم أعرف الناس بمواقع بلادهم ومسالكها ، وأشد تصميما واستماتة فى الذود عن أهلهم وأموالهم وديارهم .

ومما كان محلا للانتقاد الشديد تصريحات فوزى القاوقجى قائد هذا الجيش التى أدلى بها لصحفى أمريكى . وقد كتبنا عنها للوزارة

فى ١٦ فبراير سنة ١٩٤٨ أى قبل دخول الجيوش النظامية للدول العربية بثلاثة أشهر . وقلنا فى كتابنا ما يأتى :

« ذكرت فى خطابى المؤرخ ٣ فبراير سنة ١٩٤٨ أن الصحف تنشر أحيانا أخبارا عن تدفق المجاهدين الى فلسطين من سوريا والبلاد العربية المجاورة . وهذا النشر ضار بالقضية الفلسطينية ، اذ ليس من المصلحة أن يعرف العدو مثل هذه الأخبار لأنها تدعوه الى مضاعفة الاستعدادات كما أنها تكون خير وسيلة لمطالبة هيئة الأمم المتحدة بارسال بوليس دولى لفرض التقسيم . ومن واجب كل حكومة عربية أن توجه نظر صحف بلادها الى تحرى الدقة فيما تنشره ، وأن لا تنشر الأخبار التى يستفيد منها العدو .

« وقد نشرت صحيفة المصرى أمس (١٥ فبراير الجارى) تحت عنوان « الدوائر العربية فى هيئة الأمم المتحدة تطالب بفرض الرقابة على أنباء فلسطين » « أبلغتنى مصادر عربية عليا فى هيئة الأمم انه أصبح من واجب الحكومات العربية أن تنشىء نوعا من الرقابة فى الحال لمنع اذاعة أنباء تتعلق بالقتال فى فلسطين . وجاء هذا الاقتراح عقب نشر حديث لمراسل أمريكى مع السيد فوزى القاوقجى فى دمشق تتضمن معلومات هامة عن خطط العرب فى فلسطين ، فقد قال الجنرال القاوقجى ان قوات من المتطوعين الأتراك والأفغانيين دخلوا أخيرا فلسطين وسوف نحصل فى الصيف القادم على عدد آخر من المتطوعين .. وقد أزعجت هـذه التصريحات الصادرة من قائد عسكرى عربى الدوائر العربية التى تعتقد أن هذه المعلومات يجب أن تظل مكتومة حتى عن العرب أنفسهم » .

« وبمناسبة اجتماع الجامعة العربية قد يكون من الملائم اتخاذ قرار بمنع القواد العسكريين من الادلاء بتصريحات للصحف ، ومطالبة الصحف العربية بالامتناع عن نشر أى أخبار عن القتال فى فلسطين اذا كان فى نشرها فائدة للعدو . »

دور الاستعمار فى انشاء اسرائيل

لعب الاستعمار الغربى دورا هاما فى انشاء اسرائيل .

وفى سنتى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ أسهمت روسيا ومن يدور فى فلكها من دول أوروبا الشرقية فى اتمام ما بدأه الاستعمار الغربى .

دور بريطانيا :

وكانت بريطانيا صاحبة الدور الأول فى انشاء اسرائيل . ويمكن أن نقول دون أن نكون بعيدين عن الحقيقة انها الأم الرؤوم لهذه الدولة . صنعتها فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ عندما أصدرت تصريح بلفور .

ولم ترحب فرنسا ولا الفاتيكان بهـذا التصريح . بل عارضتا فى صدوره ، ولكن بريطانيا بذلت كل جهد ممكن لتذليل الاعتراضات التى أبدتها هاتان الدولتان ، ونجحت فى ذلك . ثم أخذت تسعى لدى الولايات المتحدة للحصول على موافقتها عليه . فانتهز بلفور فرصة وجوده فى وشنجتون فى أول يناير سنة ١٩٢٢ ، عندما كان يمثل بريطانيا فى مؤتمر السلاح البحرى ، وكتب بصفة خاصة خطابا الى المستر هيوز Hughes وزير خارجية الولايات المتحدة ، تحدث فيه عن هذا التصريح ، وأمل بريطانيا فى أن توافق الولايات المتحدة عليه . وأشار فى خطـابه الى اقتراحه الشخصى الذى كان قد اقترحه وهو أن تعهد عصبة الأمم الى الولايات المتحدة بالانتدات على فلسطين ، وذكر أن سلطة الدولة المنتدبة يجب أن تكون تامة ، وأن يدين سكان الاقليم الموضوع تحت الانتداب بالولاء للدولة المنتدبة .

ولكن المستر هيوز أجاب بتحفظ أن الولايات المتحدة لا يهمها فى فلسطين الا المحافظة على مصالحها ، وانها تتمتع بالامتيازات الأجنبية فيها باعتبار أن فلسطين كانت جزءا من الامبراطورية العثمانية ، وان أمريكا ، وان كانت لا تطالب بالتمسك بهذه الامتيـازات أثناء فترة

الانتداب ، الا أنها لن تتنازل عنها فيما لو قامت لليهود دولة الا بمعاهدة تبرم بينها وبين الدولة اليهودية .

على أن المستر هيوز ذكر فى خطابه أن الولايات المتحدة لا تتمسك بسياسة الباب المفتوح فى فلسطين ، وهى السياسة التى تمسكت بها فى صكوك الانتدابات الأخرى . وهذا يعنى أنه اتاح المجال لليهود كى يحصلوا على مزايا فى استثمار فلسطين لا يحصل عليها رعايا الولايات المتحدة .

وقد أدمجت بريطانيا هذا التصريح فى صك الانتداب ، وبذلك أعطته صبغة دولية . ولم يعرف القانون الدولى قبل ذلك ، أن تصريحا صادرا من حكومة الى أحد رعاياها يدمج فى وثيقة دولية . ثم قامت بتنفيذ ذلك التصريح تنفيذا فيه محاباة صارخة لليهود ، واجحاف مريع بالعرب . ففتحت باب الهجرة على مصراعيه لليهود ، وأعطتهم مساحات واسعة من الأراضى المملوكة للحكومة ، وسمحت لهم بشراء الأراضى من الفلسطينيين ، وساعدتهم فى تكوين جيشهم الذى أطلقوا عليه اسم « الهاجانا » وأمدتهم بضباط من الجيش البريطانى لتدريب الجنود ، وزودتهم بالأسلحة والذخيرة اللازمة للجيش . وفتحت لهم باب الوظائف وعينت كثيرا منهم فى الوظائف الحساسة كوظائف الهجرة والجوازات والجنسية والأمن والبوليس .

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية قبلت بريطانيا طلب الوكالة اليهودية الحاق اليهود بالجيش والطيران والبحرية البريطانية . وبلغ عدد اليهود الذين التحقوا بالقوات المختلفة البريطانية أكثر من سبعة وعشرين ألف رجل .

وهكذ أنشأت بريطانيا اسرائيل ، وأمدتها بوسائل الدفاع عن كيانها ، بل هيأت لها من أسباب القوة ما جعلها تجرؤ بالعدوان على الدول العربية . ولولا الثورة المصرية وقيام الجمهورية العربية المتحدة بانشاء جيش قوى رادع لاستمرت اسرائيل فى عدوانها وتحقيق أطماعها .

امريكا (الولايات المتحدة) :

كانت مصالح أمريكا فى فلسطين عنـد صدور تصريح بلفور فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ قاصرة على بعثاتها التعليمية والتبشيرية ، والأعمال الخيرية . ولما صدر هذا التصريح حاولت بريطانيا أن تحمل أمريكا على اتخاذ موقف يتسم بالعطف على أمانى اليهود التى تضمنها هذا التصريح. ولكن أمريكا لم تجار بريطانيا فى هذا الاتجاه ، ورفضت أن تعتبر أمانى اليهود من المصالح الأمريكية التى يهم أمريكا حمايتها .

وقد سلفت الاشارة الى أنه عندما سافر اللورد بلفور الى وشنجتون فى أول يناير سنة ١٩٢٢ لتمثيل بريطانيا فى مؤتمر تحديد التسليح البحرى حاول أن يحمل المستر هيوز Hughes وزير خارجية أمريكا على اتخاذ موقف ايجابى فى صالح اليهود ولكنه لم ينجح فى ذلك ، وظل موقف أمريكا محوطا بالتحفظ .

وكتب المستر فرانك مانويل Frank E. Manuel فى كتابه « حقائق العلاقات الأمريكية الفلسطينية » عن تطور السياسة الأمريكية بشـأن الوطن القومى لليهود فى فلسطين منذ صدور تصريح بلفور الى قيام دولة اسرائيل مستندا فى ذلك الى المراسلات الرسمية الأمريكية نقتطف منه ما يأتى :

« كانت وزارة الخارجية الأمريكية تقابل الصهيونيين مقابلة باردة . ففى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢١ زار الدكتور ناحـوم سوكولوف Dr. Nahum Sokolov وزارة الخارجية الأمريكية للحصول على تصريح فى صالح وعد بلفور فقوبل مقابلة باردة ، وكان يصحبه فى هـذه المقابلة المستر سبنسر عضو مجلس الشيوخ عن نيويورك .

« وكانت وزارة الخارجية الأمريكية تتضايق من طلبات المقابلة التى يتقدم بها الصهيونيون الى وزارة الخارجية ملتمسين فيها مقـابلة وزير الخارجية . ففى ٩ مارس سنة ١٩٢٢ كتب هرمان برتشتين الى وزارة

الخارجية الأمريكية يقول انه بالنظر الى الاشاعات المزعجة التى وصلتنا من الخارج بشأن الاضطرابات التى وقعت فى فلسطين نتيجة للدعاية المشئومة أكون شاكرا لو تكرمتم بمقابلة وفد يمثل الصهيونيين الأمريكيين.
وقد أشر رئيس قسم الشرق الأدنى على هذا الطلب بالعبارة الآتية :

لا يوجـد سبب على الأرض يجعل وزير الخارجية يضيع وقته فى مقابلة هذا الوفد . ثم أرسلت الوزارة ردها على هذا الطلب متضمنا أن الوزير لا يستطيع مقابلة هذا الوفد ، اكتفاء بمقابلة هذا الوفد لوكيل الرئيس ورئيس قسم الشرق الأدنى .

« وفى ابريل سنة ١٩٢٢ أعاد الصهيونيون محاولتهم فى الحصول على تصريح من المستو هيوز بالموافقة على انشاء وطن قومى لليهود فباءت المحاولة بالفشل .

« وكانت سياسة وزارة الخارجية الأمريكية تتجه الى عدم التدخل فى شئون فلسطين ، والبعد عن اتخاذ أى موقف فى صالح أى طائفة من الطوائف سواء فى ذلك الصهيونيون والمعارضون لهم ، والعرب .

« ولكن الكونجرس الأمريكى كانت له وجهة نظـر أخرى تخالف وجهة نظر الخارجية الأمريكية . وقد اتخذ قرارا فى ١١ سبتمبر سـنة ١٩٢٢ فى صالح اليهود . الا ان وزارة الخارجية استمرت على سياستها فى الاقتصـار على حماية المصالح الأمريكية دون نظر الى الوطن القـومى لليهود . »

« وفى ١٨ يناير سنة ١٩٤٤ كتب كوردل هل Cordell Hull وزير خارجية أمريكا خطابا الى المستر Maybrank عضو الشيوخ أكد فيه من جديد سياسة عدم التدخل فى مسئولية بريطانيا فى فلسطين . »

غير ان الصهيونيين لم تقعدهم سياسة وزارة الخارجيـة الأمريكية المضادة لأمانيهم . وحولوا نشاطهم الى الكونجرس ، والبيت الأبيض .

فزاد عدد أعضاء الكونجرس المتحمسين للصهيونيين ، وحصلوا على تصريح من الرئيس روزفلت فى ١٦ مارس سنة ١٩٤٤ أفضى به لاثنين من زعمائهم هما وايز وسلفر Wise & Silver صرح فيه لهما أن يعلنا على لسانه بأن الحكومة الأمريكية لم توافق على الكتاب الأبيض الانجليزى لسنة ١٩٣٩ . وابتداء من هذه السنة أى من سنة ١٩٤٤ أخذت دعاية اليهود لدى أعضاء الكونجرس والبيت الأبيض تكتسح أمامها كل العقبات التى تضعها وزارة الخارجية الأمريكية ضد أمانيهم . وكان أهم سلاح استخدموه فى تحقيق أهدافهم هو أصوات اليهود فى انتخابات الرياسة ، وتوجيه وسائل الاعلام التى يسيطرون عليها من صحف ومحطات اذاعة وغيرها فى مناصرة هذا أو ذاك من المرشحين لرياسة الجمهورية ، مما اضطر هؤلاء المرشحين الى أن يتنافسوا فى الدفاع عن مصالح الصهيونيين. وبدأ التنافس فى التزلف لليهود فى اجتماعات الحزبين الكبيرين التى عقداها فى سنة ١٩٤٤ لبحث الترشيح لرياسة الجمهورية . وما زالت الزلفى مستمرة وستستمر الى وقت طويل .

نجح اليهود فى كسب روزفلت أولا ، وترومان ثانيا . وصار الأخير رافع علم الصهيونية ، فبذ فى ذلك كل ساسة أمريكا وبريطانيا ، وأصبح تشرشل المعروف بنزعته الصهيونية قزما فى دفاعه عن الصهيونيين اذا قورن بترومان .

ولولا ترومان لما نجح مشروع قرار تقسيم فلسطين الذى صدر فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ . فقد تدخل ترومان فى الأمر . وأصدر تعليماته الى سفارات أمريكا فى الخارج لتتصل بالحكومات المعتمدة لديها كى ترسل تعليماتها الى مندوبيها فى الأمم المتحدة ليصوتوا فى صالح قرار التقسيم . وقد تم له ما أراد ، فصوت فى صالح القرار ٢٣ وصوت ضده ١٣ وامتنع عن التصويت ٧ . وكانت نتيجة التصويت الأول ٢٥ فى صالح القرار و ١٣ ضده و ١٧ امتنعوا ، واثنان غابا .

ولم يكتف ترومان بالسعى لدى الدول المختلفة لتـوافق على قرار التقسيم ، بل اعترف بدولة اسرائيل فى اليوم التالى لانتهاء الانتـداب البريطانى .

وأغمضت حكومته عينيها عن الأمريكيين الذين تطوعوا فى الجيش الاسرائيلى وحاربوا ضد العرب على الرغم من أن القانون الأمـريكى يحرم على الرعايا الأمريكيين الانضمام الى الجيوش الأجنبية .

وجاء فى كتاب « الستار الحديدى حول أمريكا » لمؤلفه جون بيتى John Beaty ص ١٣١ ما يأتى :

« لايعرف بالضبط عدد الجنود والضباط الامريكيين الذين التحقوا سريا بالجيش الاسرائيلى أثنـاء الحرب ضد العرب . وقد كتب روبرت كنوى Robert Conwey من القـدس فى ١٩ يناير سنة ١٩٤٨ قائلا ان أكثر من ٢٠٠٠ أمريكى (الفين) التحقوا بالهاجانا وهو جيش الدفاع الاسرائيلى وذلك طبقا لما قاله دبلوماسى كبير . واضاف كونوى ان الوكالة اليهودية تنتظر وصول خمسة آلاف أمريكى (٥٠٠٠) آخرين ليحاربوا فى صف اليهود ، ولو أدى الأمر الى أن تسقط الولايات المتحدة الجنسية الأمريكية عن هؤلاء المتطوعين . وكان ينتظر أن يصل العدد الى ٥٠٠٠٠ (خمسين ألفا) لولا أن القانون الأمريكى يسقط الجنسية عن المتطوعين .

وكان من بين الأمريكيين الذين حاربوا فى صف اليهود دافيد ماركوس David Marcus الذى كان برتبة كولونيل فى الحرب العالمية الثانية . ولم يعرف الجمهور الأمريكى ان ماركوس كان يحارب فى صف اليهود الى أن قتل بالقرب من القدس فى يونية سنة ١٩٤٨ . وفى وقت قتله كان ماركوس قائد القوة اليهودية فى جبهة القدس . وفى اثناء الاحتفال بذكراه فى بروكلين بنيويورك أرسل ترومان خطابا مجد فيه أدوار البطولة التى

لعبها ماركوس فى حربين . وقد أشارت الى ذلك الخطاب صحيفة النيويورك تيمس فى عددها الصادر فى ١١ أكتوبر سنة ١٩٤٨ .

وحماسة رئيس الولايات المتحدة الحالى المستر جونسون لمساعدة الصهيونيين لا تقل عن حماسة المستر ترومان .

ويبعد أن تعدل أمريكا عن سياستها التى اتبعتها فى السنوات الأخيرة فى مساعدة اسرائيل وحمايتها ، لأن أصوات اليهود تلعب دورا كبيرا فى الانتخابات . يضـاف الى ذلك أن كثيرا من الصحف الأمريكية مملوكة لليهود ، وسيطرتهم على وسائل الاعلام من اذاعة وتليفـزيون وسينما ومسارح تكاد تكون تامة .

على ان المساعدات الهائلة التى قدمها الاستعمار الغربى لاسرائيـل لا يجوز أن تكون سببا فى بث روح اليأس عند العرب من ناحية تضييق الخناق على هذه الدولة ثم القضاء عليها فى المستقبل وان بعد .

مساعدة روسيا والدول الشيوعية لاسرائيل :

وقفت روسيا والدول الشيوعية الى جانب اليهود فى الأمم المتحدة فصوتت فى صالح قرار التقسيم . ولو صوتت ضده لما تم التقسيم .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل اعترفت روسيا باسرائيل فى اليوم التالى لاعتراف أمريكا ، ثم أرسلت فورا سفيرا لها يمثلها فى تل أبيب .

وعلى أثر صدور قرار التقسيم ذهب موظفون من اسرائيل الى روسيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا لاختيار اليهود الذين يسمح لهم بالهجرة . وكان الاختيار يقع على الشباب الذين يستطيعون حمل السلاح . وقامت مصانع سكودا بمد اسرائيل بالأسلحة .

ونشرت صحيفة نيويورك هرالد تريبون فى عـددها الصادر يوم ١٩٤٨/٨/٥ تحت عنوان « اسرائيـل تميل نحو روسـيا التى تمولها بالأسلحة » ما يأتى :

« لقد زادت مكانة روسيا زيادة هائلة بين كل الشعب السياسية فى اسرائيل . وان بعض الأسلحة التى ارسلتها تشيكوسلوفاكيا فى وقت كانت الحرب فيه فى حالة حرجة لعبت دورا هاما فى هزيمة البلاد العربية الخمسة . وان اليهود وهم واقعيون يعرفون انه لولا موافقة روسيا لما قدمت تشيكوسلوفاكيا الأسلحة » .

ولقد تغير موقف روسيا والدول الشيوعية الآن وان كان هذا التغير جاء بعد فوات الأوان . ولكنه على كل حال تغير أقرب الى صالح العرب منه الى صالح اسرائيل .

الفصل الثالث

أثر الثورة المصرية على مطامع أسرائيل

تقدم القول ان اسرائيل لن تكتفى برقعة الأرض التى احتلتها من فلسطين . لانها تنوى تهجير كافة اليهود الموجودين فى دول أوربا الشرقية الى اسرائيل . فاذا تم لها ذلك أصبح عدد سكانها ستة ملايين نسمة أو سبعة ، وأصبح لا مفر لها من التوسع والاستيلاء على أراض جديدة تستوعب هذا العدد الضخم من المهاجرين .

وغنى عن الذكر ان توسعها سيكون على حساب الدول العربية .

ان خططها المرسومة للتوسع معروفة . فقد أفصح كثير من رجالها عن هذه الخطط . وبدأت فى تنفيذها فعلا ، فاستولت على أراض من فلسطين لم تكن داخلة فى القسم المخصص لها طبقا لقرار التقسيم الصادر من الأمم المتحدة ، وطردت العرب من هذه الأراضى .

وكانت اسرائيل تعتمد فى تنفيذ خططها على قوتها أولا ، ثم على تأخر الدول العربية وضعفها وخلافاتها بعضها مع بعض ثانيا ، ثم على مساعدة الاستعمار الغربى لها ثالثا .

ثم قامت الثورة المصرية ، وقام رجالها بانشاء جيش قوى رادع ، وطرد الانجليز من مصر ، وامتدت آثار الثورة الى خارج مصر ، فطرد الانجليز من العراق ، وطرد جلوب والضباط الانجليز من الاردن . وتحسنت علاقات الدول العربية مع روسيا والدول الشيوعية . وكانت بريطانيا أثناء احتلالها لمصر والعراق والاردن تعمل على تسوىء علاقات الدول العربية مع روسيا والدول الشيوعية.وفى كلمةقصيرةاحدثت الثورة المصرية تغييرا كبيرا فى الأوضاع التى كانت قائمة قبل قيام الثورة فى البلاد العربية وهذا التغيير لصالح الشعوب العربية وضد مطامع اسرائيل .

وتنيجة لهذا التغيير ، لا لغيره ، وقفت اسرائيل عن السير فى تحقيق مطامعها . انها لم تقف احتراما للقانون الدولى . ولم تقف خوفا من فرض عقوبات عليها من هيئة الأمم المتحدة ، فليس لهذه الهيئة أى اعتبار فى نظر اسرائيل . فقد قتلت عصاباتها الوسيط الدولى للامم المتحدة الكونت برنادوت ولم يحرك أحد ساكنا ، ثم أهدرت قرارات عديدة للامم المتحدة بشأن عودة اللاجئين أو تعويضهم عن أملاكهم ، ثم هى تخرق الهدنة بين وقت وآخر لجس قوة العرب . كل هذا حدث منها ويحدث ولم تفكر الأمم المتحدة فى اتخاذ أى اجراء ضدها . ان اسرائيل وقفت لأنها وجدت جيشا قويا رادعا متربصا بها ، ووجدت انها لن تستطيع أن تكرر ما فعلته فى حربها مع العرب فى سنة ١٩٤٨ .

ولم يقف أثر الثورة المصرية عند انشاء جيش مصرى قوى ، فقامت دول عربية أخرى بمثل مافعلته مصر فدعمت جيوشها ، ثم هب شعور القومية العربية يوقظ الناس من سباتهم وينبههم الى ترك التخاذل الذى كان يخيم على كافة البلاد العربية قبل الثورة .

وكانت مصر تعتمد فى تسليح جيشها على الدول الغربية . وكانت هذه الدول لا تقدم لمصر كل ماتطلبه حتى تظل مصر ضعيفة لاتقوى على صد اسرائيل اذا استأنفت هذه عدوانها . فاتجه قائد الثورة المصرية الرئيس جمال عبد الناصر الى دول أوربا الشرقية يشترى منها ما يلزم الجيش من أسلحة وعتاد . فثارت ثائرة أمريكا وبريطانيا على ذلك . ولكنه لم يأبه لثورة هاتين الدولتين عليه ، ومضى فى تقوية الجيش ، فى عزم وتصميم لا يهمه غضب هذه الدولة أو تلك . ثم قفت أثره دول عربية أخرى ، فاتجهت ايضا الى دول أوربا الشرقية تشترى منها السلاح والعتاد لجيوشها وبذلك تكسرت جسور الاستراتيجية الغربية . فقد كانت الدول الغربية تعتقد أن الدول العربية ستظل ضعيفة لاعتمادها فى تسليح جيوشها على الدول الغربية ، وهذه لا تبيعها أسلحة الا بمقدار . فقام الرئيس جمال عبد الناصر بهدم الخطط الأمريكية البريطانية ، وفتح

الطريق أمام الدول العربية للسير نحو أعداد جيوش قوية مجهزة بأحدث الأسلحة وامضاها .

ردت الثورة المصرية للعرب ثقتهم فى أنفسهم . وكانت هذه الثقة قد تحطمت بعد هزيمة الدول العربية امام اسرائيل . واستعاد العرب مركزهم فى الحقل الدولى . ولكن الطريق أمام العرب مازالت شائكة . فان اسرائيل تتسلح ، فلا يجوز لاحداهـا ان تتقاعس فى التسـليح اعتمادا منها على شقيقاتها اللاتى يتسلحن . ان وراء اسرائيل أمريكا وبريطانيا وبقية الدول الغربية . فعلى العـرب أن يتسلحوا من رؤوسهم الى أخامص أقدامهم والا فلا يلومون الا أنفسهم على سوء المصير ان هم وهنوا أو قصروا فى ذلك .

الفصـــل الرابع
تحرير فلسطين

تسليح الفلسطينيين :

كان مجلس الجامعــة العربية قد أصدر قرارا فى اجتماعه المنعقد فى عالية فى أكتوبر سنة ١٩٤٧ بموافقته على تقرير الخبراء العسكريين بوضع عــرب فلســطين فى وضع مماثل لليهود من حيث تسليحهم وتدريبهــم وتحصين مدنهم وقراهم تحصينا عسكريا فنيا وجعلهم الأساس فى الدفاع عن بلادهم .

وهذا القرار كان يجب أن يتخذ قبل ذلك بسنين . ولم يكن مجلس الجامعة العربية فى حاجة الى تقرير خبراء عسكريين لاتخاذ قرار كهــذا القرار ، لأنه أمر بديهى . وهو أول خطوة كان يجب اتخــاذها لوضــع الأســاس السليم المتين فى تحرير فلسطين . ولقد قال الحاج محمد أمين الحسينى فى تعليقه على هذا القرار . ان الفلسطينيين اعرف الناس بمواقع بلادهم وطرقها ومسالكها وانهم أشد تصميما واستماتة فى الذود عن أهلهم وأموالهم وديارهم .

ولو اتخذ هذا القرار قبل التاريخ الذى صدر فيه ببضع سنوات ، وعملت الجامعة العربية والهيئة العربية العليا باخلاص على تنفيذه ، بالرغم من الصعاب التى كانت ستواجههم فى تنفيذه ، لتغير الوضع .

ولكن هذا القرار جاء متأخرا ، فضلا عن أنه لم ينفذ . فقد ثار عليه الملك عبد الله كما هو ثابت فى تكملة مذكراته التى جاء فى صفحتى ٢٨ و ٢٩ منها ما يأتى :

« انا وان قلنا انه لا ينبغى لنا التطرق الى بعض الأسرار حفظا لما يجب أن يراعى بالنسبة للعرب ، لأن الحق لجماعات الدول العربيــة ولا يحق

لجهة واحدة البحث فيما يعنى الجميع ، وحفظا للاخاء أيضا ، ولكن من حقنا أن نوقف الرأى العام العربى على ما لا يضر من المباحث فى هـذا الباب . من جملة ذلك ما دار بين صاحب الفخامة السيد شكرى القوتلى وبيننا ، وعليـه فنبدأ بذكر المكالمة التى جرت بين دمشق وعمان بعـد حوادث ١٥ مايس (مايو) الابتدائية ، ولقد دعت دمشق عمان وقيل انها لبعض أفكار ستنقل عن رئيس الجمهورية المشار اليه ، وكان أمين الجامعة عزام باشا فى حضرة الرئيس حينذاك . أما الكلمة فقد كانت تشير الى لزوم التوقف عن التقدم فى فلسطين وتقديم ما يمكن لأهل فلسـطين من أسلحة وأموال حتى اذا كانت الثورة العربية هناك قد اكتملت ثم احتاجت الى مساعدات فعلية عندئذ يكون الاشتراك الفعلى ،وقد شككت حينذاك لوجود عزام باشا فى دمشق فى أن الأمر لا بد وأن يكون موعزا به اليهم من مصر ، أو لظن سىء قام فى رءوسهم من ناحيتنا ، فأحبوا ان يعرفوا حقيقة غرضنا ، وعلى كل حال كانت لحظة بالنسـبة الى من أمر ما مس روحى منها من وجل وجزع ، والجيش فى جدال عنيف فى القدس ، وقد تقدم حتى وصل الى السهل من ناحيـة باب الواد واللد والرملة ، ومن نواحى طولكرم والعفولة ، فكان الجواب منا الرفض الشـديد لهـذا التكليف الغريب ، وقد طلبت أمين الجامعة نفسه فكلمته بنفسى محتجـا على أن تلوح فكرة كهذه فى رءوسهم ، وبالطبع فقد وافقـونى حالا على لزوم المضى فى الأمر معتذرين بأن الاستعدادات لا تمكن عاجلا من شـد أزر النواحى الأخرى ، فكان ما كان من توقف القوات السورية فى نواحى سمخ ، ثم فى الخذلان الذى أصاب موقف تلك القوات بصفد والناصرة . أما القوات اللبنانية فلم تبد أية فعالية سوى الدفاع مع ضياع قرى لبنانية من أصل لبنان » .

فالملك عبـد الله رفض أن يشترك الفلسـطينيون فى تحرير بلادهم للأسباب التى أبداها ، والتى نرى أنها لا تنهض مسـوغا لهذا الرفض . ومن الغريب أن رئيس جمهورية سوريا وعبد الرحمن عزام وافقـاه على

رأيه ، واعتبر الموضوع منتهيا . فى حين أنه كان من الواجب على أمين الجامعة ان يعرض رأى الملك عبد الله على مجلس الجامعة ، لأن القرار الخاص بتسليح الفلسطينيين صدر من مجلس الجامعة ، فلا يجوز الامتناع عن تنفيذه الا بقرار يصدر من المجلس نفسه ، لا باتفاق يتم بين الملك عبد الله ورئيس جمهورية سوريا والأمين العام للجامعة . ولكن قلنا فيما سبق ان عبد الرحمن عزام لم يكن يعتبر نفسه أمينا عاما للجامعة العربية فقط ، وانما كان يتصرف كوزير لخارجية الدول العربية كلها .

ان الباعث الحقيقى لاعتراض الملك عبد الله على تسليح الفلسطينيين هو خشيته من أن يرفض الفلسطينيون بعد تحرير فلسطين الانضمام الى الأردن . فاذا كانوا مسلحين لم يكن من السهل عليه أن يدمجهم فى مملكته. أما اذا كانوا غير مسلحين فان الانضمام أو الضم يكون سهلا ميسورا .

منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطينى :

رأى ملوك ورؤساء الدول العربية أنه لا يجوز حرمان الفلسطينيين من الاشتراك فى العمل على تحرير بلادهم ، ووجدوا أن الهيئة العربية العليا التى كان مفروضا فيها أن تعمل على تعبئة الشعب الفلسطينى وانشاء جيش فلسطينى يكون فى طليعة الجيوش التى ستحرر بلاده لم تقم بواجبها فقرر الملوك والرؤساء الذين اجتمعوا فى مؤتمر القمة العربى الذى انعقدفى سنة ١٩٦٤ انشاء منظمة التحرير الفلسطينية وانشاء جيش تحرير فلسطينى.

والفرق شاسع بين هذا القرار وقرار الجامعة العربية الذى اتخذ فى سنة ١٩٤٧ الخاص بتسليح الفلسطينيين . فقرار مؤتمر القمة صدر من ملوك ورؤساء الدول العربية الذين تبرعوا فور صدوره بالمبالغ اللازمة لتنفيذه . أما قرار سنة ١٩٤٧ فلم يكن الا حبرا على ورق ، ولم يدرج له أى مبلغ لتنفيذه ، وامتنع الأمين العام لجامعة الدول العربية وقتئذ عن تنفيذه ، ولم ير ان أمر الامتناع عن التنفيذ جدير بالعرض على مجلس الجامعة .

ان انشــاء جيش فلسطيني كان يجب أن يتم منــذ مــدة طويلة ، فالفلسطينيون هم أصحاب فلسطين وعليهم قبل غيرهم أن يحرروا بلادهم . فوجود جيش فلسطيني يتقدم الصفوف فى تحقيق هذا الهدف المقــدس واجب عليهم لا بد من أدائه . ان عدد عرب فلسطين يزيد على مليــون . ويمكنهم أن ينشئوا جيشــا من مــائة ألف مقــاتل . ولقــد حال دون انشاء هــذا الجيش أسباب زالت الآن . وتولى ملوك ورؤســاء الدول العربية أمر انشائه ، فرصدوا له الاعتمادات اللازمة ويسروا كل السبل لتحقيقه .

ونرى أن من أهم أسباب النجاح فى تكوين هذا الجيش هو أن تسن كل دولة عربية تشريعا يجعل التجنيد اجباريا على كل فلسطيني فى سن الجندية يقيم فيها ، على أن يرسل هؤلاء الفلسطينيون الى مراكز التدريب الفلسطينية . ولقد تقدمنا فى مؤتمر المحامين العرب الذى انعقد فى بغداد فى سنة ١٩٦٤ باقتراح فى هذا المعنى ووافق المؤتمر عليه . وتضمنت احدى توصيات هذا المؤتمر ما يأتى :

« ان مؤتمر اتحاد المحامين العرب السابع وقد اســتعرض التطورات الأخيرة لقضية فلســطين وتدارس قرارات مؤتمرى القمة العربيــين التى أدت الى ابراز الكيان الفلسطيني وقيام منظمة التحرير الفلسطينية وتكوين جيش التحرير الفلسطيني يدعو كل الدول العربية المضيفة لاصدار تشريعات التجنيد الاجبارى على الفلسطينيين فى جيش التحرير الوطنى (١) .

ونوجه نظر منظمة التحرير الفلسطينية الى أن من الواجب عليها أن تتجنب صرف الأموال فى غير ما لا ينفع مثل انشاء مكاتب لها فى الدول الأجنبية ، وصرف أموال فى دعاية لا تغنى ولا تسمن من جوع . بل يجب عليها أن توفر الأموال التى تعطيها اياها الدول العربية لتصرفها كلها على انشاء الجيش الفلسطيني . ان انشاء مكاتب لمنظمــة التحرير الفلسطينية

(١) صفحة ١٩٢ من كتاب « مؤتمر المحامين العرب السابع »

فى الدول المختلفة لن يكون له أية فائدة فى تحرير فلسطين . على أننا نحبذ انشاء مكاتب لمنظمة التحرير الفلسطينية فى البلاد العربية التى يوجد بها لاجئون فلسطينيون لترعى مصالحهم وتدعوهم الى الانخراط فى جيش التحرير الوطنى .

لقد أصبحت قضية فلسطين معروفة للعالم أجمع ونالت اهتمام أغلب الدول فى المؤتمرات الدولية نذكر منها مؤتمر باندونج الذى انعقد فى عام ١٩٥٥ الذى كان من بين قراراته قرار خاص بفلسطين نص على ما يأتى :

« نظرا للتوتر القائم فى الشرق الأوسط بسبب الموقف فى فلسطين ، وخطر ذلك التوتر على السلم العالمى يعلن المؤتمر الاسيوى الافريقى تأييده لحقوق شعب فلسطين العربى ، ويدعو الى تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والى تحقيق التسوية السلمية لقضية فلسطين » .

واتخذ مؤتمر بلغراد لدول عدم الانحياز قرارا نص على ما يأتى :

« ان الأطراف المشتركة فى المؤتمر تدين السياسة الامبريالية المتبعة فى الشرق الأوسط ، وتعلن تأييدها للاستعادة التامة لجميع حقوق شعب فلسطين العربى وفق ميثاق وقرارات الأمم المتحدة » .

وقرر المؤتمر الثانى لرؤساء وحكومات الدول غير المنحازة الذى انعقد فى القاهرة فى ٥ اكتوبر سنة ١٩٦٤ . ما يأتى بشأن فلسطين .

ان المؤتمر الذى يندد بالسياسة الاستعمارية يقرر وفقا لميثاق الأمم المتحدة :

١ — تأييد استعادة حقوق الشعب العربى الفلسطينى فى وطنه استعادة كاملة وكذلك حقه الطبيعى فى تقرير المصير .

٢ — اعلان تأييده التام للشعب العربى فى فلسطين فى كفاحه للتحرر من الاستعمار والعنصرية » .

والواقع ان منظمة التحرير الفلسطينية لن تستطيع أن تقوم بدعاية أكثر من الدعاية التى قام بها لقضية فلسطين ملوك ورؤساء الدول العربية وفى مقدمتهم الرئيس جمال عبد الناصر ، فقد قام الرئيس جمال عبد الناصر بشرح قضية فلسطين أمام الرأى العام العالمى . شرحها الى شوانلاى ، ونكيتا خروشوف وشرحها عندما اجتمع رؤساء أربع وثلاثين دولة افريقية وعندما اجتمع ملوك ورؤساء الدول غير المنحازة . وفى هذا المؤتمر يحضر كل ملوك ورؤساء الدول العربية ، والمجال متاح لهم جميعا ، كل منهم يمد تأثيره الى حيث يستطيع مباشرة وبلا وساطات وبلا رسل . (١) .

واذن فمن العبث أن تنفق منظمة التحرير الفلسطينية أموالا فى دعاية طالما أن ملوك ورؤساء حكومات الدول العربية يتولون قضية فلسطين . يجب توفير كل قرش وكل فلس لصرفه على الجيش الفلسطينى .

على أن سفارات الدول العربية وهى منتشرة فى كل أنحاء العالم ، ووزارات الاعلام فى الدول العربية تستطيع أن تقوم بدعاية قوية بالنيابة عن منظمة التحرير الفلسطينية .

ومن أهم أسباب النجاح فى تحرير فلسطين أن يتناسى الفلسطينيون خلافاتهم . وقد قال الرئيس جمال عبد الناصر فى خطبته التى أشرنا اليها آنفا ما يأتى :

« أرجو من اخواننا الفلسطينيين أنهم فى هذه المرحلة الصعبة والتى تعتبر نقطة تحول فى تاريخ الكفاح من أجل استعادة فلسطين أنهم يتناسون الكثير من الخلافات والمنازعات ويتوجهون الى الوحدة الوطنية من أجل تحقيق حرية فلسطين وبعدما نحقق حرية فلسطين وبعدما نحرر فلسطين يجوز الاختلاف وعمل الأحزاب » .

(١) مقال الاستاذ محمد حسنين هيكل المنشور فى صحيفة الاهرام بعددها الصادر فى ٢٨ أغسطس سنة ١٩٦٤ .

وأدلى الملك فيصل بحديث خاص الى صحيفتى الرأم العام العربية والديلى نيوز الانجليزية اللتين تصدران فى الكويت ونشرته صحيفة الأهرام فى عددها الصادر يوم ١٩٦٥/٩/٣ أعرب فيه جلالته عن أسفه لأن الفلسطينيين أنفسهم منقسمون الى كتل .

فلعل الفلسطينيين يتبصرون فى أمورهم ، ويسمعون الى صوت الرئيس جمال عبد الناصر الذى أعلنه فى ٢٣ يولية ١٩٦٥ ، والى صوت الملك فيصل الذى أعلنه فى ١٩٦٥/٩/٣ . وهما صوتان يعربان عن أمل الشعوب العربية قاطبة فى أن يجمع الفلسطينيون كلمتهم ، ويوحدوا جهودهم ، ويقفوا وراء منظمتهم صفا واحدا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا الى أن يتحقق لهم النصر ، ويومئذ يمكنهم ، اذا أرادوا ، أن يتفرقوا شيعا وأحزابا .

الخلافات بين منظمة التحرير الفلسطينية وبعض الدول العربية :

تشكو منظمة التحرير الفلسطينية من أن بعض الدول العربية لا تسمح لها بمباشرة نشاطها بالنسبة للفلسطينيين المقيمين فى تلك الدول .

ومن جهة أخرى تشكو تلك الدول من منظمة التحرير الفلسطينية قائلة ان نشاط المنظمة يتعدى الحدود الواجب مراعاتها فى علاقات المنظمة بالدول المذكورة .

وغنى عن الذكر أن الخلافات بين المنظمة وبعض الدول العربية لن يستفيد منها الا العدو ، لذلك يجب تسوية هذه الخلافات بأسرع ما يمكن بروح طيبة وصدر رحب .

ولقد نشرت صحيفة الأهرام فى عددها الصادر فى ٣ يناير سنة ١٩٦٦ نبأ الاتفاق بين الأردن والمنظمة على سبع مسائل من المسائل التى كانت محل بحث بين الطرفين . وذكرت أن هناك موضوعين لم يتم الاتفاق عليهما . ونحن نرجو أن تسود الروح الطيبة بين الجانبين فلا يتكرر اليوم

ماحدث فى الماضى عندما تكونت حكومة عموم فلسطين التى حاربها الملك عبد الله ظاهرا وباطنا ، وحاربتها حكومة العراق باطنا وأيدتها ظاهرا .

ان منظمة التحرير الفلسطينية تختلف اختلافا بينا عن حكومة عموم فلسطين . وقد سبق أن قلنا عن حكومة عموم فلسطين عند انشائها انها حكومة ولدت ميتة ، وأنها لن تقوم بأى عمل مفيد . وقد حققت الأيام ما قلناه . وقد عارض الملك عبد الله تلك الحكومة ، لأنها لم تكن فى نظره تمثل الشعب الفلسطينى ، وانما كانت تمثل المفتى وشيعته . أما منظمة التحرير الفلسطينية فهى هيئة أنشأها ملوك ورؤساء الدول العربية ، وهيأوا لها سبل العمل المنتج . ويقف الشعب الفلسطينى ــ فيما عدا المفتى وشيعته ــ وراءها متحدا متكاتفا . فمن الواجب معاونتها لتقوم بأداء رسالتها . ومن واجب المنظمة أيضا ألا تعمل ما من شأنه أن يضايق أى دولة من الدول العربية . ان الوطنية تحتم على المنظمة أن تكون حكيمة فى علاقاتها مع كافة الدول العربية حتى تستطيع أن تعبىء الشعب الفلسطينى بأجمعه للعمل على استرداد بلده .

اشتراك الدول العربية فى حرب التحرير :

ان جيش التحرير الفلسطينى ، مهما بلغ عدده وعدته ، لن يستطيع وحده تحرير فلسطين . ولا بد من اشتراك جيوش الدول العربية فى العمل.

وعلى الدول العربية أن تنظر فى الأخطاء التى صاحبت دخولها فى سنة ١٩٤٨ حتى تتجنب الوقوع فى مثلها عند دخولها الحرب فى المستقبل .

وقد سبق لنا أن تكلمنا عن الأسباب العديدة التى أدت الى الكارثة .

ويبدو أن بعض هذه الأسباب مازال قائما . فقد قال الملك فيصل عن مشكلة فلسطين فى حديثه الذى أشرنا اليه سابقا « انها لا يمكن أن تحل مع وجود خلافات بين الحكومات والدول العربية » .

والخطوة الثانية التى يجب على الدول العربية أن تقوم بها قبل الدخول فى أى حرب مع اسرائيل هى معرفة قوة جيش اسرائيل من حيث

عدده وعدته . ولقد كتب بعض الكتاب العرب عن سعى اسرائيل للوصول الى صنع القنبلة الذرية . فمن واجب الدول العربية أن تعمل هى الأخرى للوصول الى صنع هذه القنبلة .

ويجب أن يؤخذ فى الحسبان أن اسرائيل ستجد وراءها عونا لا ينضب من أمريكا وبريطانيا . ويحتمل أيضا من فرنسا ، ولو أن فرنسا بدأت تعيد النظر فى سياستها تجاه الدول العربية . وقد شرعت بالفعل تعمل على تحسين علاقاتها مع هذه الدول ، الأمر الذى يعنى أنها لن تساعد اسرائيل بالطريقة التى ساعدتها بها فى الماضى .

ومن المعروف أن الدول تسعى لكسب صداقة الدول القوية ، وتولى ظهرها للدول الضعيفة المتأخرة . فاذا عملت الدول العربية على التزود من أسباب القوة ، وسارت فى ركب العلم ، واستغلت مواردها وثرواتها الطبيعية بنفسها ، فان الدول الأخرى ستتنافس على خطب ودها ، وستفكر طويلا قبل أن تتقدم بأى مساعدة لاسرائيل .

ان الدول العربية تتفوق على اسرائيل من ناحية العدد ، ومن ناحية الثروة ، ولكن هذا التفوق وحده لا يكفى لهزم اسرائيل ، وتحرير فلسطين . بل لا بد من أن يتوافر للعرب — الى جانب هذا التفوق — تفوق عسكرى .

والتفوق العسكرى لا يمكن أن يتحقق الا اذا سبقه تفوق علمى ، وتفوق أخلاقى ، فقد تغيرت أساليب الحروب وأصبح العلم أساسها المكين. وقد فطنت الجمهورية العربية المتحدة الى ذلك فاستقدمت علماء من ألمانيا الغربية فقامت اسرائيل تولول وتعمل جاهدة لدى حكومة ألمانيا الغربية لتسحب هؤلاء العلماء من خدمة الجمهورية العربية المتحدة . ومن واجب الدول العربية الأخرى أن تحذو حذو الجمهورية العربية المتحدة فى الاستعانة بالعلماء الأجانب وبناء جيوش قوية مجهزة بأحدث الأسلحة .

لقد كانت المملكة العربية السعودية والعراق أول دولتين تدخلتـــا لمساعدة عرب فلسطين بالرأى والمشورة . ففى سنة ١٩٣٦ أرسل الملك عبد العزيز بن سعود والملك غازى رسالة الى اللجنة العربية العليا نصحا فيها اللجنة بالعدول عن الاضراب والاخلاد للسكينة ، ووعدا بتقـــديم المساعدة لعرب فلسطين وذلك بالسعى لدى بريطانيا لتنظر بالرعاية لمطالب أهل فلسطين .

ولم تشترك معهما مصر فى هذه الرسالة .

وفى فبراير سنة ١٩٤٥ على أثر انتهـــاء مؤتمر يالتا تقابل الرئيس روزفلت مع الملك فاروق ، ثم مع الملك عبد العزيز بن سعود على باخرة حربية أمريكية فى البحيرات المرة . وقد كتب هارى هوبكنز Hary Hopkins فى مذكرته التى نشرها روبرت شرود بعد وفاة هوبكنز فى كتابه Roosvelt and Hopkins, an Intimate History (ص٨٧١و٨٧٢) ما يأتى « ان أهم شىء كان هو النقاش الذى دار بين الرئيس والملك ابن سعود . وكان هذا النقاش قصيرا ، ولكنه كان فى صـــميم الموضـــوع المقصود .

« انى واثق ان الرئيس لم يقدر أى نوع من الرجال سيستضيف عندما دعى الملك ابن سعود الى مقابلته . رجل ذو عزة صارمة ، وقوة كبيرة ، ولد جنـــديا ، وفوق كل شىء هو عـــربى أولا وأخـــيرا ، وفى كل وقت . لقـــد أنفق حيـــاته فى الحـــروب مستمتعا بهـــا . ورعـــاياه يحبـــون الحروب ويمقتون اليهود . ولذلك عندما طلب الرئيس من الملك ابن سعود أن يسمح بدخول يهود جدد فى فلسطين ، مشيرا الى أن هؤلاء سيكونون نسبة صـــغيرة من جملة عدد السكان العرب ، صدم صدمة عنيفة عندما أجابه الملك ابن سعود ، دون أن يبتسم ، لا . وقد أكد الملك ابن سعود أن اليهود نجحوا فى جعل البلد تزدهر فقط بالأموال الأمريكية والبريطانية التى أغدقت عليهم بالملايين من الدولارات . وقال لو ان هذه الملايين قدمت

للعرب لاستطاعوا أن يفعلوا الشيء نفسه . وقال أيضا يوجد جيش يهودى فى فلسطين مسلح تسليحا تاما ، وانه يلاحظ أن هؤلاء اليهود لم يحاربوا الألمان وانما كانوا يستهدفون العرب . وبين بوضوح أن العرب لن يسمحوا بزيادة مستعمرات اليهود فى فلسطين فى المستقبل أكثر مما وصلت اليــه حتى الآن .

« وأشار بوضوح الى أن العرب سيمتشقون السلاح قبل أن يوافقوا على ذلك ، وأنه كزعيم دينى للبلاد العربية سيساند العرب فى فلسطين وحول فلسطين . وقد ظهر ان الرئيس لم يفهم جيدا ما كان يقوله الملك ابن سعود ، لأنه كان يكرر سؤاله مرتين أو ثلاثة . وفى كل مرة كان الملك يجيب بتصميم الاجابة ذاتها .

« وليس هناك أى شك فى أن الملك ابن سعود أحدث أثرا كبيرا فى نفس الرئيس بأن العرب يعتزمون القتال » .

وكتب الجنرال اليوت روزفلت ابن الرئيس روزفلت فى صفحة ٢٤٥ من كتابه "As He Sawit"

عن مقابلة الرئيس روزفلت للمغفور له الملك عبد العزيز بن ســعود ما يأتى :

« ان الملك والرئيس تكلما أولا عن مسألة اليهود فى فلسطين . وكان الرئيس يأمل أن يقنع ابن سعود بعدالة الطلب الخاص باسكان عشرات الألوف من اليهــود فى فلســطين من الذين طردوا من ديارهم فى أوربا واضــطهدوا وشردوا . وقال لى باروخ ان أبى اعترف بأن من بين كل الرجال الذين تكلم معهم فى حياته لقد حصل من هــذا الملك الحــديدى الارادة على أقل ترضية . وانتهى الأمر بأن الرئيس وعد ابن سعود بأنه لن يوافق على أى خطوة أمريكية عدائية للعرب . » وفيما يختص بسوريا ولبنان أخبر الرئيس زائره بأن لديه ضمانا كتابيا من الحكومة الفرنسية بأن سوريا ولبنان ستمنحان الاستقلال . وأكد له أنه يستطيع أن يكتب

الى الحكومة الفرنسية لمطالبتها بالوفاء بكلمتها وانه سيؤيد اللبنانيين والسوريين بكل تأييد ممكن فيما عدا استعمال القوة .

ولم يذكر هوبكنز فى مذكراته ، ولا الجنرال اليوت روزفلت فى كتابه ، ان الرئيس روزفلت تحدث مع الملك فاروق بشأن فلسطين . ولو كان قد تحدث معه فى هذا الشأن لذكر الكاتبان هذا الحديث فيما كتباه .

والواقع أن مقابلة الرئيس روزفلت للملك فاروق كانت للمجاملة . اذ من غير المناسب أن يقابل الرئيس روزفلت الملك عبد العزيز بن سعود فى أرض مصرية ولا يقابل الملك الفاروق .

وجاء صفحة ٢٢ من كتاب « كلام بصراحة » Speaking Frankly لمؤلفه المستر James F. Byrnes الذى كان مستشارا للرئيس روزفلت فى مؤتمر يالتا ما يأتى :

« ان الرئيس أسر الى تشرشل نيته فى زيارة الملك ابن سعود أثناء عودته ليبحث معه موضوع فلسطين . انه أراد أن يحقق السلم بين العرب واليهود . وقد تمنى له تشرشل التوفيق ولكنه لم يكن يؤمل أن الحظ سيحالف الرئيس . ولم يوفق الرئيس روزفلت » .

وهذا يقطع بأن الرئيس روزفلت لم يكن يعتبر مصر ذات مصلحة فى موضوع فلسطين ، وانما كان يرى أن صاحب المصلحة الأول هو الملك عبد العزيز بن سعود . فعملت الترتيبات اللازمة لتتم المقابلة بين الرئيس روزفلت والملك عبد العزيز على الباخرة الأمريكية فى المياه المصرية .

فيرى مما تقدم أن ملك العربية السعودية وملك العراق لعبا دورا كلاميا هاما فى قضية فلسطين فقد نصحا عرب فلسطين فى سنة ١٩٣٦ بالعدول عن الاضراب ، ووعداهم بالمساعدة لدى بريطانيا ، ورفض الملك عبد العزيز بن سعود فى سنة ١٩٤٥ ، فى عزم وتصميم ، طلب الرئيس روزفلت ادخال بعض المهاجرين اليهود الى فلسطين . وأفهمه أن العرب سيحاربون قبل موافقتهم على هذا الطلب .

فكان طبيعيا أن ينتظر أهل فلســطين من المملكة العربية السعودية والعراق أن يتناسب المجهود الحربى الذى يقدمانه لتحرير فلسطين مع الدور الذى لعباه من ناحية الكلام .

ولكن اذا عدنا الى ما حــدث فى حرب العرب ضد اليهود فى ســنة ١٩٤٨ نجد أن مصر هى التى تحملت أكبر عبء فى تلك الحرب . فقد بينا فيما سبق أن ساسة العراق فى ذلك الوقت بعثوا بجيش غير مزود بذخيرة واعتدة تكفى للحرب أكثر من مدة يومين أو ثلاثة . كما هو ثابت من شهادة الدكتور فاضل الجمالى فى كتابه « ذكريات وعبر » الذى اقتبسنا منه بضع فقرات ، ولو كان الجيش العراقى مزودا بالأسلحة والعتاد لكان موقفه مختلفا تماما عن الموقف الذى وقفه . أما الجيش السعودى فقد كان صغيرا وحارب فى الجبهة المصرية جنبا الى جنب مع الجيش المصرى وقد أبلى بلاء حسنا فى حدود امكانياته .

ولا شك أن المسئولين من ساسة الدول العربية اليوم ســيعالجون الموضــوع من جميع نواحيــه بصــدق واخــلاص ، وســيتذكرون أخطاء المــاضى فيتفادونها عند وضع الخطط للمستقبل . وسيتذكرون أن اسرائيل تبنى جيشا قويا فمن واجب الدول العربية كلها أن لا تغفو لحظة واحدة عن الخطر الاسرائيلى ، وأن تتسلح جميعها تسليحا تاما ان أرادت دفع هذا الخطر أولا وتحرير فلسطين ثانيا .

الامم المتحدة والوضع الحالى فى فلسطين

لقد أصبحت قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين حبرا على ورق . يستوى فى ذلك قرار التقســيم ، وقرار عودة اللاجئين الى بلادهم ، وتعويض من لم يرغب منهم فى العودة الى بلاده . وقــد أعلن ساسة اسرائيل أن تنفيذ هذه القرارات يعنى رجوع عقارب الساعة الى الوراء . لذلك لا يمكن أن يحدث تغيير فى الحالة الراهنة الا بالحرب .

وانتهت قضية فلسطين فى الأمم المتحدة الى قضية معونة للاجئين ، تقدمها وكالة الغوث الدولية للاجئين من أهل فلسطين !

ويقترح الأستاذ فتحى رضوان فى صفحتى ٥١٣ و ٥١٤ من كتابه « مع الانسان فى الحرب والسلم » اعادة عرض قضية اسرائيل ، كاملة على الأمم المتحدة فيقول :

« وواجب مواجهة هذه الاستعمارية اليهودية والتضييق عليها ، ثم اقتلاع جذورها من جسم البشرية ، لتبرأ وتستقيم ، ملقى أولا على الأمم المتحدة . وثانيا على الأمة العربية .

« ولكن الظروف الدولية عكست الأمور ، فجعلت هذا الواجب ، واجب الأمة العربية أولا ، ثم واجب الأمم المتحدة ثانيا ..

« فالأمم المتحدة عند ميلادها لم تضم أكثر من خمسين دولة . وهى الآن تضم أكثر من مائة دولة . وقد كان اللون الغالب فيها هو اللون الأبيض ، وكانت كفة الجبهة الانجلو ــ امريكية هى الراجحة . أما اليوم فقد تدفقت شعوب أفريقيا وآسيا تدفقا متصلا على مقاعد الأمم المتحدة .

« وهذا كله يحدد واجب الدول العربية ، ويوضحه ، فان هذه الدول تخطىء فى حق الأمم المتحدة ، وفى حق فلسطين ، وفى حق نفسها ، اذا هى لم تعرض قضية اسرائيل ، كاملة على الأمم المتحدة من جديد . ولا يصح أن تطلب هذه الدول ، عند ذلك أقل من العدول عن قرار ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ القرار الرقيم ١٨١ (٢) .

« ولست أزعم أن مثل هذا الطلب سيكون سهلا ، أو سيقع من نفوس أعضاء الأمم المتحدة موقع الاستحسان أو القبول ، بل على النقيض من ذلك ، سيلقى هذا الطلب معارضة شديدة ، وقد يعترض عليه من حيث الشكل ، ولكن ذلك كله لا يصح أن يثنى عزمنا عن التقدم به والاصرار عليه ، فان أكثر ما صدر من قرارات عامة ، وأكثر

ما تم فى الحياة الدولية من تطورات خطيرة ، لقى فى طريقه الصعاب وبدا كأنه مستحيل التحقق ، ولكن السنين أخذت تزيد من فرص نجاحه ، وتضيق من أسـباب فشـله حتى كتب له النجاح ولعل المثلين الكبيرين اللذين يعرضان نفسيهما علينا أكثر من سواهما فى هذا الصدد ، هما مثل قضية الجزائر ، وضم الصين الشعبية الى الأمم المتحدة ، ففرنسا كانت تعارض فى مجرد ادراج قضية الجزائر فى جدول أعمال الجمعية العامة ، باعتبار أن ثورة الجزائر هى تمرد داخلى على الحكومة الوطنية ، لأن الجزائر هى امتداد للأرض الفرنسية ، وقد بقيت قضية الجزائر مستبعدة من جدول الأعمـال ، ولكنها كانت تكسب أنصارا عاما بعد عام ، وكان هذا التقدم المضـطرد ضغطا أدبيا هائلا على الحكومة الفرنسية ، وعلى الرأى العام الفرنسى .

« أما انضمام الصين ، فقد أوشكت أن تكسب العدد الكافى من الأصوات ، ليتم هذا الانضمام ، على الرغم من المعارضة المستميتة من جانب الولايات المتحدة » .

ان هذا الاقتراح جدير بالنظر والدرس ، ولو أن تحقيقه عسير . ويقدر الأستاذ فتحى رضوان نفسه صعوبة تحقيقه ولكن يرى أن هـذه الصعوبة لا يجوز أن تكون سببا فى عدم السعى لتحقيقه .

وفى رأيى أن تنفيذ هذا الاقتراح يكون سهلا اذا سبقه انتصـار عسكرى حاسم للعرب على اليهود . فعندئذ تقـر الأمم المتحـدة الأمر الواقع .

لقد أقامت اسرائيل علاقات دبلوماسية مع جميع دول أفريقيا وأغلب دول آسيا وعززت معها علاقاتها التجارية والاقتصادية تعزيزا وثيقا ، كما عززت علاقاتها مع تلك الدول من الناحية الاجتماعية . فلا يمر شهر دون أن يقوم بزيارة اسرائيل أحد رؤساء دول أفريقيـا التى استقلت حديثا يرافقه وفد كبير من وزرائه وكبار موظفى حكومته . فيصعب على

هذه الدول أن توافق على قرار يصدر من الأمم المتحدة باعادة النظر فى قضية اسرائيل كاملة ، اللهم الا اذا ووجهوا بالأمر الواقع بعد انتصار حاسم يحرزه العرب فى حربهم مع اسرائيل .

ونلاحظ أن قرار مؤتمر باندونج الخاص بفلسطين يدعو الى تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين ، والى تحقيق التسوية السلمية لقضية فلسطين .

وكذلك قرار مؤتمر بلغراد فقد أعلن تأييده للاستعادة التامة لجميع حقوق شعب فلسطين للعرب وفق ميثاق وقرارات الأمم المتحدة .

وهذان القراران يعنيان أن الدول المشتركة فى هذين المؤتمرين تصر على تنفيذ قرارات الأمم المتحدة . وقرارات الأمم المتحدة تكفل قيام اسرائيل دولة مستقلة .

لذلك لامفر من انتصار عسكرى ساحق على اسرائيل . ويومئذ يمكن الحصول على قرار من الأمم المتحدة بالغاء قرار ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، وحذف اسرائيل من عضوية الأمم المتحدة .

جهل العرب بحقيقة أسرائيل

بينما فيما سبق أن ساسة العرب قبل سنة ١٩٤٨ كانوا يجهلون حقيقة اسرائيل وكان جهلهم هذا من أهم أسباب الكارثة التى وقعت .

وضربنا مثلا لجهل هؤلاء الساسة بحقيقة اسرائيل تلك التصريحات التى كان يدلى بها الأستاذ عبد الرحمن عزام والحاج محمد أمين الحسينى من أنه يكفى ثلاثة آلاف مقاتل أو أربعة ليلقوا باليهود فى البحر .

وكان أول كتاب تضمن معلومات ذات قيمة عن حقيقة الأوضاع فى اسرائيل هو ذلك الكتاب الذى أعده المكتب الدائم لاتحاد غرف الصناعة والتجارة والزراعة فى البلاد العربية وطبع ببيروت سنة ١٩٥٢ .

واسم الكتاب « اسرائيل خطر اقتصادى عسكرى وسياسى » . وهـذا الكتاب جدير بأن يقرأه كل عربى ، اذ وجه نظر العرب الى الخطر الذى يحدق بهم من جهلهم بحقيقة اسرائيل . وجاء فى مقدمة هذا الكتاب ما يأتى :

« فى العام الماضى أصـدرت دور النشر الصهيونية كتـابا بعنـوان « حرب العرب فى اسرائيل » وهو واحد من كتب كثيرة صدرت وتصدر فى كل حين ، يحاول بها الصهيونيون دراسة كل ما يتصل بالعرب . وقد قرظ أحد الكتاب اليهود هذا الكتاب فى مقال نشرته له جريدة هاآرتس العبرية فى ١٩٥١/٤/٧ بما يلى :

لقد صدرت عندنا كتب كثيرة عن حرب الدفاع التى قمنا بها فى وجه العرب ، أما كيف رأى العرب هذه الحروب ، وكيف صوروها ، وما هى الوقائع والأحداث التى عزت خيالهم وألهبت شعورهم فى هذه الحرب ، فقد أجاب عليها مؤلف الكتاب المذكور بمجموعة من الصور والكاريكاتور والمقتطفات . من الصحف العربية — وكلها تدل على أن المعسكر العربى كان يجهل جهلا تاما أية معلومات عنا وعن حياتنا . وفى الوقت الذى كانت تصدر فيه المؤلفات عندنا عن العرب وأحوالهم ، كان العرب فى جهل مطبق بشؤوننا وأحوالنا ، وكنا فى نظرهم شيئا غامضا » .

« وتلك ظاهرة صحيحة وغريبة فى آن واحد . ولقد دفع العرب ثمنا باهظا لهذا الجهل بعدوهم . وبالرغم من كارثة فلسطين ، ومن الكثير الذى نبهت الأعين اليه ، فلا يزال العرب ، كما كانوا قبلا ، فى جهل مطبق بعدوهم هـذا . فلا هم يعرفون حقيقة أطماعه ومداها ، ولاهم يعرفون حقيقة وسائله فى تحقيق تلك الأطماع . ولم يوجد بعد عـربى واحد يدرس بعمق أحوال المجتمع الصهيونى فيرى ما فيها من قوة أو ضعف ، مع أن معرفة الخصم أول بديهيات النضال ، اذ انك ستعجز عن اتقاء خصمك اذا لم تعرف قوته ، وستعجز عن الايقاع به ان لم تعرف ضعفه .

« بل ان بعض ما يصدر عن الساسة العرب يدل على أن بيننا من لا يزال يعيش على وهم . وأى وهم أعظم من ذلك الذى يزعم بأن هذا العدو الشرس الذى ألب العالم كله على العرب والذى سد عليهم سبل السياسة وموارد السلاح ، والذى فقد جيلا كاملا من أبنائه وهو ينازلهم فى ساحة القتال — هذا العدو المنظم الوافر الباع فى العلم ، الماكر الواسع الحيلة المتنفذ فى كافة أنحاء الأرض — سينهار من تلقاء نفسه ؟ »

وقد كتب الأستاذ أحمد بهاء الدين فى مقدمة كتابه « اسرائيليات » عن اسرائيل (طبعة سنة ١٩٦٥) ما يأتى :

« مع أن اسرائيل موضوع تطرقه الصحافة والاذاعات فى شتى أنحاء البلاد العربية كل يوم بل وكل ساعة فان ما نعرفه عنها قليل .

« يخيل لى أن أكثر حديثنا يتجه الى « اسرائيل بمعناها المباشر ، الماثل للعين المجردة ، أى اسرائيل الدولة التى قامت بالغزو ، والتى تحتل من الأرض العربية مساحة محددة . اسرائيل التى قامت بفعل قوى أجنبية ، ومازالت تستمر بفعل هذه القوى . اسرائيل التى لا تقنع بما حققت . بل انها لا تكف عن طلب المزيد من المهاجرين ، وعينها دائما على المزيد من التوسع .

« اسرائيل ، بهذا المعنى المباشر الماثل للعين المجردة ، نتحدث عنه كل يوم وكل ساعة .. ولكن الذى لا نتحدث عنه كثيرا ، ولا نتوقف عنده الا نادرا هو اسرائيل بمعنى التحدى الحضارى الذى تنطوى عليه . التحدى الحضارى لهذه الأمة العربية . فقد كان قيام اسرائيل فى حد ذاته علامة من علامات ضعف المنطقة العربية وتخلفها الحضارى .

« مهما كانت القوى التى ساهمت فى اقامة اسرائيل ، فلا مفر من الاعتراف بأن الحركة الصهيونية النشيطة هى التى لعبت الدور الأساسى، وهى التى جعلت تدخل هذه القوى الدولية لحمايتها أمرا ممكنا .

« ومهما كانت ــ أيضا ــ هذه القوى التى ضحت بمصالح العرب . فلا مفر من الاعتراف بأن الحركة العربية كانت على درجة من الضعف والتفكك وعدم الدراية بحقائق العصر ، جعلت انتصار هذه القوى عليها سهلا وممكنا .

« تلك هى الحقائق التى يجب أن نواجهها . واذا لم نعترف بهذه الحقائق ونواجهها ، فكأننا لم نتعلم من كارثة فلسطين شيئا .

« واذا كنا لا نعترف بهذه الحقائق ، فكأننا لا نعرف ــ بعد ــ أبعاد الصدام مع اسرائيل » .

ان البــلاد العربية مازالت متراخية فى استقصاء الحقائق عن اسرائيل ومعرفة ما يجرى فيها فى مختلف الميادين الصناعية والعسكرية والاقتصادية والتجارية والعلمية . فمن واجبنا أن نعمل بكل ما نستطيع من جهد على معرفة عدونا والا تكررت مأساة سنة ١٩٤٨ .

ويجب الا تقتصر جهودنا على معرفة عدونا داخل بلاده بل يجب أن نعرف نشاطه خارج حدوده . لاسيما نشاطه فى أفريقيا ، وان نعمل على احباط خططه فيها . لقد عززت اسرائيل علاقتها الاقتصادية والتجارية والاجتماعية مع دول افريقيا التى استقلت حديثا فأصبحت مقاطعة العرب لها سلاحا عديم الفاعلية .

ان على العرب أن يعملوا على اقفال الأسواق الافريقية فى وجه البضــائع الاسرائيليــة ، ورأس المــال الاسرائيلى ، والخبرة الفنيــة الاسرائيلية . وليس هذا العمل بالأمر الهين . والنجاح فيه يتوقف على مقدرة الدول العربية فى أن تحل محل اسرائيل فى تقديم البضائع ، ورأس المــال ، والخبرة الفنية اللازمة لتلك الدول .

ان الدول العربية ليست دولا صناعية ، فيما عدا الجمهورية العربية المتحدة التى أنشأت صناعات عديدة بعد الثورة . وليس لديهــا الخبرة الفنية التى تستطيع تقديمها ، فيما عدا الجمهورية العربية المتحدة .

وهــذه لا تستطيع أن تقوم بمــد كل الدول الأفريقيــة بما تطلبه من خبرة فنية نظرا لبرامج التصنيع الواسعة التى أعدتها لنفسها ، والتى تستوعب كل ما لديها من خبراء فنيين .

أما رأس المــال فان الدول العربية ، ولاسيما الدول المنتجة للبترول، لديها أموال هائلة تستطيع أن تستغلها فى الدول الافريقية . ولــكن استغلال هذه الأموال يستلزم دراسة عميقة قبل الاقدام عليه ، وهذا موضوع جــدير بالنظر والبحث من الاخصــائيين العــرب فى الاقتصاد والتجارة والصناعة .

ان واجب الدول العربيــة أن تتوســع فى نشر التعليم الفنى بكل ما تستطيع وأن تجعل لانشاء كليات الهندسة والطب والزراعة والعلوم الأسبقية فى مشروعاتها على غيرها اذ بغير العلم لن تتمكن من ايقاع الهزيمة باسرائيل .

الفصل الخامس

مساعدات مصر للاجئى اللد والرملة

بدأت مشكلة اللاجئين تظهر بشكلها المريع عندما سقطت اللد والرملة فى يد اليهود ، فقد ترك الأهالى بيوتهم دون أن يسمح لهم اليهود بحمل شىء من متاعهم أو تموينهم ، وكان كل ما سمحوا به هو اللباس الضرورى لستر أجسامهم ولا شىء غيره .

وقد اتجه اللاجئون الى منطقة رام الله . وكانت أول هيئة هبت لنجدة هؤلاء اللاجئين جمعية الهلال الأحمر المصرى ، فقد قررت توزيع مواد تموينية وبطانيات قيمتها خمسة وعشرون ألف جنيه مصرى . وتلقيت من الوزارة عن طريق مفوضية مصر بدمشق البرقية الآتية يوم ١٩٤٨/٧/٢٨

نرجو ابلاغ الأستاذ فراج طايع بأن جمعية الهلال الأحمر المصرى قررت توزيع مواد تموين وبطانيات قيمتها ٣٥ ألف جنيه مصرى على مهاجرى اللد والرملة وضواحيها برام الله . ونقترح تشكيل لجنة منكم وحكمباشى المستشفى بالرملة أحمد الملط ومن تقترحونه من رجال الادارة هناك للاشراف على التوزيع . والرجا موافاتنا برأيكم فى هذا الاقتراح وما تريدون عمله نحو اللجنة المذكورة .

وقد رددت فورا على الوزارة بعد أن درست الأمر مع بعض ذوى الرأى من الفلسطينيين بأنى أرى أن تؤلف اللجنة من الآتى ذكرهم :

قنصل مصر العام . الدكتور أحمد الملط . السيد موسى ناصر . الشيخ مصطفى الخيرى رئيس بلدية الرملة . رئيس بلدية رام الله . رئيس بلدية البيرة .

وفى حالة غياب القنصل العام يضم الى اللجنة نائب القنصل .

وكتبت نبذة عن حضرات الأعضاء الذين اقترحتهم تتضمن البيان الآتى عن حياة كل منهم :

السيد موسى ناصر . كان مساعدا لحاكم لواء اللد والرملة مدة طويلة وآخر وظيفة كان يشغلها هى مساعد سكرتير عام حكومة فلسطين ، وهى أعلى وظيفة كان يصل اليها عرب فلسطين . وينفق حضرته الآن من ماله الخاص مبالغ كبيرة على اللاجئين ، وهو من بلدة بير زيت من قضاء رام الله .

الشيخ مصطفى الخيرى . كان رئيسا لبلدية الرملة مدة ثلاثين عاما . ولم يتركها الا مع من هاجر منها عند احتلال اليهود لها . وهو من الشخصيات المحترمة فى فلسطين ، ومعروف بنزاهة مطلقة . وهو موجود الآن فى رام الله .

رئيس بلدية رام الله ورئيس بلدية البيرة معروفان بنزاهتهما وضمهما للجنة مفيد جدا .

وقد رجوت الوزارة أن تطلب من جمعية الهلال الأحمر المصرى أن يكون بين المواد التى ترسلها لمهاجرى اللد والرملة خيام ، نظرا لأن آلافا منهم يعيشون فى العراء .

ثم كتبت تقريرا يتضمن ما يأتى :

يوجد بقضاء رام الله من اللد والرملة بين عشرين وخمسة وعشرين ألفا من المهاجرين من هاتين المدينتين وضواحيهما . وباقى المهاجرين نزحوا الى جهات أخرى .

ويعيش هؤلاء اللاجئون ما عدا نسبة ضئيلة منهم فى العراء يلتحفون السماء ويفترشون الأرض .

انهم جميعا فى أشد الحاجة الى كساء ، لأن اليهود سلبوهم عند خروجهم من بلادهم أمتعتهم ونقودهم وكل ما حملوا ، ولم يتركوا لهم الا ما يستر أجسامهم فى أضيق الحدود .

توزع عليهم الادارة فى تلك المنطقة رغيفا واحدا لكل لاجىء فى اليوم بدون أن يصحب الرغيف طعام آخر ، كخضار أو لحم أو جبن أو زيتون أو غير ذلك .

ان الجو فى قضاء رام الله بارد ، واذا بقى هؤلاء اللاجئون على هذه الحال فانهم سيتعرضون حتما للموت من البرد .

ان هؤلاء اللاجئين ينتظرون النجدة من البلاد العربية ، فان لم تلحقهم بها سريعا فانهم سيطلبون من اليهود السماح لهم بالعودة الى بلادهم على أن يكونوا فى خدمة اليهود .

ان الهبة التى تبرعت بها جمعية الهلال الأحمر المصرى وقدرها ٢٥ ألف جنيه سيكون لها أثر فى تخفيف آلام هؤلاء اللاجئين اذا ما وزعت توزيعا سليما . ولكن هذا الأثر لن يتعدى أسبوعين أو ثلاثة ، ولهذا أقترح أن تتفضل الحكومة المصرية بالنظر فى نجدتهم نجدة سريعة ، على أن تتولى هى لا أية هيئة أخرى ايا كان مقامها توزيع ما تجود به عليهم . واذا عهدت بتبرعاتها الى أية هيئة أخرى تقدمها لهم فان الأمل ضعيف فى تحقيق الغرض الذى نريده .

قد يقال ان مصر تبرعت للجامعة العربية بمبالغ كبيرة ، وان ميزانيتها لا تسمح بصرف مبالغ أخرى ، فلاحها أحوج اليها من غيره ، وهذا القول وان كان صحيحا الا أنه من جهة أخرى كان ضرورة ، جوار وعون ، ولقد سارت مصر فى طريق لا تستطيع أن تنكص عنه . ومساعدة هؤلاء اللاجئين فضلا عن أنها واجب انسانى فانها تزيل سلاحا خطرا جدا ينتظر اليهود أن يستغلوه أسوأ استغلال ضد العرب .

اذا لم يقرر مجلس الأمن أو هيئة الأمم المتحدة عودة اللاجئين الى

بلادهم وقراهم فيجب التفكير فى نقل لاجئى اللد والرملة من رام الله الى الغور الكائن بين نابلس وأريحا ، لأنه ذو جو معتدل ، وتكثر فيه المياه ، والمسافة بينه وبين رام الله ليست بعيدة .

أخبرنى السيد موسى ناصر مساعد سكرتير عام حكومة فلسطين سابقا انه ذهب الى بيروت على رأس وفد من أهل رام الله ، ليبحث مع اللجنة التى قيل ان الجامعة العربية ألفتها لمساعدة اللاجئين ، فلم يجد للجنة أثرا ، فقابلوا رياض الصلح وقصوا عليه الحقائق الأليمة عن مهاجرى اللد والرملة برام الله ، فأشار عليهم بالتوجه الى العراق والمملكة العربية السعودية ، اذ أن هاتين الدولتين لم تتحملا نصيبهما بعد فى ايواء جانب من مهاجرى فلسطين .

اتفقت مع السيد موسى ناصر على أن يتصل بمجرد عودته الى رام الله بالدكتور أحمد الملط مدير مستشفى رام الله التابع لجمعية الهلال الأحمر المصرى ، وحملته خطابا للدكتور الملط ذكرت فيه مضمون قرار لجنة الهلال الأحمر المصرى تقديم مواد تموين وتكوين لجنة للتوزيع وأشرت على السيد موسى ناصر أن يبحث مع الدكتور الملط مسألة عمل بطاقات لاجئى اللد والرملة حتى لا يحدث خطأ عند التوزيع فيعطى غير المستحق ، ويحرم المستحق ، وحتى لا يضيع الوقت عند وصول المواد .

اقترح السيد موسى ناصر أن تبعث جمعية الهلال الأحمر المصرى من هذه الهبة مبلغ ألفى جنيه مثلا نقدا تكون تحت تصرف اللجنة لشراء بعض الأشياء التى قد تلزم ، ويكون سعرها فى فلسطين أرخص من سعرها فى مصر كزيت الزيتون مثلا . وأوافق على هذا الرأى ما دامت اللجنة مكونة من أشخاص يتصفون بالنزاهة ، اذ لاخوف عندئذ من صرف المبلغ فى وجوه غير مفيدة للاجئين .

أقترح أن يسافر الى رام الله نائب قنصل يتولى الاشراف على تنفيذ قرارات اللجنة تنفيذا دقيقا .

وقد رأيت أن أسافر الى القاهرة لأبحث مع المختصين فى جمعية الهلال الأحمر المصرى الضمانات التى تكفل وصول مواد التموين التى تبرعت بها الجامعة للاجئين ، وكذلك للاتصال بالجامعة العربية واستحثاثها على الاسراع فى النظر فى أمر هؤلاء اللاجئين .

وفى ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٨ عقد اجتماع فى دار جمعية الهلال الأحمر برياسة الدكتور عبد الحليم محفوظ ، حضره الدكتور شوشة ، ومندوب من وزارة الدفاع ، ومندوب من جمعية الصليب الأحمر الدولية وأنا .

وقد بحث المجتمعون مسألة لاجئى اللد والرملة من ثلاث نواح .

١ — التموين .
٢ — الأدوية والأطباء والممرضات ..
٣ — الخيـــام .

فأما عن التموين فقد أشار الدكتور عبـد الحليم محفـوظ الى قرار جمعية الهلال الأحمر المصرى شراء مواد تموين وبطانيات بمبـلغ ثلاثين ألف جنيه .

وقد رئى أن هذه المواد لاتكفى الا لمدة قليلة ، كما أن هنـاك ألوفا من اللاجئين الآخرين فى حاجة ماسة الى تموين . وقد اقترح الدكتـــور شوشة باشا أن تقوم الدول العربية مجتمعة بالاشتراك فى مساعدة اللاجئين ، كما أشار الى أنه من واجب الهيئات الانسانية الدولية أن تساهم فى الأمر ، لا سيما وان الدول العربية قد ساهمت وتساهم دائما فى المســاعدات الانسانية . واقترح سعادته دعوة الجامعة العربية الى ارسال ممثـل لها يحضر الاجتماعات المقبلة ، فووفق على ذلك .

ومن حيث الأدوية والأطباء والممرضات تقرر أن تساهم وزارة الصحة وجمعية الهلال الأحمر المصرى وجمعية الصليب الأحمر الدولية فى الموضوع على أن يطلب من الأطباء الفلسطينيين الاشتراك فى العمل .

أما من حيث الخيام فقد ذكرت أن الحكومة البريطانية عرضت تقديم خيام تسع ٩٠ ألف شخص ، على أن يقوم الكونت برنادوت بتكليف أية منظمة خيرية تتولى توزيعها .

وقد أخطرت الوزارة بالطبع بما دار فى هذا الاجتماع .

وفى يوم ١٧ أغسطس سنة ١٩٤٨ اجتمعت لجنة اغاثة اللاجئين والمشردين الفلسطينيين برياسة الدكتور سليمان عزمى باشا ، وحضور شوشة باشا ، والدكتور عبد الحليم بك محفوظ ، والدكتور سلهب ، والمسيو سانت أوبان مندوب الكونت برنادوت لمسائل اللاجئين ، وممثل الصليب الأحمر الدولى ، وممثل وزارة الدفاع وثلاثة مندوبين من الجامعة العربية ، وأنا .

وقد استعرضت حالة اللاجئين والمشردين ، فقال الدكتور عزمى باشا ان علاج الحالة يستدعى أولا اعادتهم الى بلادهم ، وهذا يستلزم ايجاد حل لقضية فلسطين ، ثم تقديم الغذاء والملابس اللازمة لهم الى أن تعود الحال الى ما كانت عليه من قبل . وأضاف أن عدد هؤلاء اللاجئين والمشردين يبلغ حوالى نصف مليون . فاذا فرض أن كل شخص يكلف فى الشهر ثلاثة جنيهات كان ما يلزم لنفقاتهم فى الشهر حوالى مليون جنيه ونصف ، وهذا المبلغ لا تستطيع الهيئات الخيرية فى البلاد العربية أن تقوم بدفعه . وان الأمر يستلزم اشتراك الهيئات الدولية الخيرية .

أجاب مندوب الكونت برنادوت أنه فيما يختص بقضية فلسطين فان الأمر يتعلق بالسياسيين ، وانه حضر الى هذا الاجتماع ليبحث موضوع اللاجئين من الوجهة الانسانية ، وانه لا يستطيع الدخول فى أى مناقشة سياسية . وقد رئى الاقتصار على بحث الموضوع من هذه الناحية .

وقد دارت معظم المناقشات بعد ذلك باللغة العربية ، وتقرر اتخاذ قرارين :

أولهما توجيه نداء الى الهيئات الخيرية الدولية لتعاون فى مساعدة

اللاجئين والمشردين حتى لا تصبح حالتهم خطرا اجتماعيا واقتصاديا وصحيا .

وثانيهما خاص بانشاء مجلس لاغاثة اللاجئين والمشردين تعاونه لجنة تنفيذية ولجان محلية .

عدت الى فلسطين وكنت أسافر بين وقت وآخر الى بيروت ، حيث كان يوجد مركز مندوبى الكونت برنادوت للاجئين . وقد وضعت تقريرا بتاريخ ١٩٤٨/٨/٢٩ عن حالة اللاجئين ضمنته آخر التطورات فيها جاء فيه ما يأتى :

١ ـ الخيام اللازمة للاجئين الفلسطينيين والمناطق التى تنشأ فيها :

تكلمت مع المستر سانت أوبان مندوب الكونت برنادوت لمسائل اللاجئين الفلسطينيين فى موضوع الخيام اللازمة للاجئين من اللد والرملة الذين يعيشون الآن فى رام الله تحت الأشجار ، وسألته عما تم فى الخيام التى تبرعت الحكومة البريطانية بتقديمها لايواء اللاجئين والمشردين الفلسطينيين . فقال : انه لم ينته بعد من مباحثاته مع السلطات البريطانية، وانه لا يستطيع الآن أن يحدد عددها أو نوعها أو حجمها . فألححت عليه أن يعجل فى انجاز الموضوع لأن جو رام الله بارد لا يحتمله اللاجئون المقيمون بها لتعودهم على الجو المعتدل . وأخبرته أن بعض الفلسطينيين قالوا لى ان منطقة الغور ذات الجو الدافىء والمياه الكثيرة تصلح لانشاء الخيام بها ، واقترحت عليه أن نذهب سويا الى تلك المنطقة لمعاينتها ، والتحقق مما اذا كانت تصلح حقيقة لايواء جانب من اللاجئين ، فوافق على ذلك .

سافرنا سويا الى رام الله ، على أن نذهب منها الى منطقة الغور التى تبعد عن رام الله بثمانين كيلو مترا . ولكن ظروفه اضطرته الى العودة الى عمان قبل معاينة المنطقة المذكورة .

ذهبت اليها ومعى حضرات : سليمان بك طوقان رئيس بلدية نابلس ،

والسيد موسى ناصر من كبار موظفى حكومة فلسطين سابقا ، ومن المهتمين الآن بمسائل اللاجئين ، وزميلى الأستاذ أحمد رياض نائب القنصل ، ووجدنا بعد المعاينة أنها لا تصلح لايواء اللاجئين ، لبعدها من المناطق المعمورة ، ورداءة الطريق الموصل اليها ، وعدم ملاءمة أرضها لاقامة خيام عليها ، ومياهها ليست بالكثرة التى وصفت لى ، ولا يستطيع اللاجئون أن يعملوا وينتجوا فيها .

عاينت بعد ذلك منطقة أريحا ، فوجدت فيها مكانا يصلح لايواء خمسين ألف لاجىء اذا توافرت المياه . وفى ذلك المكان كان الجيش البريطانى يقيم خياما لبعض وحداته . ويمتاز هذا المكان بملاصقته للطريق العمومى المعبد بالأسفلت ، وجوه حار ، وطبيعة أرضه تصلح لاقامة الخيام عليه ، والماء الذى يمر به لرى الحدائق القريبة منه يكفى لحاجة عشرين ألف لاجىء دون الحاق أذى كبير بالحدائق المجاورة .

ولما كان المستر أوبان قد أخبرنى أنه يجب لاقامة الخيام فى أى منطقة أن يقدم اليه الطلب من جهة مسئولة ، فقد طلبت الى السيد موسى ناصر أن يعد طلبا من اللجنة القومية برام الله يوجه الى المستر سانت أوبان ، تلتمس فيه نقل اللاجئين من رام الله الى أريحا . فقام حضرته بذلك ، وأعد الطلب .

وغنى عن الذكر أن اقامة الخيام يجب أن تتم بواسطة اخصائيين حتى تراعى فيها كافة الوسائل الصحية وغيرها .

ويوجد الآن بهذه المنطقة حوالى سبعة آلاف لاجىء ، نزحوا اليها من رام الله ، ويستمر نزوح غيرهم اليها . ويقوم الدكتور ابراهيم الملحمى بالعناية بهم ، وقد شكا الى من قلة الأدوية والغذاء اللازم لهم . كما يقوم بمراقبتهم القائمقام نبيه ناصر .

واذا تقرر اقامة الخيام فيجب أن تتولى الجامعة العربية اقامتها ، لأن أريحا توجد فى المنطقة التى يحتلها الجيش العربى الأردنى ، وحكومة شرق

الأردن لا تستطيع أن تتولى اقامتها ، ولا الانفاق على اللاجئين بها .

ونوصى بالانتفاع بخبرة الدكتور ابراهيم الملحمى والقائمقام نبيه ناصر » .

٢ ـ لجنة اغاثة اللاجئين فى فلسطين :

« تألفت لجنة لاغاثة اللاجئين فى فلسطين من رؤساء بلديات نابلس وطولكرم وجنين ورام الله والبيرة وبعض الشخصيات الفلسطينية المحترمة . وتقوم هذه اللجنة الآن بعمل احصاء دقيق عن اللاجئين ينتظر أن يتم خلال بضعة أيام .

وليس فى فلسطين موارد لاغاثة اللاجئين لأن معظم الأراضى الزراعية التى يملكها الفلسطينيون شمال القدس أصبحت الآن فى يد اليهود .

ونعيد اليوم ما سبق أن اقترحناه من ضرورة اشتراك الدول العربية فى تموين اللاجئين ، على أن يجبر الأصحاء منهم على العمل فى تعبيد الطرق وغير ذلك من الأعمال اللازمة للمنافع العامة » .

٣ ـ توزيع هبة الهلال الأحمر المصرى :

« تناقشت فى رام الله مع السيد موسى ناصر ، والشيخ مصطفى الخيرى ، والسيد علاء الدين عمدة الرملة ، وعارف باشا العارف . فى مسألة توزيع هبة الهلال الأحمر المصرى ، وقد حضر هذه المناقشات زميلى الأستاذ أحمد رياض ، وقد رأينا أن نضع النظام الآتى للتوزيع :

(ا) لابد من عمل احصاء عن اللاجئين ، واعطائهم بطاقات تموين يصرف بمقتضاها ما يتقرر صرفه لهم . فأما الاحصاء فيقوم به موظفون عينتهم لجنة الاغاثة التى سبق الكلام عليها ، وينتظر أن يتم فى خلال بضعة أيام . أما بطاقات التموين فنرى أن تطبع فى مصر على الشكل الذى كلفنا زميلنا الأستاذ رياض بعرضه على الجمعية ـ جمعية الهلال الأحمر المصرى ـ على أن تقوم الجمعية بطبعها فورا .

(ب) يجب أن توضع مواد التموين فى مخازن تحت عهدة موظفين أمناء . فأما المخازن وحراستها فقد تعهدت السلطات الادارية فى رام الله بتقديمها . وأما الموظفون الأمناء فنرى أنه يجب أن ترسلهم جمعية الهلال الأحمر المصرى من مصر ، وضخامة الهبة تبرر بل تحتم ارسال هؤلاء الموظفين .

ونقترح أن يكون عدد الموظفين خمسة يكون أحدهم رئيسا عليهم .

(ج) نظرا لانتقال جزء من اللاجئين من رام الله الى أريحا فنقترح أن يرسل جانب من الهبة الى أريحا ليوزع على هؤلاء اللاجئين .

(د) يقوم حضرة نائب القنصل بالاشتراك فى الاشراف على التوزيع .

(هـ) يتولى حضرة الدكتور أحمد الملط رئاسة اللجنة ، لأن أعمال القنصل العام لا تمكنه من التفرغ للجنة .

(و) نقترح ارسال أقفال ماركة « ييل » أو أى ماركة أخرى مضمونة لوضعها على الغرف التى ستحفظ فيها المواد . وسيبلغ زميلنا الأستاذ رياض الجمعية نوع الأقفال ولوازمها .

« نرجو ارسال الموازين اللازمة للوزن عند التوزيع » .

وقد أرسلنا صورة من هذا التقرير الى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، وأخرى الى جمعية الهلال الأحمر المصرى .

وقد أصبح نشاطى بعد نكبة أهالى اللد والرملة متجها الى العمل فى تخفيف آلام اللاجئين .

ويصعب على القلم أن يصف حالة البؤس والشقاء التى ألمت بهؤلاء المساكين الذين التجأوا الى رام الله ، وهى بلدة ترتفع عن سطح البحر بأكثر من ألف متر ، ذات جو شديد البرودة ، غزير المطر . واللاجئون

لا يملكون من حطام الدنيا الا ما يغطى أجسامهم ، وليس لديهم من القوت ما يكفى نصف بطونهم . لذلك آليت على نفسى الا أدخر جهدا فى سبيل مساعدتهم ، وجعلت من نفسى ممثلا لهم لدى الجامعة العربيــة وغيرها من الهيئات .

ونظرا لهول الموقف الذى يعيش فيه اللاجئون تخطيت التعليمات التى تقضى بألا أكتب الى أى هيئة الا عن طريق الوزارة . فأخذت أبعث للجامعة العربية سواء بطريق البرق أو الخطابات بكل ما تســتدعى الحال أخطار الجامعة به .

وبتاريخ أول سبتمبر سنة ١٩٤٨ أرسلت من بيروت الى الأســتاذ عبد الرحمن عزام البرقية الآتية :

« ســعادة عبد الرحمن عزام باشــا شارع نيكانيدس زيزينيا الرمل الاسكندرية .

حضرت اليوم لبــيروت لمقــابلة مستر سانت أوبان ، فأخبرنى ان الخيام ستصل هذا الأسبوع أو أوائل الأسبوع المقبل فأرجــو افادتى بقراركم بشأن نفقات ما سينشأ منها فى أريحا .

وقد رد على بالبرقية الآتية يوم ٣ سبتمبر سنة ١٩٤٨ .

برقيتكم أول الجارى نظرا للحالة الملحة ستقوم الجــامعة بالنفقات المشار اليها ، اتصلوا بنمازى بك رئيس لجنة الخبراء الماليين فى هــذا الشأن ، وسيصل الى عمان قريبا ، وقد أرسل بالأمس مبلغ خمســة آلاف جنيــه للاجئين بنابلس بواســطة رئيس البلدية ، وثلاثة للرملة بواسطة السيد ناصر نائب رئيس لجنة اللاجئين ، وألف جنيه لرئيس بلدية بيت جالة ، وثلاثة لحلمى باشا للمستشفيات ، أرجو الاشراف على حسن توزيع هذه المبالغ واذا احتجتم لموظف من الأمانة معكم نرسله لكم حالا
عبد الرحمن عزام » .

وبتاريخ ٩ سبتمبر بعثت بالتقرير الآتى :

١ ـ احصاء اللاجئين الفلسطينيين :

« أخبرني المستر سانت أوبان مندوب الوسيط الدولي للاجئين أن الأرقام التي وصلت الى هيئة الأمم المتحدة عن اللاجئين الفلسطينيين العرب بولغ فيها . فقد بلغ الهيئة من مصدر رسمي أن عددهم يقدر بنحو سبعمائة ألف لاجيء ، وهذا العدد يزيد على عدد سكان جميع المدن والقرى العربية التي احتلها اليهود بكثير . فأجبته ان هذا العدد قد لا يبعد كثيرا عن الحقيقة ، فطبقا لقرار التقسيم الذي قررته هيئة الأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر الماضي يوجد في القسم اليهودي ٤٠٨ ألف عربي ، وهؤلاء شردهم اليهود من مدنهم وقراهم ، باستثناء عدد قليل منهم لا يتجاوز بضعة آلاف . يضاف الى ذلك ان اليهود شردوا سكان مدن وقرى عربية كانت تدخل في القسم العربي ، مثل سكان يافا وعكا والرملة وغيرها . كما أن بعض المدن والقرى التي لا تزال في يد العرب تركها سكانها ، لأنها أصبحت مهددة من اليهود . فمثلا لم يبق في القدس القديمة الا قليل من سكانها بسبب ضربها المتواصل بالقنابل بواسطة اليهود . وأشرت عليه أن يراجع آخر احصائيات رسمية أصدرتها حكومة الانتداب عن عدد السكان ، وعندئذ سيرى أن الرقم الذي ذكر عن عدد اللاجئين لم يبالغ فيه . وأضفت أن احصائيات دقيقة يجري عملها الآن في فلسطين . فأعرب حضرته عن أمله في أن تراعي الدقة في الاحصائيات في كل البلاد العربية ، لأن المبالغة تضر حتما قضية اللاجئين .

وطلب الى المستر بيرد وهو أحد الموظفين الذين أوفدتهم هيئة الأمم المتحدة ليعمل في مكتب الوسيط للاجئين أن يراعي في عمل الاحصاء بيان عدد الأطفال وتقسيمهم ، وعدد النساء الحاملات ، وعدد المرضى ، حتى يكون توزيع المواد الغذائية متفقا مع الحاجة ، فلا يحرم الأطفال مثلا من اللبن والزبدة ويعطى غيرهم هذه المواد .

وأرجو أن توضع ملاحظات مساعدي الوسيط موضع الاعتبار ، فتبذل الجهود لعمل احصائيات دقيقة صحيحة .

٢ ـ نفقات نقل المواد اللازمة للاجئين :

أخبرنى المستر سانت أوبان أن هيئة الأمم المتحدة لن تتحمل نفقات نقل المواد اللازمة للاجئين من بيروت الى مناطق التوزيع ، وعلى الدول العربية والجامعة العربية أن تتحمل ذلك » .

وفى نفس اليوم أى فى يوم ٩ سبتمبر بعثت بتقرير آخر الى الوزارة عن الاتفاق الذى تم بين الكونت برنادوت وحكومتى سوريا ولبنان ؛ تعهدت بموجبه كل من هاتين الحكومتين بما يأتى :

أولا — أن تقدم كل منهما بدون مقابل الخدمات التالية بالنسبة للبضائع واللوازم والمنتجات والأدوات المعدة للاجئين الفلسطينيين وهذه الخدمات هى ـ المخازن والمستودعات ـ الحماية والرقابة ـ العمال للتفريغ والنقل ـ النقل بالسكة الحديد واللوريات فى أراضيهما .

ثانيا — اعفاء هذه البضائع واللوازم والمنتجات والأدوات من الرسوم الجمركية وكافة الرسوم الأخرى والضرائب وعدم تفتيشها .

ثالثا — الموافقة على اعتبار هذه البضائع واللوازم والمنتجات والأدوات ملكا لهيئة الأمم المتحدة أو للموهوب لهم الى أن تسلم للموهوب لهم ، والتعهد بعدم بيعها أو استبدالها .

رابعا — منح ممثلى الأمم المتحدة المخصصين لخدمة اللاجئين الفلسطينيين كل الامتيازات والمسموحات والتسهيلات اللازمة لأداء عملهم ، سواء بالنسبة لأشخاصهم أو بالنسبة لكل شىء يستعمل بواسطتهم فى هذا الشأن .

وقد أرسل الى المستر ثلن أحد مساعدى الكونت برنادوت خطابا بعثت به للوزارة أعرب فيه عن أمله فى أن يتم بين الحكومة المصرية والوسيط الكونت برنادوت اتفاق مماثل للاتفاق الذى تم بينه وبين سوريا ولبنان ، ورجوت من الوزارة افادتى برأيها فى هذا الموضوع . وقد

وافقت الحكومة المصرية على العمل بما جاء فى الاتفاق المذكور وأخطرت المستر ثلن بذلك .

كذلك ذكرت فى تقريرى ما أخبرنى به المستر بيرد أحـد مساعـدى الكونت برنادوت للاجئين من ان المواد التى ستلزم للاجئين المقيمين فى القنطرة وغزة وباقى المناطق التى تديرها مصر من الأراضى الفلسـطينية سترسل الى بور سعيد . واستعلم عما اذا كانت الحكومة المصرية مستعدة لتقديم ثلاجات فى بور سعيد لحفظ المواد التى يلزم لها ثلاجات كبـيرة كالزيت .

أما المواد اللازمة الى اللاجئين فى سـوريا ولبنـان وشرقى الأردن وفلسطين فسترسل الى بيروت ومنها يجرى التوزيع .

وقد اجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية فى ٨ سبتمبر سنة ١٩٤٨ ووافقت على تشكيل مجلس أعلى لاغاثة اللاجئين بالصورة الآتيـة :

تشكيل المجلس :

يشكل مجلس أعلى لاغاثة اللاجئين والعناية بشئونهم مقره القـاهرة ويؤلف من رئيس .

ومندوب عن كل دولة من دول الجامعة العربية .

ومندوب عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية .

ومندوب عن فلسطين .

وللمجلس أن يضم اليه من يرى من ممثلين عن الجمعيات الخيرية وهيئات البر والاحسان .

اختصاصاته :

١ — يتعاون هذا المجلس مع الهيئات الدولية الأخرى التى تعمل لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين .

٢ — يشرف على شئون اللاجئين ويعمل بجميع الوسائل لمد يد المعونة لاغاثتهم داخل فلسطين وخارجها .

٣ — يتولى تنفيذ قرارات اللجنة السياسية المتعلقة بشئون اللاجئين .

٤ — يتصل بحكومات دول الجامعة والأمانة العامة فى سبيل تنفيذ مشاريعه وتحقيق الأغراض المطلوبة منه .

٥ — يجمع التبرعات من مال ومؤن وأدوات لازمة للاغاثة فى الأقطار العربية وغيرها ويتلقى الاعانات الأخرى مما تخصصه الجامعة أو الحكومات العربية أو أى جهة .

٦ — يقوم المجلس بتخزين هذه الأدوات وحفظها ومسك دفاتر حساباتها ويوزع المؤن والأدوات على الجهات التى تحتاج اليها .

٧ — ينظم المجلس اللجان المحلية حيث يرى لزوما لذلك ويتعاون مع اللجان الحكومية .

٨ — يعين المجلس بالاتفاق مع الأمانة العامة مديرا يباشر تنفيذ قراراته ويتقدم له بما يراه من اقتراحات لتنسيق المعونة بين المناطق المختلفة .

وبتاريخ ٢٣ سبتمبر رجوت الوزارة أن تتصل بجمعية الهلال الأحمر المصرى ، كى ترسل ما تريد ارساله من مواد التموين الى اللاجئين بقضاء رام الله ، بطريق البحر من الاسكندرية الى بيروت ، ومن بيروت ترسل بالسكة الحديد الى عمان ، ومن عمان ترسل باللوريات الى اللاجئين .

وبينا الأسباب التى تدعونا الى تحبيذ اتباع هذا الطريق وهى :

١ — ان ارسال المواد بواسطة اللوريات من غزة الى رام الله يستدعى استئجار ما يزيد على مائتى لورى وهو عدد لا يمكن العثور عليه . ونشك فى أن الجيش المصرى يستطيع أن يستغنى عن عدد كبير من لورياته .

٢ — ان شراء هذه المواد وشحنها بالسكة الحديد الى غزة يستغرق وقتا لا يقل عن شهرين . وبعد شهر يبدأ المطر فى شمال فلسطين وسيتعطل الطريق بين بيت لحم ورام الله حتما فى فصل المطر .

٣ — سيطلب أصحاب اللوريات أجرة باهظة للنقل لأن جزءا من الطريق من غزة الى بيت لحم سيىء والطريق من بيت لحم الى رام الله معظمه فى حالة سيئة جدا ، ولا نبالغ اذا قلنا ان أى سيارة تمر فى هذا الطريق مرة واحدة تحتاج الى اصلاحات تكلف مبالغ كبيرة .

٤ — ان أجرة التفريغ فى ميناء بيروت والنقل بالسكة الحديد من بيروت الى عمان سيكون مجانا ، طبقا للاتفاقات التى تمت بين الحكومتين السورية واللبنانية من جهة ، والكونت برنادوت من جهة أخرى . وغنى عن الذكر أنه يجب أن تتصل جمعية الهلال الأحمر المصرى أو مفوضياتنا فى دمشق وبيروت وعمان بالسلطات المختصة فى سوريا ولبنان وشرق الأردن لاعفاء هذه المواد من كل رسوم وأجرة نقل أسوة بالمواد التى ترسلها الهيئات الخيرية الأجنبية .

٥ — ان الطريق من عمان الى رام الله معبد بالأسفلت ما عدا ٢ كيلو متر ، وهذه ليست سيئة للدرجة التى يعمل لها أى حساب .

وتأييدا لرأيى أرسل الدكتور عبد الحليم محفوظ الى الدكتور سليمان عزمى رئيس جمعية الهلال الأحمر البرقية التالية يوم ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٤٨ .

نتيجة لأبحاثنا مع حضرة قنصل عام مصر بالقدس نرى حجز الأرز والدقيق والألحفة الموجودة بالقنطرة الآن وارسالها بحرا الى بيروت باسم الدكتور اسماعيل بك محمد ، واتصلنا بوزارة خارجية لبنان لتسهيل مهمة ضابط الاتصال ، وتطبيق الاتفاق الذى تم بين الوسيط الدولى

والحكومات العربية بخصوص تفريغ ونقل مواد اغاثة اللاجئين مجانا على ما يرد لهم أيضا من مصر .

وبتاريخ ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٨ بعثت بتقرير عن آخر التطورات فى مسألة اللاجئين .

وقد تضمن هذا التقرير ما يأتى :

١ — طلب الى الدكتور عبد الحليم بك محفوظ الذى عينه المجلس الأعلى لاغاثة اللاجئين مديرا عاما لشئونهم فى جميع البلاد العربية أن أقابله فى بيروت ، وأحضر مقابلته مع السير روفائيل سيلنتو مدير عام شئون اللاجئين فى هيئة الأمم المتحدة . فسافرت الى بيروت واشتركت معه ومع الدكتور اسماعيل بك محمد ضابط الاتصال بين المجلس الأعلى لاغاثة اللاجئين والسير سيلنتو فى بحث شئون اللاجئين الفلسطينيين فى الاجتماعات التى تلت بينهما وبين السير سيلنتو وبينهما وبين مدير عام وزارة الخارجية اللبنانية ومدير عام وزارة الداخلية اللبنانية .

٢ — أعرب السير سيلنتو عن استعداده التام المتعاون مع الدكتور اسماعيل بك محمد ، وذكر أنه سيستأجر دارا للمكاتب اللازمة لموظفيه ، وانه يسره أن يخصص غرفتين من الدار المذكورة للدكتور اسماعيل بك محمد ، وانه سيفضى اليه بكافة المعلومات اللازمة عن كل الأعمال والخطوات التى تتم لمساعدة اللاجئين ، وانه ينتظر منه تبادل التعاون . وقد شكر الدكتور محفوظ بك والدكتور اسماعيل بك محمد السير سيلنتو على ما قاله ، وأكدا له عزمهما على التعاون معه تعاونا تاما .

٣ — أشار السير سيلنتو فى حديثه الى عدم الدقة فى الأرقام الخاصة باحصاء اللاجئين ، وهو موضوع سبق أن تناولته فى مكاتباتى السابقة . وشكا مما لمسه فى الفلسطينيين اللاجئين من عدم الرغبة

فى التعاون ، كما شكا من تباطؤ السلطات الحكومية فى تقـديم ما يطلب منها من مساعدة . وضرب لذلك مثلا ان ٢٥٠٠ خيمـة وصلت الى بيروت يوم ١٨ سبتمبر المـاضى وطلب الى الحكومة اللبنانية ارسال رجال لتصنيف هذه الخيم وترتيبها كى ترسـل الى الجهات التى تقرر توزيعها عليها . فلم ترسل اليـه السلطات المختصة نفرا واحدا . ورغب فى الاستعانة باللاجئين الفلسطينيين فلم يجد فيهم روحا طيبة . وقال ان ٤٠٠٠ خيمة سترسل قريبا ، فكيف يمكنه أن يستقبل هذا العدد من الخيم اذا كانت الدفعة الأولى منها لاتزال فى المخازن .

وانتقل الحديث بعد ذلك الى المؤن اللازمة للاجئين ، فقال السـير سيلنتو : لقد وردت كميات صـغيرة . وينتظـر أن يرد غيرها فى القريب . وقد حاول هو كثيرا أن يجمـع من الولايات المتحدة مؤنا للاجئين فكلف معاونيه فى الولايات المتحـدة أن يتصلوا بالشركات الكبرى التى لها مصالح فى الشرق الأوسط ، لتساهم فى مد اللاجئين بالمؤن ، ولكن مما يؤسف له أن السلطات الحكومية فى تلك البلاد (أى الولايات المتحدة) أقامت العراقيل فى وجهه .

٤ — ذكر لنا السير سيلنتو أنه احتج لدى سكرتارية هيئة الأمم المتحدة على ما قررته من منح اليهود مؤنا لأربعين ألف عربى لا يزالون يقيمون فى المناطق التى احتلها اليهود ، دون أن يكون على اليهود رقيب فى توزيع هذه المؤن على العرب . ومما قاله فى احتجاجه : ان هذا العمل يعتبر خرقا للهدنة لان اليهود مكلفون باعالة هؤلاء العرب فاذا ساعدت هيئة الأمم المتحـدة اليهود فى اعالتهم فانها بذلك تكون قد خففت عنهم (أى عن اليهود) كثيرا من الأعباء ، وهو ما يزيد فى قوتهم . وكان ينتظر جنابه أن يدعى الى باريس

لحضور اجتماع الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة عنـد بحثها مسألة اللاجئين ، ولكنه تلقى برقية يطلب اليه فيها البقاء هنا . والظاهر أن هذا كان ردا على احتجاجه .

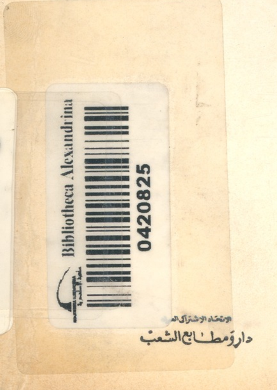
٥ — قابلنا بعد ذلك مدير عام وزارة الخارجية اللبنانية ، وبحثنا معه مسألة نقل المؤن والمواد التى ترسلهـا جمعيـة الهلال الأحمر المصرى الى بيروت ، لترسل منها الى المناطق المختلفة للاجئين . واقترحنا عليه أن يطبق على هذه المؤن والمواد نصوص الاتفاق الذى تم بين الوسيط الدولى والحكومة اللبنانية ، فتنفرغ وتنقل مجانا فى أراضيها . وتعفى من الرسوم الجمركية وكافة الرسوم والضرائب الأخـرى من أى نوع كانت ، فأجـاب ان الاعفـاء من الرسوم والضرائب سيمنح طبعا . ولكن مسألة التفريغ والنقل مجانا تحتاج الى درس ، لأن ذلك سيكلف مبالغ كبيرة لا تتحملها ميزانية لبنان الصغيرة ، وانه يرى أن يقوم المجلس الأعلى لاغاثة اللاجئين ببحثها . واقترح حضرته أن تتحمل كل دولة نفقات المؤن والمواد التى ستوزع على اللاجئين الموجودين فى أراضيها . أما نفقـات المؤن والمـواد التى توزع على اللاجئـين فى الأراضى الفلسطينية فيتحملهـا المجلس الأعلى لاغاثة اللاجئين . وطلب حضرته الى الدكتور محفوظ بك أن يكتب خطابا برغبته فى تطبيق نصوص الاتفاق الذى تم بين الوسيط الدولى ولبنان على المؤن والمواد التى ترسلها جمعيـة الهلال الأحمر المصرى ليرفع الأمر الى السلطات المختصة .

٦ — قابلنا بعد ذلك مدير عام وزارة الداخلية وهو فى نفس الوقت رئيس اللجنة العامة لاغاثة اللاجئين فى لبنان فوجهنا نظره الى مسألة الاحصاءات فقال : ان الاحصاءات التى عملت فى لبنان

دقيقة . وسرد لنا بيانا عما تنفقه لبنان فى مساعدة اللاجئين قائلا ان ميزانية لبنان لا تستطيع الاستمرار على تحمل هـذا العبء الكبير . ووعد حضرته أن يبعث الى الدكتور محفوظ بك بتقرير عن حالة اللاجئين وعددهم والمناطق التى يقيمون فيها بلبنان .

وكان هذا التقرير آخر ما كتبت عن فلسطين ، اذ نقلت من منصب قنصل مصر العام بالقدس الى منصب آخر ، وبذلك انقطعت صلتى بفلسطين ماديا ، ولكن صلتى الروحية ما زالت قائمة لا تنفصم عراها .

فهرس



الاتحاد الاشتراكى العر[...]
دار ومطابع الشعب